من نعمة الله على عبده
محمد بن اسماعيل حزين

٨

منهاج العابدين

للشيخ الامام العارف بالله تعالى زين الدين حجة الاسلام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى الطوسى قدس الله روحه ونور ضريحه ونفعنا والمسلمين بعلومه آمين

(وبهامشه الكتاب المسمى بداية الهداية للمؤلف أيضا)

طبع بمطبعة

مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر

رمضان – ١٣٣٧ هـ

ماشاء الله

فذكر ان نفعت الذكرى

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الفقيه الصالح الزاهد عبد الملك بن عبد الله غفر الله له أملى علي شيخي الاجل الامام الزاهد السعيد الموفق حجة الاسلام زين الدين شرف الامة أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي قدس الله روحه ورفع الله في الجنة درجته هذا الكتاب المختصر وهو آخر كتاب صنفه ولم يستمله منه الا خواص أصحابه وهو (الحمد لله) الملك الحكيم الجواد الكريم العزيز الرحيم الذي خلق الانسان في أحسن تقويم وفطر السموات والارض بقدرته ودبر الامور في الدارين بحكمته وما خلق الجن والانس الا لعبادته فالطريق اليه واضح للقاصدين والدليل عليه لائح للناظرين ولكن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين والصلاة على سيد المرسلين وعلى آله الابرار الطيبين الطاهرين وسلم وعظم الى يوم الدين (اعلموا اخواني أسعدكم الله واياي بمرضاته) أن العبادة ثمرة العلم وفائدة العمر وحاصل العبيد الاقوياء وبضاعة الاولياء وطريق الاتقياء وقسمة الاعزة ومقصد ذوي الهمة وشعار الكرام وحرفة الرجال واختيار أولي الابصار وهي سبيل السعادة ومنها الجنة قال الله تعالى وأنا ربكم فاعبدون وقال تعالى ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا * ثم انا نظرنا فيها وتأملنا طريقها من مباديها الى مقاصدها التي هي أماني سالكيها فاذا هي طريق وعر وسبيل صعب كثيرة العقبات شديدة المشقات بعيدة المسافات عظيمة الآفات كثيرة العوائق والموانع خفية المهالك والمقاطع غزيرة الاعداء والقطاع عزيزة الاشياع والاتباع وهكذا يجب أن تكون لانها طريق الجنة فيصير هذا تصديقا لما قاله صلى الله عليه وسلم ألا وان الجنة حفت بالمكاره وان النار حفت بالشهوات وقال صلى الله عليه وسلم ألا وان الجنة حزن بربوة ألا وان النار سهل بسهوة ثم مع ذلك كله فان العبد ضعيف والزمان صعب وأمر الدين متراجع والفراغ قليل والشغل كثير والعمر قصير وفي العمل تقصير والناقد بصير والاجل قريب والسفر بعيد والطاعة هي الزاد فلابد منها وهي فائتة فلا مرد لها فمن ظفر بها فقد فاز وسعد أبد الآبدين ودهر الداهرين ومن فاته ذلك خسر مع الخاسرين

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قال الشيخ الامام العالم العلامة حجة الاسلام وبركة الانام أبو حامد محمد بن محمد ابن محمد الغزالي الطوسي قدس الله روحه ونور ضريحه آمين * الحمد لله حق حمده والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه من بعده (أما بعد) فاعلم أيها الحريص المقبل على اقتباس العلم المظهر من نفسه صدق الرغبة وفرط التعطش اليه أنك ان كنت تقصد بطلب العلم المنافسة والمباهاة والتقدم على الأقران واستمالة وجوه الناس اليك وجمع حطام الدنيا فانت ساع في هدم دينك وهلاك نفسك وبيع آخرتك بدنياك فصفقتك خاسرة وتجارتك بائرة ومعلمك معين لك على عصيانك وشريك لك في خسرانك وهو كبائع سيف من قاطع طريق كما قال صلى الله عليه وسلم من أعان على معصية ولو بشطر كلمة كان شريكا له فيها وان كانت نيتك وقصدك بينك وبين الله تعالى من طلب العلم الهداية دون مجرد الرواية فأبشر فان

الخاسرين وهلك مع الهالكين فصار هذا الخطب إذا والله معضلا والخطر عظيما فلذلك عز من يقصد هذا الطريق وقل ثم عز من القاصدين من يسلكه ثم عز من السالكين من يصل إلى المقصود ويظفر بالمطلوب وهم الأعزة الذين اصطفاهم الله عز وجل لمعرفته ومحبته وسددهم بتوفيقه وعصمته ثم أوصلهم بفضله إلى رضوانه وجنته فنسأله جل ذكره أن يجعلكم وإيانا من أولئك الفائزين برحمته. نعم ولما وجدنا هذه الطريق بهذه الصفة نظرنا فأمعنا النظر فى كيفية قطعها وما يحتاج إليه العبد من الأهبة والعدة والآلة والحيلة من علم وعمل عسى أن يقطعها بحسن توفيق الله فى سلامة ولا ينقطع فى عقباتها المهلكة فيهلك مع الهالكين والعياذ بالله فصنفنا فى قطع هذه الطريق وسلوكها كتبا كاحياء علوم الدين والقربة إلى الله تعالى وغير ذلك احتوت على دقائق من العلوم اعتاصت على أفهام العامة فقدحوا فيها وخاضوا فيما لم يحسنوه منها فأى كلام أفصح من كلام رب العالمين وقد قالوا فيه إنه أساطير الأولين ألم تسمع إلى قول زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضوان الله عليهم أجمعين :

إنى لأكتم من علمى جواهره * كيلا يرى ذاك ذو جهل فيفتتنا * وقد تقدم فى هذا أبو حسن
إلى الحسين ووصى قبله الحسنا * يارب جوهر علم لو أبوح به * لقيل لى أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمى * يرون أقبح ما يأتونه حسنا

واقتضت الحال عند ذوى الدين هم أشرف خلق الله تعالى النظر إلى كافة خلق الله تعالى بعين الرحمة وترك المماراة فابتهلت إلى من بيده الخلق والأمر أن يوفقنى لتصنيف كتاب يقع عليه الاجماع ويحصل بقراءته الانتفاع فأجابنى إلى ذلك الذى يجيب المضطر إذا دعاه وأطلعنى بفضله على أسرار ذلك وألهمنى فيه ترتيبا عجيبا لم أذكره فى المصنفات التى تقدمت فى أسرار معاملات الدين وهو الذى أنا له واصف فأقول وبالله التوفيق : إن أول ما يتنبه العبد للعبادة ويتجرد لسلوك طريقها بخطوة سماوية من الله وتوفيق خاص إلهى وهو المعنى بقوله سبحانه وتعالى أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وأشار إليه صاحب الشرع صلوات الله وسلامه عليه فقال إن النور إذا دخل القلب انفسح وانشرح وقيل يارسول الله هل لذلك من علامة يعرف بها فقال التجافى عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزول الموت فاذا خطر بقلب العبد أول كل شئ إنى أجدنى منعما بضروب من النعم على كالحياة والقدرة والعقل والنطق وسائر المعانى الشريفة واللذات مع ما ينصرف عنى من ضروب المضار والآفات وإن لهذه النعم منعما يطالبنى بشكره وخدمته فان غفلت عن ذلك فيزيل عنى نعمته ويذيقنى بأسه ونقمته وقد بعث إلى رسولا أيده بالمعجزات الخارقة للعادات الخارجة عن مقدور البشر وأخبرنى بأن لى ربا جل ذكره قادرا عليما حيا مريدا متكلما يأمر وينهى قادرا على أن يعاقب إن عصيته ويثيب إن أطعته عالما بأسرارى وما يختلج فى أفكارى وقد وعد وأوعد وأمر بالتزام قوانين الشرع فيقع فى قلبه أنه ممكن إذ لا استحالة لذلك فى العقل بأول البديهة فيخاف على نفسه عند ذلك ويفزع فهذا خاطر الفزع الذى ينبه العبد ويلزمه الحجة ويقطع عنه المعذرة ويزعجه إلى النظر والاستدلال فيهتاج العبد عند ذلك ويقلق وينظر فى طريق الخلاص وحصول الأمان له مما وقع بقلبه أو سمع بأذنه فلم يجد فيه سبيلا سوى النظر بعقله فى الدلائل والاستدلال بالصنعة على الصانع ليحصل له علم اليقين بما هو مغيب ويعلم أن له ربا كلفه وأمره ونهاه . فهذه أول عقبة استقبلته فى طريق العبادة وهى عقبة العلم والمعرفة ليكون من الأمر على بصيرة فيأخذ فى قطعها من غير بد بحسن النظر فى الدلائل ووفور التأمل والتعلم والسؤال من علماء الآخرة أدلاء الطريق سرج الأمة وقادة الأئمة

الملائكة تبسط لك أجنحتها إذا مشيت وحيتان البحر تستغفر لك إذا سعيت ولكن ينبغى لك أن تعلم قبل كل شىء أن الهداية التى هى ثمرة العلم لها بداية ونهاية وظاهر وباطن ولا وصول إلى نهايتها إلا بعد إحكام بدايتها ولا عثور على باطنها إلا بعد الوقوف على ظاهرها. وها أنا مشير عليك ببداية الهداية لتجرب بها نفسك وتمتحن بها قلبك فان صادفت قلبك إليها مائلا ونفسك بها مطاوعة ولها قابلة فدونك التطلع إلى النهايات والتغلغل فى بحار العلوم وان صادفت قلبك عند مواجهتك اياها بها مسوفا وبالعمل بمقتضاه مماطلا فاعلم أن نفسك المائلة الى طلب العلم هى النفس الأمارة بالسوء وقد انتهضت مطيعة للشيطان اللعين ليدليك بحبل غروره فيستدرجك بمكيدته الى غمرة الهلاك وقصده أن يروج عليك الشر فى معرض الخير حتى يلحقك بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا وعند ذلك يتلو عليك الشيطان فضل العلم ودرجة العلماء وما ورد

والاستفادة منهم واستهداء الدعاء الصالح منهم للتوفيق والاعانة الى ان يقطعها بتوفيق الله سبحانه فيحصل له علم اليقين بالغيب وهو ان له الها واحدا لاشريك له هو الذى خلقه وأنعم عليه بكل هذه النعم وأنه كلفه شكره وأمره بخدمته وطاعته بظاهره وباطنه وحذره الكفر وضروب المعاصى وحكم له بالثواب الخالدان أطاعه و بالعقاب الخالدان عصاه وتولى عنه فعندذلك تبعثه هذه المعرفة واليقين بالغيب على التشمير للخدمة والاقبال على العبادة لهذا السيد المنعم الذى طلبه فوجده وعرفه بعد ماجهله ولكنه لايدرى كيف يعبده وماذا يلزمه فى خدمته بظاهره وباطنه فبعد حصول هذه المعرفة بالله سبحانه وتعالى جهد حتى يتعلم مايلزمه من الفرائض الشرعية ظاهرا وباطنا فلما استكمل العلم والمعرفة بالفرائض انبعث ليأخذ فى العبادة و يشتغل بها فنظر فاذاهو صاحب جنايات وذنوب وهذا حال الاكثر من الناس فيقول كيف أقبل على العبادة وأنا مصر على المعصية متلطخ بها فيجب على أولا ان أتوب اليه ليغفرلى ذنوبى و يخلصنى من أسرها و يطهرنى من أقذارها فأصلح للخدمة وبساط القربة فتستقبله ههنا (عقبة التوبة) فيحتاج لامحالة الى قطعها ليصل الى ماهو المقصود منها فيأخذ فى ذلك باقامة التوبة بحقوقها وشرائطها الى أن يقطعها فلما أن حصلت له التوبة الصادقة وفرغ من هذه العقبة حن الى العبادة ليأخذ فيها فنظر فاذا حوله عوائق محدقة به كل واحد منها يعوقه عما قصد من العبادة بضرب من التعويق فتأمل فاذاهى أربعة الدنيا والخلق والشيطان والنفس فاحتاج لامحالة الى دفع هذه العوائق وازاحتها عنه والا فلا يتأتى له مراده من العبادة فاستقبلته ههنا (عقبة العوائق) فيحتاج الى قطعها بأربعة أمور التجرد عن الدنيا والتفرد عن الخلق والمحاربة مع الشيطان والقهر للنفس فاما النفس فاشدها اذ لا يمكنه التجرد عنها ولا ان يقهرها بمرة و يقمعها كالشيطان اذهى المطية والآلة ولامطمع أيضا فى موافقتها على مايقصده العبد من العبادة والاقبال عليها اذهى مجبولة على ضد الخير كاللهو واتباعها له فاحتاج اذا الى أن يلجمها بلجام التقوى لتبقى له فلا تنقطع وتنقاد له فلا تطغى فيستعملها فى المصالح والمراشد و يمنعها من المهالك والمفاسد فيأخذ اذا فى قطع هذه العقبة و يستعين بالله جل ذكره على ذلك فلما فرغ من قطعها رجع الى قصد العبادة فاذا عوارض تعترضه فتشغله عن الاقبال على مقصوده من العبادة وتصده عن التفرغ لذلك كما ينبغى فتأمل فاذاهى أربعة الرزق تطالبه النفس به وتقول لابدلى من رزق وقوام وقد تجردت عن الدنيا وتفردت أيضا عن الخلق فمن أين يكون قوامى ورزقى والثانى الاخطار من كل شئ يخافه أو يرجوه أو يريده أو يكرهه ولا يدرى صلاحه فى ذلك أو فساده لان عواقب الامور مبهمة فيشتغل قلبه بها فانه ربما وقع فى فساد أومهلكة والثالث الشدائد والمصائب تنصب عليه من كل جانب لاسيما وقد انتصب لمخالفة الخلق ومحاربة الشيطان ومضادة النفس فكم من غصة يتجرعها وكم من شدة تستقبله وكم من هم وحزن يعترضه وكم من مصيبة تتلقاه والرابع أنواع القضاء من الله سبحانه وتعالى بالحلو والمر ترد عليه حالا فحالا والنفس تسارع الى السخط وتبادر الى الفتنة فاستقبلته ههنا (عقبة العوارض الاربعة) فاحتاج الى قطعها بأربعة أشياء التوكل على الله سبحانه وتعالى فى موضع الرزق والتفويض اليه جل وعز فى موضع الخطر والصبر عند نزول الشدائد والرضا عند نزول القضاء فاخذ فى قطع هذه العقبة باذن الله تعالى وحسن تأييده لما فرغ من قطعها وعاد الى قصد العبادة نظر فاذا النفس فاترة ضعيفة كسلى لاتنشط ولا تنبعث لخير كما يحق و ينبغى وانما ميلها أبدا الى غفلة ودعة وراحة و بطالة بل الى شر وفضول و بلية وجهالة فاحتاج معها ههنا الى سائق يسوقها الى الخير والطاعة و ينشطها له وزاجر يزجرها عن الشر والمعصية و يفترها

عنه

فيه من الآثار والاخبار ويلهيك عن قوله صلى الله عليه وسلم من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا وعن قوله صلى الله عليه وسلم أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه وكان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انى أعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لايخشع وعمل لايرفع ودعاء لايسمع وعن قوله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة أسرى بى باقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من أنتم قالوا كنا نأمر بالخير ولا نأتيه وننهى عن الشر ونأتيه فاياك يامسكين أن تذعن لتزويره فيدليك بحبل غروره فويل للجاهل حيث لم يتعلم مرة واحدة وويل للعالم حيث لم يعمل بما علم ألف مرة * واعلم أن الناس فى طلب العلم على ثلاثة أحوال رجل طلب العلم ليتخذه زاده الى المعاد ولم يقصد به الا وجه الله والدار الآخرة فهذا من الفائزين ورجل طلبه ليستعين به على حياته العاجلة و ينال به العز والجاه والمال وهو عالم بذلك مستشعر فى قلبه ركاكة حاله وخسة مقصده

عنه وهو الرجاء والخوف فالرجاء فى عظيم ثواب الله سبحانه وحسن ما وعد من أنواع الكرامة وتذكر ذلك سائق يسوقها فيبعثها على الطاعة ويحركها لذلك وينشطها والخوف من أليم عقاب الله عز وجل وصعوبة ما أوعد من أنواع العقوبة والاهانة زاجر يزجرها عن المعصية ويجنبها ويفترها عن ذلك (فهذه عقبة البواعث) استقبلته ههنا فاحتاج الى قطعها بهذين المذكورين فاخذ فيها بحسن توفيق الله عز وجل فقطعها فلما فرغ منها رجع الى الاقبال على العبادة فلم ير عائقا ولا شاغلا ووجد باعثا وداعيا ونشط فى العبادة فاقامها واعتنقها بتمام الشوق والرغبة فأداها فنظر فاذا انه تبدو لهذه العبادة العظيمة التى احتمل فيها كل ذلك آفتان عظيمتان وهما الرياء والعجب تارة يرائى بطاعته الناس فيفسدها وأخرى يمتنع عن ذلك ويلوم نفسه فيعجب بنفسه فيحبط العبادة عليه ويتلفها ويفسدها فاستقبلته ههنا (عقبة القوادح) فاحتاج الى قطعها بالاخلاص وذكر المنة ونحوها ليسلم له مايعمل من خير فاخذ فى قطع هذه العقبة باذن الله سبحانه وتعالى بجد واحتياط وتيقظ بحسن عصمة الجبار تعالى وتأييده فلما فرغ من هذه كلها حصلت له العبادة كما يحق وينبغى وسلمت من كل آفة ولكنه نظر فاذا هو غريق فى بحور منن الله تعالى وأياديه من كثرة ما أنعم الله عليه من امداد التوفيق والعصمة وأنواع التأييد والحراسة والكرامة وخاف أن يكون منه اغفال للشكر فيقع فى الكفران فينحط عن تلك المرتبة الرفيعة التى هى مرتبة الخدم الخالصين لله عز وجل وتزول عنه تلك النعم الكريمة من ضروب ألطاف الله تعالى وحسن نظره اليه فاستقبلته ههنا (عقبة الحمد والشكر) فاخذ فيها فقطعها بما أمكنه من كثرة الحمد والشكر على كثير نعمه فلما فرغ من قطع هذه العقبة ونزل فاذا هو بمقصوده ومبتغاه بين يديه لم يسر الا قليلا حتى وقع فى سهل الفضل وصحراء الشوق وعرصات المحبة ثم يقع فى رياض الرضوان وبساتين الانس الى بساط الانبساط ومرتبة التقريب ومجلس المناجاة ونيل الخلع والكرامات فهو يتنعم فى هذه الحالات ويتقلب فى طيبها أيام بقائه وبقية عمره بشخص فى الدنيا وقلب فى العقبى ينتظر البريد يوما فيوما حتى يمل الخلق كلهم ويستقذر الدنيا ويحن الى الموت ويستكمل الشوق الى الملأ الأعلى فاذا هو برسل رب العالمين اليه يردون عليه بالروح والريحان والبشرى والرضوان من عند رب راض غير غضبان فينقلونه فى طيبة النفس وتمام البشر والانس من هذه الدار الفانية المفتنة الى الحضرة الالهية ومستقر رياض الجنة فيرى لنفسه الضعيفة الفقيرة نعيما مقيما وملكا كبيرا عظيما ويلقى هنالك من سيده الرحيم المتفضل الكريم جل ذكره من اللطف به والعطف والترحيب والتقريب والانعام والاكرام مالا يحيط به وصف الواصفين ونعت الناعتين فهو فى كل يوم فى زيادة الى أبد الآبدين فيالها من سعادة عظيمة ويالها من دولة عالية ويا له من عبد مسعود وامرئ مغبوط وشأن محمود وطوبى له وحسن مآب نسأل الله البر الرحيم سبحانه وتعالى أن يمن علينا وعليكم بهذه النعمة العظيمة والمنة الجسيمة وما ذلك على الله بعزيز وأن لا يجعلنا من الذين لا نصيب لهم من هذا الامر الا وصف وسماع وعلم وتمن بلا انتفاع وأن لا يجعل ما تعلمناه من العلم حجة علينا يوم القيامة وان يوفقنا جميعا للعمل بذلك والقيام به كما يحب ويرضى انه أرحم الراحمين وأكرم الاكرمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم وشرف وكرم (فهذا) هو الترتيب الذى ألهمنى مولاى فى طريق العبادة (فاعلم الآن) بتوفيق الله أن الحاصل من الجملة سبع عقبات الاولى عقبة العلم الثانية عقبة التوبة الثالثة عقبة العوائق الرابعة عقبة العوارض الخامسة عقبة البواعث السادسة عقبة القوادح السابعة عقبة الحمد والشكر وبتمامها يتم كتاب منهاج العابدين الى الجنة ونحن الآن نتتبع هذه العقبات بشرح موجز اللفظ مشتمل على النكت المقصودة من هذا

فهذا من المخاطرين فالله عاجلا أجله قبل التوبة خيف عليه من سوء الخاتمة وبقى أمره فى خطر المشيئة وان وفق للتوبة قبل حلول الاجل وأضاف الى العلم العمل وتدارك ما فرط فيه من الخلل التحق بالفائزين فانا التائب من الذنب كمن لا ذنب له ورجل ثالث استحوذ عليه الشيطان فاتخذ علمه ذريعة الى التكاثر بالمال والتفاخر بالجاه والتعزز بكثرة الأتباع يدخل بعلمه كل مدخل رجاء أن يقضى من الدنيا وطره وهو مع ذلك يضمر فى نفسه أنه عند الله بمكان لاتسامه بسمة العلماء وترسمه برسومهم فى الزى والمنطق مع تكالبه على الدنيا ظاهرا وباطنا فهذا من الهالكين ومن الحمقى المغرورين اذ الرجاء منقطع عن توبته لظنه أنه من المحسنين وهو غافل عن قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون وهو ممن قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا من غير الدجال أخوف عليكم من الدجال فقيل وما هو يارسول الله فقال علماء السوء وهذا لان الدجال غايته الاضلال

الشأن كل منها فى باب مفرد إن شاء الله عز وجل والله سبحانه ولى التوفيق والتسديد بمنه ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم

﴿ العقبة الأولى وهى عقبة العلم ﴾

فأقول وبالله التوفيق : ياطالب الخلاص والعبادة عليك أولا وفقك الله بالعلم فانه القطب وعليه المدار . واعلم أن العلم والعبادة جوهران لأجلهما كان كل ماترى وتسمع من تصنيف المصنفين وتعليم المعلمين ووعظ الواعظين ونظر الناظرين بل لأجلهما أنزلت الكتب وأرسلت الرسل بل لأجلهما خلقت السموات والأرض ومافيهن من الخلق . وتأمل آيتين فى كتاب الله عزوجل إحداهما قوله جل ذكره الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شىء قدير وأن الله قد أحاط بكل شىء علما وكفى بهذه الآية دليلا على شرف العلم لاسيما علم التوحيد . والآية الثانية قوله جل من قائل وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون وكفى بهذه الآية دليلا على شرف العبادة ولزوم الإقبال عليها فأعظم بأمرين هما المقصود من خلق الدارين فحق للعبد أن لايشتغل إلا بهما ولايتعب إلا لهما ولاينظر إلا فيهما . واعلم أن ماسواهما من الأمور باطل لاخير فيه ولغو لاحاصل له فاذا علمت ذلك فاعلم أن العلم أشرف الجوهرين وأفضلهما ، ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم إن فضل العالم على العابد كفضلى على أدنى رجل من أمتى . وقال صلى الله عليه وسلم نظرة إلى العالم أحب إلىّ من عبادة سنة صيامها وقيامها . وقال صلى الله عليه وسلم ألا أدلكم على أشرف أهل الجنة قالوا بلى يارسول الله قال هم علماء أمتى فبان لك أن العلم أشرف جوهرا من العبادة ولكن لابد من العبادة مع العلم وإلا كان علمه هباء منثورا فان العلم بمنزلة الشجرة والعبادة بمنزلة ثمرة من ثمراتها فالشرف للشجرة إذ هى الأصل لكن الانتفاع بما يحصل بثمرتها فاذا لابد للعبد أن يكون له من كلا الأمرين حظ ونصيب ولهذا قال الحسن البصرى رحمه الله اطلبوا هذا العلم طلبا لايضر بالعبادة واطلبوا هذه العبادة طلبا لايضر بالعلم ولما استقر أنه لابد للعبد منهما جميعا فالعلم أولى بالتقديم لامحالة لأنه الأصل والدليل ولذلك قال صلى الله عليه وسلم العلم إمام العمل والعمل تابعه وإنما صار العلم أصلا متبوعا يلزمك تقديمه على العبادة لأمرين أحدهما لتحصل لك العبادة وتسلم فانك أولا يجب عليك أن تعرف المعبود ثم تعبده وكيف تعبد من لاتعرفه بأسمائه وصفات ذاته وما يجب له وما يستحيل فى نعته فربما تعتقد فيه وفى صفاته شيئا والعياذ بالله مما يخالف الحق فتكون عبادتك هباء منثورا . وقد شرحنا ما فى ذلك من الخطر العظيم فى بيان معنى سوء الخاتمة من كتاب الخوف من جملة كتب إحياء علوم الدين . ثم يجب عليك أن تعلم مايلزمك فعله من الواجبات الشرعية على ماأمرت به لتفعل ذلك وما يلزمك تركه من المناهى لتترك ذلك وإلا فكيف تقوم بطاعات لاتعرفها ماهى وكيف هى وكيف يجب أن تفعل أم كيف تجتنب معاصى لاتعلم أنها معاص حتى لاتوقع نفسك فيها فالعبادات الشرعية كالطهارة والصلاة والصوم وغيرها يجب أن تعلمها بأحكامها وشرائطها حتى تقيمها فربما أنت مقيم على شىء سنين وأزمانا مما يفسد عليك طهارتك وصلواتك ويخرجهما عن كونهما واقعتين على وفاق السنة وأنت لاتشعر بذلك وربما يعترض لك مشكل ولا تجد من تسأله عن ذلك وأنت ماتعلمته ثم مدار هذا الشأن أيضا على العبادات الباطنة التى هى مساعى القلب يجب أن تعلمها من التوكل والتفويض والرضا والصبر والتوبة والاخلاص وغير ذلك مما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى ويجب أن تعلم مناهيها التى هى أضداد هذه الأمور كالسخط والأمل والرياء والكبر لتجتنب ذلك فان هذه فرائض ونص الله تعالى على الأمر بها والنهى عن أضدادها فى كتابه العزيز

ومثل هذا العالم وإن صرف الناس عن الدنيا بلسانه ومقاله فهو داع لهم إليها بأعماله وأحواله ولسان الحال أفصح من لسان المقال وطباع الناس إلى المشاهدة فى الأعمال أميل منها إلى المتابعة فى الأقوال فما أفسده هذا المغرور بأعماله أكثر مما أصلحه بأقواله إذ لا يستجرئ الجاهل على الرغبة فى الدنيا إلا باستجراء العلماء فقد صار علمه سببا لجراءة عباد الله على معاصيه ونفسه الجاهلة مدلة مع ذلك تمنيه وترجيه وتدعوه إلى أن يمنّ على الله بعلمه وتخيل اليه نفسه أنه خير من كثير من عباد الله فكن أيها الطالب من الفريق الأول واحذر أن تكون من الفريق الثانى فكم من مسوّف عاجله الأجل قبل التوبة فخسر وإياك ثم إياك أن تكون من الفريق الثالث فتهلك هلاكا لايرجى معه فلاحك ولا ينتظر صلاحك . فان قلت ما بداية الهداية لأجرب بها نفسى . فاعلم أن بدايتها ظاهرة التقوى ونهايتها باطنة التقوى فلا عاقبة إلا بالتقوى ولاهداية إلا للمتقين والتقوى عبارة عن

وعلى

وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون واصبر وماصبرك إلا بالله وقوله وتبتل إليه تبتيلا أى أخلص إليه إخلاصا ونحو ذلك من الآيات كما نص على الأمر بالصلاة والصوم فمالك أقبلت على الصلاة أو الصوم وتركت هذه الفرائض والأمر بهما من رب واحد فى كتاب واحد بل غفلت عنها فلا تعرف شيئا منها بفتوى من أصبح بعاجل حظه مشغوفا حتى صير المعروف منكرا والمنكر معروفا ومن أهمل العلوم التى سماها الله فى كتابه نورا وحكمة وهدى وأقبل على ما به يكتسب الحرام ويكون مصيدة للحطام أما تخاف أيها المسترشد أن تكون مضيعا لشىء من هذه الواجبات بل لأكثرها وتشتغل الصلاة بتطوع وصوم النفل فتكون فى لاشىء وربما أنت مصرّ على معصية من هذه المعاصى تستوجب بها النار وتترك مباحا من طعام أو شراب أو نوم تبتغى به قربة إلى الله عز وجل فتكون فى لاشىء وأشد من ذلك كله أنك تكون فى أسر الأمل والأمل معصية محضة فتظنه نية خير بجهلك بالفرق بينهما وتقاربهما فى بعض الوجوه وكذلك تكون فى جزع وسخط فتظنه تضرعا وابتهالا إلى الله عز وجل وتكون فى رياء محض وتحسبه حمد الله سبحانه وتعالى أو دعوة للناس إلى خير فتأخذ تعد على الله سبحانه المعاصى بالطاعات وتحتسب الثواب العظيم فى مواضع العقوبات فتكون فى غرور عظيم وغفلة قبيحة فهذه والله مصيبة فظيعة للعاملين من غير علم ثم مع ذلك كله فان للأعمال الظاهرة علائق من المساعى الباطنة تصلحها وتفسدها كالاخلاص والرياء والعجب وذكر المنة وغيره فمن لم يعرف هذه المساعى الباطنة ووجوه تأثيرها فى العبادات الظاهرة وكيفية الاحتراس منها وحفظ العمل عنها فقلما يسلم له عمل الظاهر أيضا فتفوته طاعات الظاهر والباطن ولا يبقى بيده إلا الشقاء والكدر وهذا هو الخسران المبين ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صفة العلم إن نوما على علم خير من صلاة على جهل فان العامل بغير علم يفسد أكثر مما يصلح وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العلم إنه يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء والمعنى والعلم عند الله سبحانه أن إحدى شقوتيه أن لا يتعلم العلم ثم يشقى ويتعب فى العبادة على خبط فما يكون له من ذلك إلا العناء والعياذ بالله من علم وعمل لا ينفع ولهذا عظمت عناية العلماء الزهاد العاملين رضى الله عنهم بالعلم خاصة من بين سائر الناس فان مدار أمر العبودية وملاك العبادة والخدمة لله رب العالمين على العلم وهكذا يكون نظر أولى الأبصار وأهل التأييد والتوفيق فاذا تبين لك بهذه الجملة أن الطاعة تحصل للعبد ولا تسلم له إلا بالعلم فيلزم إذا تقديمه فى شأن العبادة (وأما الخصلة الثانية) التى توجب تقديم العلم فهى أن العلم النافع يثمر خشية الله تعالى ومهابته قال الله تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء وذلك أن من لم يعرفه حق معرفته لم يهبه حق مهابته ولم يعظمه حق تعظيمه وحرمته فبالعلم يعرفه ويعظمه ويهابه فصار العلم يثمر الطاعات كلها ويحجز عن المعصية كلها بتوفيق الله وليس وراء هذين مقصد للعبد فى عبادة الله سبحانه وتعالى فعليك بالعلم أرشدك الله يا سالك طريق الآخرة أول كل شىء والله ولى التوفيق بفضله ورحمته . ولعلك أن تقول قد ورد الخبر عن صاحب الشرع صلوات الله وسلامه عليه أنه قال طلب العلم فريضة على كل مسلم فما العلم الذى طلبه فرض لازم وما الحد الذى لابد للعبد من تحصيله فى أمر العبادة ؟ فاعلم أن العلوم التى طلبها فرض فى الجملة ثلاثة علم التوحيد وعلم السر أعنى به ما يتعلق بالقلب ومساعيه وعلم الشريعة . وأما حد ما يجب من كل واحد منها فالذى يتعين فرضه من علم التوحيد مقدار ما تعرف به أصول الدين وهو أن لك إلها عالما قادرا مريدا حيا متكلما سميعا بصيرا واحدا لا شريك له متصفا بصفات الكمال منزها عن النقصان والزوال ودلالات الحدوث منفردا بالقدم عن كل محدث وأن محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله الصادق فيما جاء به

امتثال أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه فهما قسمان . وها أنا أشير عليك بجملة مختصرة من ظاهر علم التقوى فى القسمين جميعا .

﴿القسم الأول فى الطاعات﴾

اعلم أن أوامر الله تعالى فرائض ونوافل فالفرض رأس المال وهو أصل التجارة وبه تحصل التجارة والنفل هو الربح وبه الفوز فى الدرجات قال صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى ماتقرب إلىّ المتقربون بمثل أداء ما افترضت عليهم ولا يزال العبد يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ولسانه الذى ينطق به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها . ولن تصل أيها الطالب إلى القيام بأوامر الله تعالى إلا بمراقبة قلبك وجوارحك فى لحظاتك وأنفاسك من حين تصبح إلى حين تمسى فاعلم أن الله تعالى مطلع على ضميرك ومشرف على ظاهرك وباطنك ومحيط بجميع لحظاتك وخطراتك وخطواتك وسائر سكناتك

عن الله تعالى وتقدس وفيما ورد على لسانه من أمور الآخرة . ثم مسائل فى شعائر السنة تجب معرفتها وإياك أن تبتدع فى دين الله سبحانه وتعالى مالم يأت به كتاب ولا أثر فتكون مع الله سبحانه على أعظم خطر وجميع أدلة التوحيد موجود أصلها فى كتاب الله سبحانه وقد ذكرها شيوخنا رضى الله عنهم فى كتبهم التى صنفوها فى أصول الديانات وعلى الجملة كل ما لا تأمن الهلاك فى جهله فطلب علمه فرض لا يسوغ لك تركه فهذه هذه وبالله التوفيق . وأما الذى يتعين فرضه من علم السر فمعرفة مواجبه ومناهيه حتى يحصل لك تعظيم الله تعالى والاخلاص له والنية وسلامة العمل وجميع ذلك يأتى فى كتابنا هذا إن شاء الله عزوجل . وأما مايتعين من علم الشريعة فكل مايتعين عليك فرض فعله وجب عليك معرفته لتؤديه كالطهارة والصلاة والصوم وأما الحج والزكاة والجهاد فان تعين عليك فرضه وجب عليك علمه لتؤديه وإلا فلا فهذا حد مايلزم العبد تحصيله من العلم لا محالة وتعين فرضه بحيث لا بد لك من ذلك . فان قلت فهل يفترض علىّ أن أتعلم من علم التوحيد ماأنقض به جميع ملل الكفر وألزمهم حجة الاسلام وأنقض به جميع البدع وألزمهم حجة السنة ؟ فاعلم أن هذا فرض على الكفاية وإنما يتعين عليك ماتصحح به اعتقادك فى أصول الدين لاغير وكذلك لا يتعين عليك معرفة فروع علم التوحيد ودقائقه والاتيان على جميع مسائله ، نعم إن وردت عليك شبهة فى أصول الدين تخاف أن تقدح فى اعتقادك فيتعين عليك حل تلك الشبهة بما أمكن من الكلام المقنع ، وإياك والمماراة والمجادلة فانها داء محض لادواء له فاحترز منه جهدك فان من ارتداه لم يفلح إلا أن يتغمده الله تعالى برحمته ولطفه . ثم اعلم أنه إذا كان فى كل قطر داع من دعاة أهل السنة يحل الشبه ويرد على أهل البدع ويستقل بهذا العلم ويصفى قلوب أهل الحق عن وساوس المبتدعة فقد سقط الفرض عمن سواه كذلك لا يلزمك من معرفة دقائق علم السر وجميع شرح عجائب القلب إلا مايفسد عليك عبادتك فيجب عليك معرفته لتجتنبه ومايلزمك فعله كالاخلاص والحمد والشكر والتوكل ونحو ذلك فيلزمك معرفته لتؤديه . وأما ماسواه فلا وكذلك لا يلزمك معرفة سائر أبواب الفقه من البيوع والاجارات والنكاح والطلاق والجنايات إنما كل ذلك فرض على الكفاية . فان قلت هذا القدر من علم التوحيد هل يحصل بنظر الانسان من غير معلم . فاعلم أن الأستاذ فاتح ومسهل والتحصيل معه أسهل وأروح والله تعالى بفضله يمتن على من يشاء من عباده فيكون هو معلمهم سبحانه وتعالى . ثم اعلم أن هذه العقبة التى هى عقبة العلم عقبة كئود ولكن بها ينال المطلوب والمقصود ، نفعها كثير وقطعها شديد وخطرها عظيم كم من عدل عنها فضلّ وكم من سلكها فزل وكم من تائه فيها متحير وكم من حبر منقطع وكم من سالك قطعها فى مدة يسيرة وآخر متردد فيها سبعين سنة والأمر كله بيد الله عزوجل أما نفعه فعلى ماذكرنا من شدة الحاجة للعبد إليه وبناء أمر العبادة كله عليه لاسيما علم التوحيد وعلم السر . فلقد روى أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام فقال ياداود تعلم العلم النافع فقال إلهى وما العلم النافع فقال أن تعرف جلالى وعظمتى وكبريائى وكمال قدرتى على كل شىء فإن هذا الذى يقربك إلىّ . وعن علىّ كرم الله وجهه أنه قال مايسرنى أن لو مت طفلا وأدخلت الجنة ولم أكبر فأعرف ربى فان أعلم الناس بالله أشدهم خشية وأكثرهم عبادة وأحسنهم فى الله سبحانه وتعالى نصيحة * وأما شدتها فابذل نفسك فى الاخلاص فى طلب العلم وليكن الطلب طلب دراية لا طلب رواية . واعلم أن الخطر عظيم فمن طلب العلم ليصرف به وجوه الناس إليه ويجالس به الأمراء ويباهى به النظراء ويتصيد به الحطام فتجارته بائرة وصفقته خاسرة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من طلب العلم ليفاخر به العلماء أو ليمارى به السفهاء أو ليصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله النار

قال

وحركاتك وإنك فى عزالطتك وخلواتك متردد بين يديه فلا يسكن فى الملك والملكوت ساكن ولا يتحرك متحرك إلا وجبار السموات والأرض مطلع عليه يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ويعلم السر وأخفى فتأدب أيها المسكين ظاهرا وباطنا بين يدى الله تعالى تأدب العبد الذليل المذنب فى حضرة الملك الجبار القهار واجتهد أن لا يراك مولاك حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك ولن تقدر على ذلك إلا بأن توزع أوقاتك وترتب أورادك من صباحك إلى مسائك فاصغ إلى مايلقى إليك من أوامر الله تعالى عليك من حين تستيقظ من منامك إلى وقت رجوعك إلى مضجعك

﴿فصل فى آداب الاستيقاظ من النوم﴾ فاذا استيقظت من النوم فاجتهد أن تستيقظ قبل طلوع الفجر وليكن أول مايجرى على قلبك ولسانك ذكر الله تعالى فقل عند ذلك الحمد لله الذى أحيانا بعد ماأماتنا وإليه النشور أصبحنا وأصبح الملك والعظمة والسلطان لله والعزة

* قال أبو يزيد البسطامي رحمه الله عملت في المجاهدة ثلاثين سنة فما وجدت شيأ أشد عليّ من العلم وخطره وإياك ان يزين لك الشيطان فيقول لك اذا كان قد ورد هذا الخطر العظيم في العلم فتركه أولى فلا تظنن ذلك فلقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اطلعت ليلة المعراج على النار فرأيت أكثر أهلها الفقراء قالوا يارسول الله من المال قال لا بل من العلم فمن لا يتعلم العلم لا يتأتى له احكام العبادات والقيام بحقوقها كما ينبغي ولو أن رجلا عبد الله سبحانه عبادة ملائكة السموات بغير علم كان من الخاسرين فشمر في طلب العلم بالبحث والتلقين والتدريس واجتنب الكسل والملال والافات في خطر الضلال والعياذ بالله عز وجل (ثم جملة الامر) أنك اذا نظرت في دلائل صنع الله عز وجل وأمعنت النظر علمت أن لك ولنا الها قادرا عالما حيا مريدا سميعا بصيرا متكلما منزها عن حدوث الكلام والعلم والارادة مقدسا عن كل نقص وآفة لا يوصف بصفات المحدثين ولا يجوز عليه ما يجوز على المخلوقين ولا يشبه شيأ من خلقه ولا يشبهه شئ ولا تتضمنه الاماكن والجهات ولا تحله الحوادث والآفات ونظرت في معجزات الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم وآياته واعلام نبوته علمت أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمينه على وحيه وما كان السلف الصالح يعتقدونه من أن الله تعالى يرى في الآخرة وأنه موجود وليس في جهة محدودة وأن القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق وليس بحروف مقطعة ولا أصوات اذ لو كان كذلك لكان من جملة المخلوقات وأنه لا يكون في الملك والملكوت فلتة خاطر ولا لفتة ناظر الا بقضاء الله تعالى وقدره وارادته ومشيئته فمنه الخير والشر والنفع والضر والايمان والكفر وأنه لا واجب على الله تعالى لاحد من خلقه فمن أثابه فبفضله ومن عاقبه فبعدله وما ورد على لسان صاحب الشرع صلوات الله وسلامه عليه من أمور الآخرة كالحشر والنشر وعذاب القبر وسؤال منكر ونكير والميزان والصراط فهذه أصول درج السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين على اعتقادها والتمسك بها ووقع عليها الاجماع قبل تنوع البدع وظهور الاهواء نعوذ بالله من الابتداع في الدين واتباع الهوى بغير دليل * ثم نظرت في أعمال القلب والمواجب الباطنة والمناهي التي تأتي في هذا الكتاب ليحصل لك علمه ثم تعرف جملة ما تحتاج الى استعماله كالطهارة والصلاة والصوم ونحوه فلقد أديت فرض الله تعالى عليك الذي تعبدك في باب العلم ولقد صرت من علماء أمة محمد صلى الله عليه وسلم الراسخين في العلم فان عملت بعلمك وأقبلت على عمارة معادك كنت عبدا عالما عاملا لله تعالى على بصيرة غير جاهل ولا مقلد ولا غافل فلك الشرف العظيم ولعلمك القيمة الكبيرة والثواب الجزيل وكنت قد قطعت هذه العقبة وخلفتها وراءك وقضيت حقها باذن الله تعالى والله سبحانه مسؤل أن يمدك وايانا بحسن توفيقه وتيسيره انه أرحم الراحمين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

﴿ العقبة الثانية وهي عقبة التوبة ﴾

ثم عليك ياطالب العبادة وفقك الله بالتوبة وذلك لامرين * أحدهما ليحصل لك توفيق الطاعة فان شؤم الذنوب يورث الحرمان ويعقب الخذلان وان قيد الذنوب يمنع عن المشي الى طاعة الله عز وجل والمسارعة الى خدمته لان ثقل الذنوب يمنع من الخفة للخيرات والنشاط في الطاعات وان الاصرار على الذنوب مما يسود القلوب فتجدها في ظلمة وقساوة لا خلوص فيها ولا صفاوة ولا لذة ولا حلاوة وان لم يرحم الله فستجر صاحبها الى الكفر والشقاوة فياعجبا كيف يوفق للطاعة من هو في شؤم وقسوة وكيف يدعى الى الخدمة من هو مصر على المعصية ومقيم على الجفوة وكيف يقرب للمناجاة من هو متلطخ بالاقذار والنجاسات ففي الخبر عن الصادق المصدوق رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا كذب العبد تنحى عنه الملكان من نتن ما يخرج من فيه فكيف يصلح هذا اللسان لذكر الله عز وجل فلا جرم

والقدرة لله رب العالمين أصبحنا على فطرة الاسلام وعلى كلمة الاخلاص وعلى دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى ملة أبينا ابراهيم حنيفا مسلما وما كان من المشركين اللهم انا نسألك أن تبعثنا في هذا اليوم الى كل خير وأعوذ بك أن أجترح فيه سوأ أو أجره الى مسلم اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت واليك النشور نسألك خير هذا اليوم وخير ما فيه ونعوذ بك من شر هذا اليوم وشر ما فيه فاذا لبست ثيابك فانو به امتثال أوامر الله تعالى في ستر عورتك واحذر أن يكون قصدك من لباسك مرا آت الخلق فتخسر

﴿باب آداب دخول الخلاء﴾

فاذا قصدت بيت الماء لقضاء الحاجة فقدم في الدخول رجلك اليسرى وفي الخروج رجلك اليمنى ولا تستصحب شيأ عليه اسم الله تعالى ورسوله ولا تدخل حاسر الرأس ولا حافي القدمين وقل عند الدخول بسم الله أعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم وعند الخروج غفرانك الحمد لله الذي أذهب عني ما يؤذيني وأبقى على ما ينفعني وينبغي أن تعد النبل قبل

لا يكاد يجد المصر على العصيان توفيقا ولا تخف أركانه لعبادة الله تعالى فان اتفق فبكد لا حلاوة معه ولا صفوة وكل ذلك لشؤم الذنوب وترك التوبة ولقد صدق من قال اذا لم تقو على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك مكبول قد كبلتك خطيئتك فهذه هذه * والثانى من الامرين انما تلزمك التوبة لتقبل منك عبادتك فان رب الدين لا يقبل الهدية وذلك أن التوبة عن المعاصى وارضاء الخصوم فرض لازم وعامة العبادة التى تقصدها نفل فكيف يقبل منك تبرعك والدين عليك حال لم تقضه وكيف تترك لاجله الحلال والمباح وأنت مصر على فعل المحظور والحرام وكيف تناجيه وتدعوه وتثنى عليه وهو والعياذ بالله عليك غضبان فهذا ظاهر حال العصاة المصرين على المعصية والله المستعان (فان قلت) فما معنى التوبة النصوح وما حدها وما ينبغى للعبد أن يفعله حتى يخرج من الذنوب كلها (فاقول) أما التوبة فانها سعى من مساعى القلب وهى عند التحصيل فى قول العلماء رضى الله عنهم تنزيه القلب عن الذنب * قال شيخنا رحمه الله فى حد التوبة انه ترك اختيار ذنب سبق مثله عنه منزلا لا صورة تعظيما لله تعالى وحذرا من سخطه فلها اذا أربعة شرائط * احداها ترك اختيار الذنب وهو أن يوطن قلبه ويجرد عزمه على أنه لا يعود الى الذنب ألبتة فاما ان ترك الذنب وفى نفسه أنه ربما يعود اليه أولا يعزم على ذلك بل يتردد فانه ربما يقع له العود فانه ممتنع عن الذنب غير تائب منه * والثانية أن يتوب من ذنب قد سبق عنه مثله اذ لو لم يسبق عنه مثله لكان متقيا غير تائب ألا ترى أنه يصح القول بان النبى صلى الله عليه وسلم كان متقيا عن الكفر ولا يصح القول بانه كان تائبا عن الكفر اذ لم يسبق عنه كفر بحال وأن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان تائبا عن الكفر لما سبق عنه ذلك * والثالثة أن الذى سبق عنه يكون مثل الذى يترك اختياره فى المنزلة والدرجة لا فى الصورة ألا ترى أن الشيخ الهرم الفانى الذى سبق منه الزنا وقطع الطريق اذا أراد أن يتوب عن ذلك تمكنه التوبة لا محالة اذ لم يغلق عنه بابها ولا يمكنه ترك اختيار الزنا وقطع الطريق اذ هو لا يقدر الساعة على فعل ذلك فلا يقدر على ترك اختياره فلا يصح وصفه بانه تارك له ممتنع عنه وهو عاجز عنه غير متمكن منه لكنه يقدر على فعل ما هو مثل الزنا وقطع الطريق فى المنزلة والدرجة كالكذب والقذف والغيبة والنميمة اذ جميع ذلك معاص وان كان الاثم يتفاوت فى كل واحدة بقدرها لكن جميع هذه المعاصى الفرعية كلها بمنزلة واحدة وهى دون منزلة البدعة ومنزلة البدعة دون منزلة الكفر فلذلك تصح منه التوبة عن الزنا وقطع الطريق وسائر ما مضى من الذنوب التى هو عاجز عن أمثالها اليوم فى الصورة * والرابعة أن يكون ترك اختياره لذلك تعظيما لله عز وجل وحذرا من سخطه وأليم عقابه مجردا لا لرغبة دنيوية أو رهبة من الناس أو طلب ثناء أو صيت أو جاه أو ضعف فى النفس أو فقر أو غير ذلك فهذه شرائط التوبة وأركانها فاذا حصلت واستكملت فهى توبة حقيقية صادقة وأما مقدمات التوبة فثلاث * احداها ذكر غاية قبح الذنوب * والثانية ذكر شدة عقوبة الله عز وجل وأليم سخطه وغضبه الذى لا طاقة لك به * والثالثة ذكر ضعفك وقلة حيلتك فى ذلك فان من لا يحتمل حر شمس ولا لطمة شرطى ولا قرص نملة كيف يحتمل حر نار جهنم وضرب مقامع الزبانية ولسع حيات كأعناق البخت وعقارب كالبغال خلقت من النار فى دار الغضب والبوار نعوذ بالله ثم نعوذ بالله من سخطه وعذابه فاذا واظبت على هذه الاذكار وعاودتها آناء الليل والنهار فانها ستحملك على التوبة النصوح من الذنوب والله الموفق بفضله (فان قيل) أليس قد قال النبى صلى الله عليه وسلم الندم توبة ولم يذكر مما ذكرتم من شرائطها وشدتم شيأ (يقال له) اعلم أولا أن الندم غير مقدور للعبد ألا ترى أنه تقع الندامة عن أمور فى قلبه وهو يريد أن لا يكون ذلك والتوبة مقدورة للعبد مأمور بها ثم انا قد علمنا أنه لو ندم على الذنوب لما ذهب بذلك جاهه بين الناس أو ماله فى النفقة فيها فان ذلك لا يكون توبة

قضاء الحاجة وأن لا تستنجى بالماء فى موضع قضاء الحاجة وأن تستبرئ من البول بالتنحنح والنتر ثلاثا وبامرار اليد اليسرى على أسفل القضيب وان كنت فى الصحراء فابعد عن عيون الناظرين أو استتر بشىء ان وجدته ولا تكشف عورتك قبل الانتهاء الى موضع الجلوس ولا تستقبل القبلة ولا الشمس ولا القمر ولا تستدبرها ولا تبل فى متحدث الناس ولا تبل فى الماء الراكد وتحت الشجرة المثمرة ولا فى الجحر واحذر الارض الصلبة ومهب الريح احترازا من الرشاش لقوله صلى الله عليه وسلم ان عامة عذاب القبر منه واتكئ فى جلوسك على الرجل اليسرى ولا تبل قائما الا عن ضرورة واجمع فى الاستنجاء بين استعمال الحجر والماء فاذا أردت الاقتصار على أحدهما فالماء أفضل وان اقتصرت على الحجر فعليك أن تستعمل ثلاثة أحجار طاهرة منشفة للعين تمسح بها محل النجو بحيث لا تنتقل النجاسة عن موضعها وكذلك تمسح القضيب فى ثلاثة مواضع من حجر فان لم يحصل الانقاء بثلاثة فتمم خمسة أو سبعة الى أن ينقى بالايتار فالايتار

بلا ريب فعلمت بذلك أن فى الخبر معنى لم تفهمه من ظاهره وهو أن الندم لتعظيم الله سبحانه وخوف عقابه مما يبعث على التوبة النصوح فان ذلك من صفات التائبين وحالهم فانه اذا تذكر الاذكار الثلاثة التى هى مقدمات التوبة ندم وحملته الندامة على ترك اختيار الذنوب وتبقى ندامته فى قلبه فى المستقبل فتحمله على الابتهال والتضرع فلما كان ذلك من أسباب التوبة وصفات التائب سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم باسم التوبة فافهم ذلك موفقا ان شاء الله تعالى (فان قلت) كيف يمكن الانسان أن يصير بحيث لا يقع منه ذنب ألبتة من صغير أو كبير كيف وأنبياء الله صلوات الله عليهم وسلامه الذين هم أشرف خلق الله سبحانه وتعالى قد اختلف فيهم أهل العلم هل نالوا هذه الدرجة أم لا (فاعلم) ان هذا أمر ممكن غير مستحيل ثم هو هين والله يختص برحمته من يشاء * ثم من شرط التوبة أن لا يتعمد ذنبا فاما ان وقع منه بسهو أو خطأ فهو معفو عنه بفضل الله تعالى وهذا هين على من وفقه الله تعالى (فان قلت) انما يمنعنى من التوبة انى أعلم من نفسى أنى أعود الى الذنب ولا أثبت على التوبة فلا فائدة فى ذلك (فاعلم) ان هذا من غرور الشيطان ومن أين لك هذا العلم فعسى أن تموت تائبا قبل أن تعود الى الذنب وأما الخوف من العود فعليك العزم والصدق فى ذلك وعليه الاتمام فان أتم فذاك المقصود من فضله وان لم يتم فقد غفرت ذنوبك السالفة كلها وتخلصت منها وتطهرت وليس عليك الا هذا الذنب الذى أحدثته الآن وهذا هو الربح العظيم والفائدة العظيمة الكبيرة فلا يمنعك خوف العود عن التوبة فانك من التوبة أبدا بين احدى الحسنيين والله ولى التوفيق والهداية فهذه هذه * وأما الخروج عن الذنوب والتخلص منها * فاعلم أن الذنوب فى الجملة ثلاثة أقسام * أحدها ترك واجبات الله سبحانه وتعالى عليك من صلاة أو صوم أو زكاة أو كفارة أو غيرها فتقضى ما أمكنك منها * والثانى ذنوب بينك وبين الله سبحانه وتعالى كشرب الخمر وضرب المزامير أو أكل الربا ونحو ذلك فتندم على ذلك وتوطن قلبك على ترك العود الى مثلها أبدا * والثالث ذنوب بينك وبين العباد وهذا أشكل وأصعب وهى أقسام قد تكون فى المال وفى النفس وفى العرض وفى الحرمة وفى الدين * فما كان فى المال فيجب عليك أن ترده عليه ان أمكنك فان عجزت عن ذلك لعدم وفقر فتستحل منه فان عجزت عن ذلك لغيبة الرجل أو موته وأمكن التصدق عنه فافعل وان لم يمكن فعليك بتكثير حسناتك والرجوع الى الله بالتضرع والابتهال أن يرضيه عنك يوم القيامة * وأما ما كان فى النفس فتمكنه من القصاص أو أوليائه حتى يقتص منك أو يجعلك فى حل فان عجزت فالرجوع الى الله سبحانه والابتهال اليه أن يرضيه عنك يوم القيامة * وأما فى العرض فان اغتبته أو بهته أو شتمته فحقك أن تكذب نفسك بين يدى من فعلت ذلك عنده وأن تستحل من صاحبه ان أمكنك هذا اذا لم تخش زيادة غيظ أو هيج فتنة فى اظهار ذلك أو تجديده فان خشيت ذلك فالرجوع الى الله سبحانه وتعالى ليرضيه عنك ويجعل له خيرا كثيرا فى مقابلته والاستغفار الكثير لصاحبه * وأما الحرمة بان خنته فى أهله أو ولده أو نحوه فلا وجه للاستحلال والاظهار لانه يولد فتنة وغيظا بل تتضرع الى الله سبحانه ليرضيه عنك ويجعل له خيرا كثيرا فى مقابلته فان أمنت الفتنة والهيج وهو نادر فتستحل منه * وأما فى الدين بان كفرته أو بدعته أو ضللته فهو أصعب الامور فتحتاج الى تكذيب نفسك بين يدى من قلت له ذلك وأن تستحل من صاحبك ان أمكنك والا فالابتهال الى الله تعالى جدا والتندم على ذلك ليرضيه عنك * وجملة الامر فما أمكنك من ارضاء الخصوم عملت وما لم يمكنك رجعت الى الله سبحانه وتعالى بالتضرع والابتهال والتصدق ليرضيه عنك فيكون ذلك فى مشيئة الله سبحانه يوم القيامة والرجاء منه بفضله العظيم واحسانه العميم أنه اذا علم الصدق من قلب العبد فانه يرضى خصماءه من خزانة فضله ولا حكم فاعلم هذه حقها راشدا فهذه هذه * فاذا أنت عملت ما وصفنا ورأيت

مستحب والانقاء واجب ولا تستنج الا باليد اليسرى وقل عند الفراغ من الاستنجاء اللهم طهر قلبى من النفاق وحصن فرجى من الفواحش وادلك يدك بعد تمام الاستنجاء بالارض أو بحائط ثم اغسلها ﴿ آداب الوضوء ﴾ فاذا فرغت من الاستنجاء فلا تترك السواك فانه مطهرة للفم ومرضاة للرب ومسخطة للشيطان وصلاة بسواك أفضل من سبعين صلاة بلا سواك وروى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك فى كل صلاة وعنه صلى الله عليه وسلم أمرت بالسواك حتى خشيت أن يكتب على * ثم اجلس للوضوء مستقبل القبلة على موضع مرتفع كى لا يصيبك الرشاش وقل بسم الله الرحمن الرحيم رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون ثم اغسل يديك ثلاثا قبل ان تدخلهما الاناء وقل اللهم انى أسألك اليمن والبركة وأعوذ بك من الشؤم والهلكة ثم انو رفع الحدث أو استباحة الصلاة ولا ينبغى أن تعزب نيتك قبل غسل الوجه فيصبح

القلب عن اختيار مثلها فى المستقبل فقد خرجت من الذنوب كلها وان حصلت منك تبرئة القلب ولم يحصل منك قضاء الفوائت وارضاء الخصوم فالتبعات لازمة وسائر الذنوب مغفورة * ولهذا الباب شرح يطول فلا يحتمله هذا المختصر وانظر كتاب التوبة من كتاب إحياء علوم الدين أولا وكتاب القربة الى الله تعالى ثانيا وكتاب الغاية القصوى ثالثا تجد فوائد كثيرة وشرحا والذى ذكرناه ههنا هو الاصل الذى لابد منه و بالله التوفيق

(فصل) ثم اعلم يقينا أن هذه العقبة عقبة صعبة أمرها مهم وضررها عظيم * فلقد بلغنا عن الاستاذ أبى اسحق الاسفرايني رحمه الله وكان من الراسخين فى العلم العاملين به أنه قال دعوت الله سبحانه ثلاثين سنة أن يرزقني توبة نصوحا ثم تعجبت فى نفسي فقلت سبحان الله حاجة دعوت الله فيها ثلاثين سنة فما قضيت الى الآن فرأيت فيما يرى النائم كأن قائلا يقول لى أتتعجب من ذلك أتدرى ماذا تسأل الله انما تسأل الله سبحانه أن يحبك أما سمعت قوله جل جلاله ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين أفهذه حاجة هينة فانظر الى هؤلاء الأئمة واهتمامهم ومواظبتهم على صلاح قلوبهم والتزود لمعادهم * وأما الضرر المخوف فى تأخير التوبة فان أول الذنب قسوة وآخره والعياذ بالله شؤم وشقوة فاياك أن تنسى أمر ابليس و بلعم بن باعوراء اذ كان مبدأ أمرهما ذنبا وآخره كفرا فهلكا مع الهالكين أبد الآبدين فعليك رحمك الله بالتيقظ والجهد عسى أن تقلع من قلبك عرق هذا الاصرار وتخلص رقبتك من هذه الاوزار ولا تأمن قساوة القلب من الذنوب وتأمل حالك فلقد قال بعض الصالحين ان سواد القلب من الذنوب وعلامة سواد القلب أن لا تجد من الذنوب مفزعا ولا للطاعة موقعا ولا للموعظة منجعا ولا تستحقرن من الذنوب شيأ فتحسب نفسك تائبا وأنت مصر على الكبائر * فلقد بلغنا عن كهمس بن الحسن أنه قال أذنبت ذنبا فانا أبكى عليه منذ أربعين سنة قيل ماهو يا أبا عبد الله قال زارنى أخ لى فى الله فاشتريت له سمكا فأكل ثم قمت الى حائط جارى فأخذت منه قطعة طين فغسل بها يده فناقش نفسك وحاسبها وسارع الى التوبة و بادر فان الاجل مكتوم والدنيا غرور والنفس والشيطان عدوان وتضرع الى الله سبحانه وابتهل اليه واذكر حال أبينا آدم صلى الله عليه وسلم الذى خلقه الله تعالى بيده ونفخ فيه من روحه وحمله الى جنته على أعناق الملائكة لم يذنب الا ذنبا واحدا فنزل به ما نزل حتى روى أن الله تعالى قال له يا آدم أى جار كنت لك قال نعم الجار يارب قال يا آدم اخرج من جوارى وضع عن رأسك تاج كرامتى فانه لا يجاورنى من عصانى حتى انه فيما روى بكى على ذنبه مائتى سنة حتى قبل الله توبته وغفر ذنبه الواحد هذا حاله مع نبيه وصفيه فى ذنب واحد فكيف حال الغير فى ذنوب لا تحصى وهذا تضرع التائب وابتهاله فكيف بالمصر المتعسف ولقد أحسن من قال

يخاف على نفسه من يتوب * فكيف ترى حال من لا يتوب

فان تبت ثم نقضت التوبة وعدت الى الذنب ثانيا فعد الى التوبة مبادرا وقل لنفسك لعلى أموت قبل أن أعود الى الذنب هذه المرة وكذلك ثالثا ورابعا وكما اتخذت الذنب والعود اليه حرفة فاتخذ التوبة أيضا والعود اليها حرفة ولا تكن فى التوبة أعجز منك فى الذنب ولا تيأس ولا يمنعك الشيطان من التوبة بسبب ذلك فانه دلالة الخير أما تسمع قوله صلى الله عليه وسلم خياركم كل مفتن تواب أى كثير الابتلاء بالذنب كثير التوبة منه والرجوع الى الله جل جلاله بالندامة والاستغفار وتذكر قوله سبحانه ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما فهذه هذه و بالله التوفيق

(فصل) وجملة الامر أنك اذا ابتدأت فبرأت قلبك عن الذنوب كلها بان توطنه على أن لا تعود الى الذنب أبدا ألبتة الا ما كان منك فى علم الله على وجه علم الله سبحانه وتعالى صدق عزمك من قلب نقى

وترضى

وضوؤك ثم خذ غرفة لفيك وتمضمض بها ثلاثا و بالغ فى رد الماء الى الغلصمة الا أن تكون صائما فترفق وقل اللهم أعنى على تلاوة كتابك وكثرة الذكر لك وثبتنى بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة * ثم خذ غرفة لانفك واستنشق بها ثلاثا واستنثر ما فى الانف من رطوبة وقل فى الاستنشاق اللهم أرحنى رائحة الجنة وأنت عنى راض وفى الاستنثار اللهم انى أعوذ بك من روائح النار وسوء الدار ثم خذ غرفة لوجهك فاغسل بها مبتدأ تسطيح الجبهة الى منتهى ما يقبل من الذقن فى الطول ومن الاذن الى الاذن فى العرض وأوصل الماء الى موضع التحذيف وهو ما يعتاد النساء تنحية الشعر عنه وهو ما بين رأس الاذن الى زاوية الجبين أعنى ما يقع منه فى جبهة الوجه وأوصل الماء الى منابت الشعور الاربعة الحاجبين والشاربين والاهداب والعذارين وهما ما يوازى الاذنين من مبتدإ اللحية ويجب ايصال الماء الى منابت الشعر من اللحية الخفيفة دون الكثيفة وقل عند غسل الوجه اللهم بيض وجهى بنورك يوم تبيض

وترضى الخصوم بما أمكنك وتقضى الفوائت بما تقدر عليه وترجع فى البواقى الى الله سبحانه وتعالى بالابتهال والتضرع ليكفيك ذلك ثم تذهب فتغتسل وتغسل ثيابك وتصلى أربع ركعات كما يجب وتضع وجهك على الارض فى مكان خال لا يراك الا الله سبحانه وتعالى ثم تجعل التراب على رأسك وتمرغ وجهك الذى هو أعز أعضائك فى التراب بدمع جار وقلب حزين وصوت عال وتذكر ذنوبك واحدا واحدا ما أمكنك وتلوم نفسك العاصية عليها وتوبخها وتقول أما تستحين يا نفس أما آن لك أن تتوبى ألك طاقة بعذاب الله سبحانه ألك حاجة بسخط الله سبحانه وتذكر من هذا كثيرا وتبكى * ثم ترفع يديك الى الرب الرحيم سبحانه وتقول الهى عبدك الآبق رجع الى بابك عبدك العاصى رجع الى الصلح عبدك المذنب أتاك بالعذر فاعف عنى بجودك وتقبلنى بفضلك وانظر الى برحمتك اللهم اغفر لى ما سلف من الذنوب وأعصمنى فيما بقى من الاجل فان الخير كله بيدك وأنت بنا رؤف رحيم ثم تدعو دعاء الشدة وهو يا مجلى عظائم الامور يا منتهى همة المهمومين يا من اذا أراد أمرا فانما يقول له كن فيكون أحاطت بنا ذنوبنا أنت المذخور لها يا مذخورا لكل شدة كنت أدخرك لهذه الساعة فتب على انك أنت التواب الرحيم ثم أكثر من البكاء والتذلل والتضرع وقل يا من لا يشغله شأن عن شأن ولا سمع عن سمع يا من لا تغالطه كثرة المسائل يا من لا يبرمه إلحاح الملحين أذقنا برد عفوك وحلاوة مغفرتك برحمتك يا أرحم الراحمين انك على كل شئ قدير ثم تصلى على النبى صلى الله عليه وسلم وعلى آله ثم تستغفر لجميع المؤمنين والمؤمنات وترجع الى طاعة الله جل جلاله فتكون قد تبت توبة نصوحا وقد خرجت من الذنوب طاهرا كيوم ولدتك أمك وأحبك الله سبحانه ولك من الاجر والثواب وعليك من البركة والرحمة ما لا يحيط به وصف الواصفين وحصل لك الأمن والخلاص ونجوت من غضبه وغصة المعاصى وبليتها فى الدنيا والآخرة وكنت قد قطعت هذه العقبة باذن الله سبحانه وتعالى والله ولى الهداية بمنه وفضله

﴿ العقبة الثالثة وهى عقبة العوائق ﴾

ثم عليك يا طالب العبادة وفقك الله تعالى بدفع العوائق حتى تستقيم عبادتك وقد ذكرنا أن العوائق أربعة * أحدها الدنيا وما فيها ودفعها انما هو بالتجرد عنها والزهد فيها وانما لزمك هذا التجرد والزهد لامرين أحدهما لتستقيم لك العبادة وتكثر فان الرغبة فى الدنيا تشغلك أما ظاهرك فبالطلب وأما باطنك فبالارادة وحديث النفس وكلاهما يمنع العبادة فان النفس واحدة والقلب واحد فاذا اشتغل بشئ انقطع عن ضده وان مثل الدنيا والآخرة كمثل الضرتين ان أرضيت احداهما أسخطت الاخرى وانهما كالمشرق والمغرب بقدر ما تميل الى احداهما أعرضت عن الآخرة أما شغلها فى الظاهر فقد روينا عن أبى الدرداء رضى الله عنه أنه قال زاولت أن أجمع بين العبادة والتجارة فلم تجتمعا فأقبلت على العبادة وتركت التجارة * وعن عمر رضى الله عنه انه قال لو كانتا مجتمعين لاحد غيرى لاجتمعتا لى لما أعطانى الله سبحانه من القوة واللين فاذا كان الحديث كذلك فاضر بالفانية واختر السلامة والسلام * وأما شغلها بالقلب وهو الباطن لمكان الارادة فما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى فبان لك أنه اذا اشتغل ظاهرك بالدنيا وباطنك بارادتها فلا تتيسر لك العبادة حقها وأما اذا زهدت فيها فتفرغت بظاهرك وباطنك تتيسر لك العبادة بل تعاونك أعضاؤك عليها * ولقد روى عن سلمان الفارسى رضى الله عنه أنه قال ان العبد اذا زهد فى الدنيا استنار قلبه بالحكمة وتعاونت أعضاؤه فى العبادة فهذه هذه * والثانى من الامرين أنه يكثر قيمة عملك ويعظم قدره وشرفه فلقد قال صلى الله عليه وسلم ركعتان من رجل عالم زاهد قلبه خير وأحب الى الله جل جلاله من عبادة المتعبدين الى آخر الدهر أبدا سرمدا فاذا كانت العبادة

وجوه أوليائك ولا تسود وجهى بظلماتك يوم تسود وجوه أعدائك ولا تترك تخليل اللحية الكثيفة ثم اغسل يدك اليمنى ثم اليسرى مع المرفقين الى أنصاف العضدين فان الحلية فى الجنة تبلغ مواضع الوضوء وقل عند غسل اليمنى اللهم أعطنى كتابى بيمينى وحاسبنى حسابا يسيرا وعند غسل الشمال اللهم انى أعوذ بك أن تعطينى كتابى بشمالى أو من وراء ظهرى * ثم استوعب رأسك بالمسح بان تبل يديك وتلصق رؤس أصابع يدك اليمنى باليسرى وتضعهما على مقدمة الرأس وتمرهما الى القفا ثم تردهما الى المقدمة فهذه مرة تفعل ذلك ثلاث مرات وكذلك فى سائر الاعضاء وقل اللهم غشنى برحمتك وأنزل على من بركاتك وأظلنى تحت ظل عرشك يوم لا ظل الا ظلك اللهم حرم شعرى وبشرى على النار ثم تمسح أذنيك ظاهرهما وباطنهما بماء جديد وأدخل مسبحتيك فى صماخى أذنيك وامسح ظاهر أذنيك ببطن ابهاميك وقل اللهم اجعلنى من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اللهم أسمعنى منادى الجنة فى الجنة مع

تشرف وتكثر بذلك لحق لمن طلب العبادة أن يزهد فى الدنيا ويتجرد عنها (فان قلت) فما معنى الزهد فى الدنيا وما حقيقة ذلك (فاعلم) أن الزهد عند علمائنا رحمهم الله زهدان زهد مقدور للعبد وزهد غير مقدور فالذى هو مقدور ثلاثة أشياء ترك طلب المفقود من الدنيا وتفريق المجموع منها وترك ارادتها واختيارها * وأما الزهد الذى هو غير مقدور للعبد فهو برودة الشئ على قلب الزاهد * ثم الزهد الذى هو مقدور للعبد مقدمات للزهد الذى هو غير مقدور للعبد فاذا أتى به العبد بان لا يطلب ماليس عنده من الدنيا ويفرق ماعنده منها ويترك بالقلب ارادتها واختيارها لاجل الله وعظيم ثوابه بذكره لآفاتها أورثته تلك برودة الدنيا على قلبه وهذا عندى هو الزهد الحقيقى * ثم اعلم ان أصعب الامور الثلاثة انما هو ترك الارادة بالقلب اذ كم من تارك لها بظاهره محب مريد لها بباطنه فهو فى مكافحة ومقاساة شديدة من نفسه والشأن كله فى هذه ألم تسمع الى قوله سبحانه عز من قائل تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا علق الحكم بنفى الارادة دون الطلب والفعل المراد وقوله سبحانه من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله فى الآخرة من نصيب وقوله تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء وقوله ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها الآية أما ترى الاشارة كلها الى الارادة فامرها هو المهم اذن لكن العبد اذ واظب واستقام على الاولين أعنى التفريق والترك فأمول من فضل الله سبحانه أن يوفقه لدفع هذه الارادة والاختيار عن قلبه فانه المتفضل الكريم عز وجل * ثم الذى يبعث على الترك والتفريق ويهون عليك ذلك ذكر آفات الدنيا وعيوبها وقد أكثر الناس القول فى ذلك فمنه قول بعضهم تركت الدنيا لقلة غنائها وكثرة عنائها وسرعة فنائها وخسة شركائها (قال شيخى الامام رحمه الله) لكن يجىء من هذا رائحة الرغبة الفائحة لان من شكا فراق أحد أحب وصاله ومن ترك شيأ لمكان الشركاء فيه أحب لو انفرد به فالقول البالغ فيه ماقاله شيخنا رحمه الله تعالى ان الدنيا عدو لله عز وجل وأنت محبه ومن أحب أحدا أبغض عدوه * قال ولانها فى أصلها وسخة جيفة ألا ترى ان آخرها الى القذر والفساد والتلاشى والاضمحلال والنفاد لكنها جيفة ضمخت بطيب وطويت بزينة فاغتر بظاهرها الغافلون وزهد فيها العاقلون (فان قيل) فما حكم الزهد فى الدنيا أهو فرض أم نفل (فاعلم) ان الزهد يقع عندنا فى الحلال والحرام فهو فى الحرام فرض وفى الحلال نفل ثم منزلة هذا الحرام لمستقيمى الطاعات بمنزلة الميتة المستقذرة لا يقدم عليها الا عند الضرورة بمقدار دفع الضرر * وأما الزهد فى الحلال فانما يكون فى منزلة الابدال يكون عندهم الحلال بمنزلة الميتة لا يتناولون منها الا قدرا لا بد منه والحرام عندهم بمنزلة النار لا يخطر ببالهم قصد تناولها بحال وهذا معنى البرودة على القلب بان يقطع همته عنها ويستقذرها ويستنكرها حدا فلا يبقى لها فى قلبه اختيار ولا ارادة (فان قلت) كيف يمكن أن تصير الدنيا فى شهواتها ولذاتها العجيبة المطلوبة عند الانسان بمنزلة النار أو بمنزلة الجيفة المستقذرة المستحيلة والبنية بنيتنا والطبع طبعنا (فاعلم) أن من وفق التوفيق الخاص وعلم آفاتها وقذرها فى أصلها فتصير عنده كذلك وانما يتعجب من هذا الراغبون العميان عن عيوب الدنيا وآفاتها المغترون بظاهرها وزينتها * وسأضرب لك مثلا لذلك فاعلم أن هذا يمثل بانسان صنع خبيصا بشرائطه من السكر وغيره ثم طرح فيه قطعة سم قاتل وأبصر ذلك رجل ولم يبصره آخر ووضع الخبيص بين أيديهما مزينا مزخرفا فالرجل الذى أبصر ماجعل فيه من السم يكون زاهدا فى ذلك الخبيص لا يخطر بباله أن يتناول منه بحال ألبتة ويكون ذلك عنده بمنزلة النار بل أصعب لمكان مايعلم من آفاته فلا يغتر بظاهره وزينته * وأما الرجل الآخر الذى لم يبصر ماجعل فيه اغتر بظاهره المزخرف وحرص عليه ولم يصبر عنه وأخذ يتعجب من صاحبه

الابرار ثم امسح رقبتك وقل اللهم فك رقبتى من النار وأعوذ بك من السلاسل والاغلال ثم اغسل رجلك اليمنى ثم اليسرى مع الكعبين وتخلل بخنصر اليسرى اصابع رجليك مبتدئا بخنصر اليمنى حتى تختم بخنصر اليسرى وتخلل الاصابع من أسفل وقل اللهم ثبت قدمى على الصراط المستقيم مع أقدام عبادك الصالحين وكذلك تقول عند غسل اليسرى اللهم انى أعوذ بك أن تزل قدمى على الصراط فى النار يوم تزل أقدام المنافقين والمشركين وارفع الماء الى أنصاف الساقين وراع التكرار ثلاثا فى جميع أفعالك فاذا فرغت من الوضوء فارفع بصرك الى السماء وقل أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد أن محمدا عبده ورسوله سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا أنت عملت سوأ وظلمت نفسى أستغفرك وأتوب اليك فاغفر لى وتب على انك أنت التواب الرحيم اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين واجعلنى من عبادك الصالحين واجعلنى صبورا شكورا واجعلنى أذكرك

الزاهد فيه ور بما يسفهه فى ذلك فهذا مثل حرام الدنيا مع البصراء المستقيمين والجهال الراغبين فان لم يطرح فيه السم ولكن بصق فيه أوامتخط ثم ضمخه وزينه فالرجل الذى شاهد منه ذلك الفعل يكون مستقذرا لذلك الخبيص نافرا عنه لا يكاد يقدم عليه الا عند الضرورة وشدة الحاجة اليه والذى لم يشاهد ذلك فهو جاهل بما فيه مغتر بظاهره حريص عليه مكب معجب محب فهذا مثل حلال الدنيا مع الفريقين أهل البصيرة والاستقامة وأهل الرغبة والغفلة وانما اختلف حال الرجلين مع تساويهما فى الطبع والبنية لبصلرة وعلم كان لاحدهما وجهل وجفاء كان للآخر فلوعلم الراغب وأبصر ماعلمه الزاهد لكان زاهدا مثله ولوجهل الزاهد وعمى عما عمى عنه الراغب لكان راغبا مثله فعلمت بذلك أن هذا التميز لمكان البصائر دون الطبائع وهذا أصل مفيد وكلام بين سديد اعترف به من عقل وأنصف والله تعالى ولى الهداية والتوفيق بفضله * فان قيل فلا بد من قدر من الدنيا ليكون قواما لنا فكيف نزهد فيها * فاعلم أن الزهد فى الفضول مما لا يحتاج اليه فى قوام البنية فالمقصود القوام والقوة حتى تعبد الله سبحانه لا الاكل والشرب والتلذذ والله تعالى ان شاء أقامها بشئ وسبب وان شاء تعالى أقامها بغير سبب كالملائكة عليهم السلام ثم ان كان بشئ ان شاء فبشئ حاصل عندك أو بطلبك وكسبك وان شاء بشئ غيره يسببه لك من حيث لا تحتسب من غير طلب منك وكسب كما قال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فاذا الاحتياج بحال الى طلب وارادة فان لم تقو على ذلك الزهد وطلبت وأردت فانو بذلك العدة والتقوى على عبادة الله سبحانه وتعالى دون الشهوة واللذة فانك اذا نويت ذلك كان الطلب والارادة منك خيرا وطلبا للآخرة بالحقيقة لا للدنيا ولا يقدح فى زهدك وتجردك فاعلم هذه الجملة راشدا وبالله التوفيق (العائق الثانى الخلق) ثم عليك وفقك الله وايانا لطاعته بالتفرد عن الخلق وذلك لامرين * أحدهما انهم يشغلونك عن عبادة الله عز وجل على ماحكى عن بعضهم أنه قال مررت بجماعة يترامون وواحد جالس بعيدا منهم فاردت أن أكلمه فقال ذكر الله أشهى الى من كلامك فقلت أنت وحدك فقال معى ربى وملكاى فقلت من سبق من هؤلاء فقال من غفر الله له فقلت أين الطريق فاشار بيده نحو السماء وقام وتركنى وقال أكثر خلقك عنك شاغل فالخلق اذا يشغلونك عن العبادة بل يمنعونك منها بل يوقعونك فى الشر والهلاك على ماقال حاتم الاصم رحمه الله طلبت من هذا الخلق خمسة أشياء فلم أجدها طلبت منهم الطاعة والزهادة فلم يفعلوا فقلت أعينونى عليهما ان لم تفعلوا فلم يفعلوا فقلت ارضوا عنى ان فعلت فلم يفعلوا فقلت لا تمنعونى عنهما اذا فعلت فلم يفعلوا فقلت لا تدعونى الى مالا يرضى الله العظيم ولا تعادونى عليه ان لم آتابعكم فلم يفعلوا فتركتهم واشتغلت بخاصة نفسى * واعلم أيها الاخ فى الدين ان نبيك محمدا صلى الله عليه وسلم وصف زمان العزلة وبين نعته ونعت أهله وأمر فيه بالتفرد وكان صلى الله عليه وسلم لا محالة أعلم بالصالح وأنصح لنا منا لانفسنا فان وجدت زمانك على ماوصف وبين فامتثل أمره صلى الله عليه وسلم واقبل نصيحته ولا تشك فى انه صلى الله عليه وسلم كان أعرف بما يصلح لك فى زمانك ولا تتعلل بالعلل الكاذبة ولا تخادع نفسك والا فانت هالك ولا عذر لك والوصف الذى ذكرناه منها ماهو فى الخبر المشهور عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما انه قال بينا نحن حول النبى صلى الله عليه وسلم اذ ذكرت الفتنة فقال اذا رأيتم الناس مرجت عهودهم وخفت أماناتهم وكانوا هكذا وشبك بين أصابعه قلت ما أصنع عند ذلك جعلنى الله فداءك قال الزم بيتك واملك عليك لسانك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وعليك بامر الخاصة ودع عنك أمر العامة وذكر فى خبر آخر أنه عليه الصلاة والسلام قال ذلك أيام الهرج قيل وما أيام الهرج قال حين لا يأمن الرجل جليسه * وذكر ابن مسعود رضى الله عنه فى خبر آخر للحرث بن عميرة أنه صلى

ذكرا كثيرا وأسبحك بكرة وأصيلا فمن قال هذه الدعوات فى وضوئه خرجت خطاياه من جميع أعضائه وختم على وضوئه بخاتم ورفع له تحت العرش فلم يزل يسبح الله ويقدسه ويكتب له ثواب ذلك الوضوء الى يوم القيامة * واجتنب فى وضوئك سبعا لا تنفض يديك فترش الماء ولا تلطم رأسك ووجهك بالماء لطما ولا تتكلم فى أثناء الوضوء ولا تزد فى الغسل على ثلاث مرات ولا تكثر صب الماء من غير حاجة بمجرد الوسواس فللموسوسين شيطان يلعب بهم يقال له الولهان ولا تتوضأ بالماء المشمس ولا فى الاوانى الصفرية فهذه السبعة مكروهة فى الوضوء وفى الخبر أن من ذكر الله عند وضوئه طهر الله جسده كله ومن لم يذكر الله لم يطهر منه الا ما أصابه الماء

{ آداب الغسل }

فاذا أصابتك جنابة من احتلام أو وقاع فاحمل الاناء الى المغتسل واغسل يديك أولا ثلاثا وأزل ما على بدنك من قذر وتوضأ كما سبق وضوءك للصلاة مع جميع الدعوات وأخر غسل رجليك كى لا يضيع الماء فاذا فرغت من الوضوء فصب الماء على رأسك ثلاثا

الله عليه وسلم قال له ان يدفع عن عمرك فسيأتى عليك زمان كثير خطباؤه قليل علماؤه كثير سؤاله قليل معطوه الهوى فيه قائد العلم قال ومتى ذاك قال اذا أميتت الصلاة وقبلت الرشا ويباع الدين بعرض يسير من الدنيا فالنجاء النجاء ويحك ثم النجاء (قلت) وجميع ما ذكر فى هذه الاخبار تراه بعينك فى زمانك وأهله فانظر لنفسك * ثم ان السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعوا على التحذير من زمانهم وأهله وآثروا العزلة وأمروا بذلك وتواصوا به ولاشك أنهم كانوا أبصر وأنصح وان الزمان لم يصر بعدهم خيرا مما كان بل أشر منه وأمر وهذا ما ذكر عن يوسف بن أسباط أنه قال سمعت الثورى يقول والله الذى لا اله الا هو لقد حلت العزلة فى هذا الزمان قلت انا ولئن حلت فى زمانه ففى زماننا هذا وجبت وافترضت * وعن سفيان الثورى أيضا أنه كتب الى عباد الخواص رحمهما الله أما بعد فانك فى زمان كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يتعوذون بالله من أن يدركوه فيما بلغنا ولهم من العلم ما ليس لنا فكيف بنا حين أدركناه على قلة علم وقلة صبر وقلة أعوان على الخير وكدر من الدنيا وفساد من الناس فان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال فى العزلة راحة من خلطاء السوء وفى مثل هذا قيل

هذا الزمان الذى كنا نحاذره * فى قول كعب وفى قول ابن مسعود
دهر به الحق مردود بأجمعه * والظلم والبغى فيه غير مردود
أعمى أصم من الازمان ملتبس * فيه لابليس تصويب وتصعيد
ان دام هذا ولم يحدث له غير * لم يبك ميت ولم يفرح بمولود

ولقد وجدت عن سفيان بن عيينة أنه قال قلت للثورى أوصنى قال أقلل من معرفة الناس قلت يرحمك الله أليس قد جاء فى الخبر أكثروا من معرفة الناس فان لكل مؤمن شفاعة قال لا أحسبك رأيت قط ما تكره الا ممن تعرف قلت أجل ثم مات رحمه الله فرأيته بعد موته فى المنام فقلت يا أبا عبد الله أوصنى قال أقلل من معرفة الناس ما استطعت فان التخلص منهم شديد وقد قيل فى معنى هذا الخبر نظما

وما زلت مذ لاح المشيب بمفرقى * افتش على هذا الورى وأكشف
فما ان عرفت الناس الا ذممتهم * جزى الله خيرا كل من لست أعرف
ومالى ذنب أستحق به الجفا * سوى أننى أحببت من ليس ينصف

قال وقيل كتب على باب الدار جزى الله من لا يعرفنا خيرا ولا جزى بذلك أصدقاءنا فما أوذينا قط الا منهم وأنشدوا فيه

جزى الله عنا الخير من ليس بيننا * ولا بينه ود ولا تعارف
فما صابناهم ولا نالنا أذى * من الناس الا من نود ونعرف

(قال الفضيل رحمه الله) هذا زمان احفظ لسانك واخف مكانك وعالج قلبك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر * وقال سفيان الثورى هذا زمان السكوت ولزوم البيوت والرضا بالقوت الى أن تموت (وعن داود الطائى) رحمه الله صم عن الدنيا واجعل فطرك الآخرة وفر من الناس فرارك من الاسد وعن أبى عبيدة ما رأيت حكيما قط الا قال لى فى عقب كلامه ان أحببت ألا تعرف فانت من الله على بال والاخبار فى هذا الباب أكثر من أن يحتملها هذا الكتاب وقد صنفنا فيه كتابا مفردا وسميناه كتاب أخلاق الابرار والنجاة من الاشرار فقف عليه ترى العجب العجاب والعاقل يكفيه اشارة والله ولى التوفيق والهداية بفضله * وأما الخصلة الثانية التى تقتضى التفرد عن الناس فى هذا الشأن ان الناس يفسدون عليك ما يحصل لك من العبادة ان لم يعصم الله سبحانه بسبب ما يعرض من قبلهم من

وأمته ورفع الحدث من الجنابة ثم على شقك الايمن ثلاثا ثم على الايسر ثلاثا وادلك ما أقبل من بدنك وما أدبر وخلل شعر رأسك ولحيتك وأوصل الماء الى معاطف البدن ومنابت الشعر ما خفى منه وما كشف واحذر أن تمس ذكرك بعد الوضوء فان أصابته يدك فأعد الوضوء والفريضة ومن جملة ذلك كله النية وازالة النجاسة واستيعاب البدن بالغسل ومن الوضوء غسل الوجه واليدين مع المرفقين ومسح بعض الرأس وغسل الرجلين الى الكعبين مرة مرة مع النية والترتيب وما عداها سنن مؤكدة فضلها كثير وثوابها جزيل والمتهاون بها خاسر بل هو بأصل فرائضه مخاطر فان النوافل جوابر للفرائض

(آداب التيمم)

فان عجزت عن استعمال الماء لفقده بعد الطلب أو لعذر من مرض أو لمانع من الوصول اليه من سبع أو حبس أو كان الماء حاجة تحتاج اليه لعطشك أو عطش رفيقك أو كان ملكا لغيرك ولم يبع الا بأكثر من ثمن المثل أو كانت بك جراحة أو مرض تخاف منه على نفسك فاصبر حتى

دواعي الرياء والتزين ، ولقد صدق يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله حيث قال رؤية الناس بساط الرياء وهؤلاء الزهاد قد خافوا على أنفسهم من هذا المعنى حتى تركوا الملاقاة والتزاور ولقد ذكر أن هرم ابن حيان قال لأويس القرني رحمهما الله يا أويس صلنا بالزيارة واللقاء فقال أويس قد وصلتك بما هو أنفع لك منهما وهو الدعاء على ظهر الغيب لأن الزيارة واللقاء يعرض فيهما التزين والرياء . وقيل لسليمان الخواص حين قدم ابراهيم بن أدهم أفلا تأتيه فقال لأن ألقى شيطانا ماردا أحب إلى من لقائه فاستنكروا ذلك من قوله فقال إنى أخاف إذا لقيته أن أتزين له وإذا لقيت شيطانا امتنعت منه ولقد لقى شيخى الامام بعض العارفين فتذاكراMelia ثم دعوا فى آخر حديثهما فقال شيخى الامام للعارف ما أظننى جلست مجلسا أنا به أرجى من مجلسى هذا فقال له العارف لكنى ما جلست مجلسا أنا له أخوف من مجلسى هذا ألست تعمد إلى أحسن حديثك وعلومك فتحدثنى بها وتظهرها بين يدى وأنا كذلك فقد وقع الرياء فبكى شيخى الامام مليا ثم غشى عليه فكان بعد ذلك يتمثل بهذه الأبيات :

يا ويلتا من موفق مابه * أخوف من يعدل الحاكم * أبارز الله بعصيانه

وليس لى من دونه راحم * يارب عفوا منك عن مذنب * أسرف إلا أنه نادم

يقول فى الليل إذا ما دجى * آها لذنب ستر العالم

فهذه حال أهل الزهد والرياضة فى ملاقاتهم فكيف حال أهل الرغبة والبطالة بل حال أهل الشر والجهالة . اعلم أن الزمان قد أصبح فى فساد عظيم وأصبح الناس فى ضر كثير فانهم يشغلونك عن عبادة الله تعالى حتى لا يكاد يحصل لك منها شىء ثم يفسدون عليك ما حصل لك حتى لا يكاد يسلم لك منها شىء فلزمتك العزلة والتفرد عن الناس والاستعاذة بالله من شر هذا الزمان وأهله والله تعالى الحافظ بفضله ورحمته . فان قيل فما حكم العزلة والتفرد عن الناس فبين لنا حال طبقات الخلق فيها والحد الذى يجب منها ؟ فاعلم رحمك الله وإيانا أن الناس فى هذا الباب رجلان رجل لا حاجة بالخلق إليه فى علم وبيان حكم فالأولى بهذا الرجل التفرد عن الناس فلا يخالطهم إلا فى جمعة أو جماعة أو عيد أو حج أو مجلس علم بالسنة أو حاجة فى معيشة لا بد له من ذلك وإلا فيوارى شخصه ويلزم كنه لا يعرف ولا يعرف فأما إن أحب هذا الرجل أن ينقطع عن الناس فلا يخالطهم فى أمر من الأمور ألبتة من دين أو دنيا وجماعة وجمعة أو غيرهما لما يرى له فى ذلك من مصلحته وفراغه فانه لا يسعه ذلك إلا بأحد أمرين : إما أن يصير إلى موضع لا يلزمه هنالك هذه الفروض كرؤوس الجبال وبطون الأودية ونحوها ولعل هذا أحد الوجوه التى دعت العباد إلى تلك المواضع البعيدة عن الناس ، وإما أن يتيقن بالحقيقة أن الضرر الذى يلحقه فى مخالطة الناس بسبب هذه الفروض أعظم من تركها فحينئذ يكون له عذر فى تركها ولقد رأيت أنا بمكة حرسها الله بعض المشايخ المنفردين من أهل العلم وهو لا يحضر المسجد الحرام فى الجماعات مع قربه منه وسلامة حاله فحاورته فى ذلك يوما فى حال ترددى إليه فذكر من عذره ما أشرنا إليه وهو أن ما يحصل له من الثواب لا يفى بما يلحقه من الآثام والتبعات فى الخروج إلى المسجد ولقاء الناس . قلت أنا وجملة الأمور فلا عتب على المعذور والله تعالى أعلم بالعذر وهو عليم بذات الصدور ولكن الطريق العدل فيه هو الأول بأن يشارك الناس فى الجمعة والجماعات وضروب الخيرات ويباينهم فيما سوى ذلك فان أحب الطريق الثانى بأن ينقطع عن الناس بمرة فسبيله الخروج إلى مواضع لا تتوجه عليه هذه الفروض لأن الطريق الثالث وهو أن يكون مع الناس فى مصر واحد ولا يحضر جمعة ولا جماعة لعذر يراه فى ذلك من وزر أو تبعة عليه فانه يحتاج إلى نظر دقيق وعوارض عظيمة حتى يسقط ذلك عنه وفيه خطر من الغلط فالأولان أسلم وأحفظ لمن والله ولى الهداية بفضله . وأما الرجل الثانى فرجل يكون قدوة فى العلم بحيث يحتاج الناس إليه

يدخل وقت الفريضة ثم اقصد صعيدا طيبا عليه تراب خالص طاهر لين فاضرب عليه بكفيك ضاما بين أصابعك وانو استباحة فرض الصلاة وامسح بهما وجهك مرة واحدة ولا تتكلف إيصال الغبار إلى منابت الشعر خف أو كثف ثم انزع خاتمك واضرب ضربة ثانية مفرقا بين أصابعك وامسح بهما يديك مع مرفقيك فان لم تستوعبهما فاضرب ضربة أخرى إلى أن تستوعبهما ثم امسح إحدى كفيك بالأخرى وامسح ما بين أصابعك بالتخليل وصل به فرضا واحدا وما شئت من النوافل فان أردت فرضا ثانيا فاستأنف له تيمما آخر

{ آداب الخروج إلى المسجد }

فاذا فرغت من طهارتك فصل فى بيتك ركعتى الفجر إن كان الفجر قد طلع ، كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم توجه إلى المسجد ولا تدع الصلاة فى الجماعة لاسيما الصبح فصلاة الجماعة تفضل على صلاة المنفرد بسبع وعشرين درجة فان كنت تتساهل فى مثل هذا الربح فأى فائدة لك فى طلب العلم وإنما ثمرة العلم العمل به فاذا مشيت

فى أمر دينهم لبيان حق أو ردّ على مبتدع أو دعوة الى خير بفعل أو بقول أو نحو ذلك فلا يسع مثل هذا الرجل الاعتزال عن الناس بل ينصب نفسه بينهم ناصحا الخلق الله تعالى ذابا عن دين الله تعالى مبينا لاحكام الله فلقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا ظهرت البدع وسكت العالم فعليه لعنة الله هذا اذا كان بينهم واذا خرج من بينهم فلا يجوز له أيضا الاعتزال * ولقد حكى أن الاستاذ أبا بكر بن فورك رحمه الله قصد أن ينفرد لعبادة الله عن الناس فبينما هو فى بعض الجبال اذ سمع صوتا ينادى يا أبا بكر اذ صرت من حجج الله على خلقه تركت عباد الله فرجع وكان هذا سبب صحبته للخلق * وذكر لى مأمون بن أحمد رحمه الله ان الاستاذ أبا اسحاق رحمه الله قال لعباد جبل لبنان يا أكلة الحشيش تركتم أمة محمد صلى الله عليه وسلم فى أيدى المبتدعة واشتغلتم ههنا بأكل الحشيش قالوا انا لا نقوى على صحبة الناس وانما أعطاك الله قوة فلزمك ذلك فصنف بعد ذلك كتابه الجامع للجلى والخفى وكان لهم رضى الله عنهم مع غزارة علمهم العمل الجم والنظر الدقيق فى سلوك طريق الآخرة * واعلم ان مثل هذا الرجل المحتاج اليه الناس فى طرق باب الدين يحتاج فى صحبة الخلق الى أمرين شديدين * أحدهما صبر طويل وحلم عظيم ونظر لطيف واستعانة بالله تعالى دائمة * والثانى أن يكون فى هذا المعنى منفردا عنهم وان كان بالشخص معهم فان كلموه كلمهم وان زاروه عظمهم على قدرهم وشكرهم وان سكتوا عنه وأعرضوا عنه استغنم ذلك منهم وان كانوا فى حق وخير ساعدهم وان صاروا الى لغو وشر خالفهم وهجرهم بل ردعليهم وزجرهم ان رجا قبولهم ثم يقوم بجميع حقوقهم من الزيارات والعيادات وقضاء الحاجات التى ترتفع اليه ما أمكنه ولا يطالبهم بالمكافآت ولا يرجو ذلك منهم ولا يريهم من نفسه استيحاشا لذلك ويباسطهم بالبذل ان قدر وينقبض عنهم فى الاخذ ان أعطى ويتحمل منهم الاذى ويظهر لهم البشر ويتجمل بظاهره لهم ويكتم حاجاته عنهم فيقاسيها بنفسه ويعالجها فى سره وباطنه ثم يحتاج مع ذلك أن ينظر لنفسه خاصة فيجعل لها حظا من العبادة الخالصة كما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان نمت الليل لاضيعن نفسى وان نمت النهار لاضيعن الرعية فكيف لى بالنوم بين هاتين وفى هذا المعنى عرض لى أبيات من الشعر وهى

فان كنت فى هدى الائمة راغبا * فوطن على ان تنتحيك الوقائع
بنفس وقور عند كل كريهة * وقلب صبور وهو فى الصدر مانع
لسانك مخزون وطرفك ملجم * وسرك مكتوم لدى الرب ذائع
وذكرك مغمور وبابك مغلق * وثغرك بسام وبطنك جائع
وقلبك مجروح وسوقك كاسد * وفضلك مدفون وطعنك شائع
وفى كل يوم أنت جارع غصة * من الدهر والاخوان والقلب طائع
نهارك شغل الناس من غير منة * وليلك شوق غاب عنه الطلائع
فدونك هذا الليل خذه ذريعة * ليوم عبوس عز فيه الذرائع

نعم يكون بالنفس معهم والقلب ما أبعده عنهم وذلك لعمرى أمر شديد وعيش نكد وفيه يقول شيخنا رحمه الله فى وصيته يا بنى عش مع أهل زمانك ولا تقتد بهم ثم قال ما أشد هذا العيش مع الاحياء والاقتداء بالاموات * وعن ابن مسعود رضى الله عنه خالط الناس وزايلهم ودينك لا تكلمنه فهذه نكتة مقنعة * ثم أقول اذا ماج الفتن بعضها فى بعض وتراجع الامر وولى الناس عن أمر الدين مدبرين لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة ولا يطلبون علما ولا يرمقون مفيدا ولا يعنيهم أمر دينهم ألبتة وترى الفتنة تعم العامة وتدب بين الخاصة فللعالم العذر فى العزلة والتفرد دون العلم وأخاف ان ماذكرناه هو هذا الزمان النكد الصعب والله المستعان وعليه التكلان فهذا حكم العزلة والتفرد عن الناس فافهمه فان الغلط فيه عظيم

وضره

الى المسجد فامش على الهينة والسكينة ولا تعجل وقل فى طريقك اللهم بحق السائلين عليك وبحق الراغبين اليك وبحق ممشاى هذا اليك فانى لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة بل خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك فأسألك أن تنقذنى من النار وأن تغفر لى ذنوبى فانه لا يغفر الذنوب الا أنت ﴿ آداب دخول المسجد ﴾ فاذا أردت الدخول الى المسجد فقدم رجلك اليمنى وقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وصحبه وسلم اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك ومهما رأيت فى المسجد من يبيع فقل لا أربح الله تجارتك واذا رأيت فيه من ينشد عن ضالة فقل لا ردها الله عليك ضالتك كذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا دخلت المسجد فلا تجلس حتى تصلى ركعتى التحية فان لم تكن على طهارة أو لم ترد فعلها كفتك الباقيات الصالحات ثلاثا وقيل أربعا وقيل ثلاثا للمحدث وواحدة للمتوضئ فان لم تكن صليت ركعتى الفجر فيجزئك أداؤهما من التحية فاذا فرغت من

وضره كثير وبالله التوفيق * فان قيل أليس للنبي صلى الله عليه وسلم قال عليكم بالجماعة فان يد الله تعالى على الجماعة وأن الشيطان ذئب الانسان يأخذ الشاذة والناجية والقاصية والفاذة وقال ان الشيطان مع الفذ وهو من الاثنين أبعد * فاعلم ان هذه وردت وورد أيضا الزم بيتك وعليك بالخاصة ودع أمر العامة فامر بالعزلة والتفرد فى الزمان السوء ولا تناقض فى قوله صلى الله عليه وسلم ولا بد من الجمع بين الخبرين بحول الله وتوفيقه * فاقول قوله صلى الله عليه وسلم عليكم بالجماعة يحتمل ثلاثة أوجه * أحدها أنه يعنى به فى الدين والحكم اذ لا تجتمع هذه الامة على ضلالة فخرق الاجماع والحكم بخلاف ما عليه جمهور الامة والشذوذ عنهم باطل وضلال ولما أن يعتزل عنهم لصلاح فى دينه فليس هذا من ذلك فى شئ * والثانى عليكم بالجماعة بان لا تنقطعوا عنهم فى جمعهم وجماعاتهم ونحوها فان فيها قوة الدين وكمال الاسلام وغيظ الكفار والملحدين ولا يخلو ذلك من بركات ونظر من الله عز وجل بالرحمة ولذلك نقول ان حق المنفرد أن يشارك الناس فى الجموع العامة فى الخير وأن يجانبهم فى الصحبة والمزاحمة فى سائر الامور لما فيهما من ضروب الآفات * والثالث ان ذلك فى غير زمان الفتنة للرجل الضعيف فى أمر الدين وأما الرجل البصير القوى فى أمر الله تعالى اذا رأى زمان الفتنة الذى حذر النبى صلى الله عليه وسلم الامة منه وأمرهم بالعزلة فيه فالعزلة أولى لما فى الخلطة من الفساد والآفات وينبغى له أن لا ينقطع من جموع الاسلام والخيرات العامة وان أراد أن ينفرد عن الناس بمرة فليسكن بشاهق جبل أو بطن فلاة لصلاح يراه فى دينه ثم * قلت ولا أرى مثل هذا الرجل أينما كان الا و يمكنه الله عز وجل من حضور الجماعات والجمعات وسائر جموع الاسلام فيحضر لئلا يفوته الحظ منها أيضا فان جموع الاسلام من الله تعالى بمكان وان تغير الناس وفسدوا كما سمعنا من حال الابدال أنهم يحضرون جموع الاسلام أينما كانت ويسيرون من الارض حيث شاؤا وأن الارض لهم قدم واحد * وفى الاخبار ان الارض تطوى لهم وينادون بالتحيات ويتحفون بانواع البر والكرامات فهنيأ بما ظفروا به وأحسن الله عزاء من غفل عن النظر فى خلاص نفسه وأعان الطالب الذى لم يصل الى المقصود كامثالنا ولقد عرض لى فى صفة حالى أبيات من الشعر وهى

ظفر الطالبون واتصل الوصل وفاز الاحباب بالاحباب
و بقينا مذبذبين حيارى * بين حد الوصال والاجتناب
نرتجى القرب بالبعاد وهذا * نفس حال المحال للالباب
فاسقنا منك شربة تذهب الغم وتهدى الى طريق الصواب
يا طبيب السقام يا مرهم الجر * ح ويا منقذى من الأوصاب
لست أدرى بما أداوى سقامى * أو بماذا أفوز يوم الحساب

ولينقبض الآن عنان البنان ونرجع الى المقصود من شأن العزلة فقد خرجنا عن شرط الباب * فان قيل أليس قد قال النبى صلى الله عليه وسلم رهبانية أمتى الجلوس فى المساجد وفيه زجر عن التفرد فاعلم ان ذلك فى غير زمن الفتنة كما ذكرناه وأيضا فانه يجلس فى المسجد ولا يخالط الناس ولا يداخلهم فيكون بالشخص معهم وفى المعنى منفردا عنهم وهذا هو المعنى فى العزلة والتفرد الذى نحن فى شرحه لا التفرد بالشخص والمكان فافهم ذلك رحمك الله وفيه يقول ابراهيم بن أدهم رحمه الله كن واحدا جامعيا ومن ربك ذا أنس ومن الناس وحشيا * فان قيل فما تقول فى مدارس علماء الآخرة ورباطات الصوفية سالكى طريق الآخرة والسكون فيها * فاعلم ان تلك الطريقة المثلى فى هذا الشأن لعامة أهل العلم والاجتهاد وذلك لانها جمعت المعنيين والفائدتين اللتين احداهما العزلة عن الناس والتفرد عنهم

الركعتين فانو الاعتكاف وادع بما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ركعتى الفجر فقل اللهم انى أسألك رحمة من عندك تهدى بها قلبى وتجمع بها شملى وتلم بها شعثى وترد بها ألفتى وتصلح بها دينى وتحفظ بها غائبى وترفع بها شاهدى وتزكى بها عملى وتبيض بها وجهى وتلهمنى بها رشدى وتقضى لى بها حاجتى وتعصمنى بها من كل سوء اللهم انى أسألك ايمانا خالصا يباشر قلبى وأسألك يقينا صادقا حتى أعلم أنه لن يصيبنى الا ما كتبته على والرضا بما قسمته لى اللهم انى أسألك ايمانا صادقا ويقينا ليس بعده كفر وأسألك رحمة أنال بها شرف كرامتك فى الدنيا والآخرة اللهم انى أسألك الصبر عند القضاء والفوز عند اللقاء ومنازل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الاعداء ومرافقة الانبياء اللهم انى أنزل بك حاجتى وان ضعف رأيى وقصر عملى وافتقرت الى رحمتك فاسألك يا قاضى الامور ويا شافى الصدور كما تجير بين البحور ان تجيرنى من عذاب السعير ومن فتنة القبور ومن دعوة الثبور اللهم ما ضعف عنه

بالصحبة والمخالطة والمزاحمة فى أمورهم والثانية المشاركة معهم فى جمعهم وجماعاتهم وتكثير شعائر الاسلام فتحصل السلامة التى هى للمنفردين والخير الكثير الذى هو لعامة المسلمين مع ما للناس فيهم من القدوة والبركة والنصيحة فصار السكون فيها أعدل طريق وأحسن حال وأسلم سبيل ولهذا الشان أقام أكثر العارفين بين الناس لنفعهم لعباد الله تعالى فى باب الدين وقلة أذاهم ومشاهدة الخلق لآدابهم وحسن رسومهم ليقتدوا بهم فان لسان الحال أفصح من لسان المقال فصار ذلك أحسن تدبير فى أمر الدين للعلم والعبادة وأحكم رأى (فان قيل) فما حال المريد مع المجتهدين والمرتاضين أيصحبهم أم يعتزلهم (فاعلم) أنهم اذا كانوا ثابتين على رسومهم الاولى وسيرتهم الموروثة عن سلفهم فهم أجل اخوان فى الله عز وجل وأصحاب وأعوان على عبادة الله تعالى فلا تسعك عنهم عزلة وتفرد وانما مثلهم مثل ما تسمع من زهاد لبنان وغيرهم ان منهم جماعات يتعاونون على البر والتقوى ويتواصون بالحق والصبر وأما اذا تغيروا عن سيرتهم وتركوا رسومهم وأخلوا بطريقتهم الموروثة عن أسلافهم الصالحين فحكم هذا المجتهد المرتاض معهم كحكمه مع سائر الناس يلزم زاويته ويكف لسانه ويشاركهم فى خيراتهم ويجانبهم فى سائر أحوالهم وآفاتهم فيكون هو فى عزلة من أهل العزلة منفردا عن المنفردين * فان قلت فان اختار هذا المجتهد المرتاض أن يخرج من بينهم الى مكان آخر لصلاح يراه فى نفسه وتجنب آفة تدخل عليه فى صحبتهم * فاعلم ان هذه المدارس والرباطات بمنزلة حصن حصين يتحصن بها المجتهدون عن القطاع والسراق وأن الخارج بمنزلة الصحراء تدور فيها فرسان الشياطين عسكرا عسكرا فتسلبه أو تستأسره فكيف حاله اذا خرج الى الصحراء وتمكن العدو منه من كل جانب يعمل به ما يشاء فاذا ليس لهذا الضعيف الا لزوم الحصن وأما الرجل القوى البصير الذى لا يغلبه الاعداء واستوى عنده الحصن والصحراء فلا خوف عليه اذا خرج غير أن السكون فى الحصن أحوط على كل حال اذ لا يؤمن من الفلتات والاتفاقات مع قرناء السوء واذا كان الامر بهذه المثابة فالسكون مع رجال الله والصبر على مشقة الصحبة أولى للمرتاض وطالب الخير بكل حال وان لا مانع للقوى البالغ مبلغ الاستقامة عن التفرد منهم فاعلم هذه الجملة وتأملها تغنم وتسلم ان شاء الله تعالى * فان قيل فما تقول فى زيارة الاخوان فى الله عز وجل ومواصلة الاصحاب بالتلاقى والتذاكر * فاعلم أن زيارة الاخوان فى الله عز وجل من جواهر عبادة الله تعالى وفيها الزلفة الكريمة الى الله عز وجل مع ما فيها من ضروب الفوائد وصلاح القلب ولكن بشرطين أحدهما أن لا تخرج فى ذلك الى الاكثار والافراط * قال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم لابى هريرة رضى الله عنه زر غبا تزدد حبا والثانى أن تحفظ حق ذلك بالتجنب عن الرياء والتزين وقول اللغو والغيبة ونحو ذلك فيعود عليك وعلى أخيك الوبال * فلقد حكى ان الفضيل وسفيان رحمهما الله تذاكرا فبكيا فقال سفيان يا أبا على ارجو أنا ما جلسنا مجلسا أرجى لنا من هذا المجلس فقال الفضيل ما جلست مجلسا أخوف على من هذا فقال وكيف يا أبا على قال ألست تعمد الى أحسن حديثك فتحدثنى به وأنا عمدت الى أحسن ما عندى فحدثتك به فتزينت لى وتزينت لك فبكى سفيان فيجب أن تكون مجالستك للاخوان وملاقاتهم على مقدار قصد واحتياط ونظر لطيف فلا يقدح ذلك حينئذ فى عزلتك وتفردك عن الناس ولا يعود عليك وعلى أخيك بضرر وآفة بل بخير كثير ونفع عظيم والله الموفق * فان قلت فما يبعثنى على العزلة عن الناس والتفرد ويهون على ذلك * فاعلم ان الذى يهون عليك ذلك ثلاثة أمور * أحدها استغراق أوقاتك فى العبادة فان فى العبادة شغلا وان الاستئناس بالناس من علامات الافلاس فاذا رأيت نفسك تتطلع الى ملاقاة الناس وكلامهم من غير حاجة وضرورة فاعلم ان ذلك فضول ساقه الفراغ والبطر ولقد أحسن من قال فى هذا المعنى

إلى وقصر عنه عملى ولم تبلغه نيتى وأمنيتى من خير وعمته أحدا من عبادك وخير أنت معطيه أحدا من خلقك فانى أرغب اليك فيه وأسالك اياه يارب العالمين اللهم اجعلنا هادين مهتدين غير ضالين ولا مضلين حربا لأعدائك سلما لأوليائك نحب بحبك الناس ونعادى بعداوتك من خالفك من خلقك اللهم هذا الدعاء وعليك الاجابة وهذا الجهد وعليك التكلان وانا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم اللهم ذا الحبل الشديد والامر الرشيد أسالك الأمن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود الركع السجود والموفين لك بالعهود انك رحيم ودود وأنت تفعل ما تريد سبحان من اتصف بالعز وقال به سبحان من لبس المجد وتكرم به سبحان من لا ينبغى التسبيح الا له سبحان ذى الفضل والنعم سبحان ذى القدرة والكرم سبحان الذى أحصى كل شئ بعلمه اللهم اجعل لى نورا فى قلبى ونورا فى قبرى ونورا فى سمعى ونورا فى بصرى ونورا فى شعرى ونورا فى بشرى ونورا فى لحمى

ان الفراغ الى سلامك قادنى * ولربما حمل الفضول الفارغ

فانت اذا عانقت العبادة بحقها وجدت حلاوة المناجاة فاستأنست بكتاب الله سبحانه واشتغلت عن الخلق واستوحشت من صحبتهم وكلامهم * وفى الخبر أن موسى عليه السلام كان اذا رجع عن المناجاة يستوحش من الناس وكان يجعل أصبعيه فى أذنيه لئلا يسمع كلامهم وكان كلامهم عنده فى النفور والوحشة فى ذلك الوقت كاصوات الحمير فعليك بما قاله شيخنا رحمه الله

ارض بالله صاحبا * وذر الناس جانبا * صادق الود شاهدا * كنت فيهم غائبا

قلب الناس كيف شئت تجدهم عقاربا

والثانى قطع الطمع عنهم بمرة فيهون عليك أمرهم لان من لا ترجو نفعه ولا تخاف ضرره فوجوده وعدمه سواء * والثالث تبصر آفاتهم وتذكر ذلك وتكرره على قلبك لان هذه الاركان الثلاثة اذا لزمتها طردتك عن صحبة الخلق الى باب الله تعالى والتفرد لعبادته وحببته اليك وألزمتك بابه وبالله التوفيق والعصمة

(العائق الثالث الشيطان) ثم عليك يا أخى بمحاربة الشيطان وقهره وذلك لخصلتين * احداهما انه عدو مضل مبين ولا مطمع فيه لمصالحة وابقاء عليك بل لا يقنعه الا هلاكك أصلا فلا وجه اذا للامن من مثل هذا العدو والغفلة عنه وتأمل آيتين من كتاب الله تعالى احداهما قوله تعالى ألم أعهد اليكم يا بنى آدم ألا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين والثانية قوله تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا وهذا أقصى التحذير وغايته والخصلة الثانية أنه مجبول على عداوتك ومنتصب أبدا لمحاربتك فهو آناء الليل وأطراف النهار يرميك بسهامه وأنت غافل عنه فكيف يكون الحال ثم وقعت معك نكتة أخرى وهى انك فى عبادة الله تعالى ودعوة الخلق الى باب الله سبحانه بفعلك وقولك وهذا ضد صنيع الشيطان وهمته ومراده وحرفته فصرت كأنك قمت وشددت وسطك لتغايظ الشيطان وتكايده وتناقضه فهو أيضا يشد وسطه ليعاديك ويقاتلك وبما كرك حتى يفسد والعياذ بالله عليك شأنك بل حتى يهلكك رأسا اذ لا يأمن من جانبك بعد فانه لذى يسعى ويقصد بالهلاك الى من لا يغايظه ولا يناقضه بل يصادقه ويوافقه كالكفار وأهل الضلال وأهل الرغبة فى بعض الاحوال فكيف قصده لمن قام لمغايظته وتجرد لمناقضته فله اذن مع سائر الناس عداوة عامة ومعك أيها المجتهد فى العبادة والعلم عداوة خاصة وان أمرك له لمهم ومعه عليك أعوان أشدها عليك نفسك وهواك وله أسباب ومداخل وأبواب أنت عنها غافل ولقد صدق يحيى بن معاذ الرازى حيث قال الشيطان فارغ وأنت مشغول والشيطان يراك وأنت لا تراه وأنت تنساه وهو لا ينساك ومن نفسك للشيطان عليك أعوان فاذن لابد من محاربته وقهره والا فلا تأمن الفساد والهلاك * فان قلت فبأى شئ أحارب الشيطان وبأى شئ أقهره وأدفعه * فاعلم أن لاهل هذه الصناعة فى هذه المسئلة طريقين أحدهما ما قال بعضهم ان التدبير فى دفع الشيطان الاستعاذة بالله سبحانه لا غير فان الشيطان كلب سلطه الله سبحانه عليك فان اشتغلت بمحاربته ومعالجته تعبت وضاع عليك وقتك ويظفر بك فيعقرك ويجرحك فالرجوع الى رب الكلب ليصرفه عنك أولى * والثانى ما قال آخرون ان الطريق المجاهدة والقيام عليه بالدفع والرد والمخالفة * قلت والذى عندى أن الطريق العدل الجامع فى أمره أن تجمع بين الطريقين فتستعيذ بالله تعالى أولا من شره كما أمرنا وهو الكافى شره ثم ان رأيناه يتغلب علينا علمنا انه ابتلاء من الله تعالى ليرى صدق مجاهدتنا وقوتنا فى أمره سبحانه وتعالى ويرى صبرنا كما انه سلط علينا الكفار مع قدرته على كفاية أمرهم وشرهم ليكون لنا حظ من الجهاد والصبر والتمحيص والشهادة كما قال تعالى وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء وقال تعالى أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم

ونورا فى دمى ونورا فى عظامى ونورا من بين يدى ونورا من خلفى ونورا عن يمينى ونورا عن شمالى ونورا من فوق ونورا من تحتى اللهم زدنى نورا وأعطنى نورا أعظم نور واجعل لى نورا برحمتك يا أرحم الراحمين * فاذا فرغت من الدعاء فلا تشتغل الا باداء الفريضة أو بذكر أو تسبيح أو قراءة القرآن فاذا سمعت الاذان فى أثناء ذلك فاقطع ما أنت فيه واشتغل بجواب المؤذن فاذا قال المؤذن الله أكبر الله أكبر فقل مثل ذلك وكذلك فى كل كلمة الا فى الحيعلتين فقل فيهما لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فاذا قال الصلاة خير من النوم فقل صدقت وبررت وأنا على ذلك من الشاهدين فاذا سمعت الاقامة فقل مثل ما يقول الا فى قوله قد قامت الصلاة فقل أقامها الله وأدامها ما دامت السموات والارض فاذا فرغت من جواب المؤذن فقل اللهم انى أسألك عند حضور صلاتك وأصوات دعاتك وادبار ليلك واقبال نهارك أن تؤتى محمدا الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وابعثه المقام المحمود الذى وعدته يا أرحم الراحمين فاذا سمعت الاذان وأنت

و يعلم الصابرين فكذلك هذا ثم ان محاربته وقهره بما قاله علماؤنا رضى الله عنهم فى ثلاثة أشياء أحدها أن تتعرف وتتعلم مكايده وحيله فلا يتجاسر حينئذ عليك كاللص اذا علم أن صاحب الدار قد أحس به فر والثانى أن تستخف بدعوته فلا تعلق قلبك بذلك ولا تتبعه فانه بمنزلة الكلب النابح ان أقبلت عليه أولع بك ولج وإن أعرضت عنه سكت والثالث أن تديم ذكر الله سبحانه بلسانك وقلبك فلقد قال صلى الله عليه وسلم ان ذكر الله تعالى فى جنب الشيطان كالآكلة فى جنب ابن آدم * فان قلت فكيف تعلم مكايده وكيف الطريق الى معرفة ذلك * فاعلم أن له وساوس هى بمنزلة السهام التى يرميها وذلك انما يتبين لك بمعرفة الخواطر وأقسامها والثانى أن له حيلا هى بمنزلة الشبكات التى تنصبها وذلك يتبين لك بمعرفة المكايد وأوصافها ومجاريها ولقد ذكر علماؤنا رضى الله عنهم أبوابا فى الخواطر وقد صنفنا كتابا سميناه تلبيس ابليس وكتابنا هذا لا يحتمل الاكثار لكنا نذكر ان شاء الله تعالى من كل واحد منها أصلا كافيا اذا اعتصمت به * فاما أصل الخواطر فاعلم ان الله تعالى وكل بقلب ابن آدم ملكا يدعوه الى الخير يقال له الملهم ولدعوته الالهام وسلط فى مقابلته شيطانا يدعو العبد الى الشر يقال له وسواس ولدعوته وسوسة فالملهم لا يدعو الا الى الخير والوسواس لا يدعو الا الى الشر فى قول أكثر علمائنا * وقد حكى عن شيخنا رحمه الله ان الشيطان ربما يدعو الى الخير وقصده فى ذلك الشر بان يدعوه الى المفضول ليمنعه عن الفاضل أو يدعوه الى خير ليجره الى ذنب عظيم لا يفى خيره بذلك الشر من عجب أو غيره فهذان داعيان قائمان على قلبه يدعوانه وهو يسمع قلبه يحس بذلك على ما روى فى الاخبار أنه عليه السلام قال اذا ولد لابن آدم مولود قرن الله سبحانه به ملكا وقرن الشيطان به شيطانا فالشيطان جاثم على أذن قلب ابن آدم الايسر والملك جاثم على أذن قلبه الايمن فهما يدعوانه وقال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة يعنى نزلة بالدعوة من قولهم لم بالمكان وألم به اذا نزل به ثم ركب الله تعالى فى بنية الانسان طبيعة مائلة الى الشهوات ونيل اللذات كيف كانت من حسن أو قبيح فذلك هوى النفس الصارفة الى الآفات فهذه ثلاثة دعاة * ثم اعلم بعد هذه المقدمة أن الخواطر هى آثار تحدث فى قلب العبد تبعثه على الافعال والتروك وتدعوه اليها وسميت خواطر لاضطرابها من خطرات الريح ونحوها وحدوثها جميعا فى قلب العبد بالحقيقة من الله سبحانه وتعالى لكنها أربعة أقسام منها ما يحدثه الله تعالى فى القلب ابتداء فيقال له الخاطر فقط وقسم يحدثه موافقا لطبع الانسان فيقال له هوى النفس وينسب اليها وقسم يحدثه عقيب دعوة الملهم فينسب اليه ويقال له الالهام وقسم يحدثه عقيب دعوة الشيطان فينسب اليه ويقال له الوسوسة وتنسب اليه بانها خواطر من الشيطان وانما هى فى الحقيقة حادثة عند دعوته فهو كالسبب فى ذلك ولكنه ينسب اليه فهذه أربعة أقسام من الخواطر * ثم اعلم بعد هذا التقسيم أن الخاطر الذى من قبل الله تعالى ابتداء قد يكون بخير اكراما والزاما للحجة وقد يكون بشر امتحانا وتغليظا للمحنة والخاطر الذى يكون من قبل الملهم لا يكون الا بخير اذ هو ناصح مرشد لم يرسل الا لذلك والخاطر الذى يكون من قبل الشيطان لا يكون الا بشر اغواء واستزلالا وربما يكون بالخير مكرا واستدراجا والذى يكون من قبل هوى النفس يكون بالشر وبما لا خير فيه تمنعا وتعسفا ولقد وجدت عن بعض السلف أن هوى النفس أيضا قد يدعو الى خير والمقصود منه شر كالشيطان فهذه أنواعها * ثم اعلم بعد هذا أنك محتاج الى معرفة ثلاثة فصول لابد لك منها البتة وفيها المقصود أحدها الفرق بين خاطر الخير وخاطر الشر فى الجملة والثانى الفرق بين خاطر شر ابتدائى أو شيطانى أو هوائى وبماذا يفرق بينها فان لكل واحد منها دفعا من نوع آخر والثالث الفرق بين خاطر خير ابتدائى أو الهامى أو شيطانى أو هوائى لتتبع ما يكون من الله تعالى أو من الملهم وتجتنب ما يكون من الشيطان وكذلك

فى الصلاة فتتم الصلاة ثم تدارك الجواب بعد السلام على وجهه فاذا أحرم الامام بالفرض فلا تشتغل الا بالاقتداء به وصل الفرض كما سيتلى عليك فى كيفية الصلاة وآدابها فاذا فرغت فقل اللهم صل على محمد وآل محمد وسلم اللهم أنت السلام ومنك السلام واليك يعود السلام فحينا ربنا بالسلام وأدخلنا دارك دار السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام سبحان ربى العلى الاعلى لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لا يموت بيده الخير وهو على كل شئ قدير لا اله الا الله أهل النعم والفضل والثناء الحسن لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون * ثم ادع بعد ذلك بالجوامع الكوامل وهو ما علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة رضى الله عنها فقل اللهم انى أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه ومالم أعلم وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه ومالم أعلم وأسألك الجنة وما يقرب اليها من قول وعمل ونية واعتقاد وأعوذ بك من النار وما يقرب

الهوى على قول من يقول به * فاما الفصل الاول * فقال علماؤنا رضى الله عنهم اذا أردت أن تعلم خاطر الخير من خاطر الشر وتفرق بينهما فزنه باحد الموازين الاربعة يتبين لك حاله الاول أن تعرض الامر الذى خطر ببالك على الشرع فان وافق جنسه فهو خير وان كان بالضد برخصة أوشبهة فهو شر فان لم يستبن لك بهذا الميزان فاعرضه على الاقتداء فان كان فى فعله اقتداء بالصالحين فهو خير وان كان بالضد اتباعا للطالحين فهو شر فان لم يستبن لك بهذا الميزان فاعرضه على النفس والهوى فانظر وان كان مما تنفر عنه النفس نفرة طبع لا نفرة خشية وترهيب فاعلم انه خير وان كان مما تميل اليه النفس ميل طبع وجبلة لا ميل رجاء الى الله تعالى وترغيب فهو شر اذ النفس أمارة بالسوء لا تميل باصلها الى خير فباحد هذه الموازين اذا نظرت وأمعنت النظر يستبين لك خاطر الخير من خاطر الشر والله تعالى ولى الهداية بفضله انه جواد كريم * وأما الفصل الثانى * فقال علماؤنا اذا أردت أن تفرق بين خاطر شر يكون من قبل الشيطان و بين خاطر شر يكون من قبل هوى النفس أومن قبل الله تعالى ابتداء فانظر فيه من ثلاثة أوجه أحدها ان وجدته مصمما ثابتا على حالة واحدة فهو من الله تعالى أومن هوى النفس وان وجدته مترددا مضطربا فاعلم انه من الشيطان * وكان بعض الصالحين رحمه الله تعالى يقول مثل هوى النفس مثل النمر اذا حارب لا ينصرف الا بقمع بالغ وقهر ظاهر أومثل الخارجى الذى يقاتل تدينا الا يكاد يرجع حتى يقتل ومثل الشيطان مثل الذئب اذا طردته من جانب دخل من جانب آخر وثانيها ان وجدته عقيب ذنب أحدثه فهو من الله تعالى اهانة وعقوبة بشؤم ذلك الذنب قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون قال شيخى الامام رحمه الله هكذا تؤدى الذنوب الى قسوة القلب أولها خاطر ثم يؤدى الى القسوة والرين وان كان هذا الخاطر مبتدأ لا عقيب ذنب كان منك فاعلم أنه من قبل الشيطان هذا فى الاكثر لانه يبتدئ بدعوة الشر و يطلب الاغواء بكل حال وثالثها ان وجدته لا يضعف ولا يقل بذكر الله تعالى ولا يزول فهو من الهوى وان وجدته يضعف و يقل بذكر الله سبحانه فهو من الشيطان كما ذكر فى تفسير قوله تعالى من شر الوسواس الخناس أن الشيطان جاثم على قلب ابن آدم اذا ذكر الله تعالى خنس واذا غفل وسوس * وأما الفصل الثالث اذا أردت أن تفرق بين خاطر خير يكون من الله تعالى أومن الملك فانظر فى ذلك من ثلاثة أوجه أحدها أن تنظر فان كان قويا مصمما فهو من الله تعالى وان كان مترددا فهو من الملك اذ هو بمنزلة ناصح يدخل معك فى كل جانب ووجه و يعرض عليك كل نصح رجاء اجابتك ورغبتك فى الخير والثانى ان كان عقيب اجتهاد منك وطاعة فهو من الله تعالى قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا والذين اهتدوا زادهم هدى وان كان مبتدأ فهو من الملك فى الاغلب والثالث ان كان فى الاصول والاعمال الباطنة فهو من الله سبحانه وان كان فى الفروع والاعمال الظاهرة فهو من الملك فى الاكثر اذ الملك لا سبيل له الى معرفة باطن العبد فى قول أكثرهم * وأما خاطر الخير الذى يكون من قبل الشيطان استدراجا الى شر يربى عليه فلقد قال شيخنا رحمه الله انظر ان وجدت نفسك فى ذلك الفعل الذى خطر بقلبك مع نشاط لا مع خشية ومع عجلة لا مع تأن ومع أمن لا مع خوف ومع عمى عن العاقبة لا مع بصيرة فاعلم أنه من الشيطان فاجتنبه او ان وجدت نفسك على ضد ذلك مع خشية لا مع نشاط ومع تأن لا مع عجلة ومع خوف لا مع أمن ومع بصارة للعاقبة لا مع عمى فاعلم أنه من الله سبحانه أومن الملك قلت أنا وكأن النشاط خفة فى الانسان للفعل من غير بصيرة وذكر ثواب ينشطه فى ذلك وأما التأنى فمحمود الا فى مواضع معلومة معدودة وذكر فى الخبر عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم العجلة من الشيطان الا فى خمسة مواضع تزويج البكر اذا أدركت وقضاء الدين اذا وجب وتجهيز الميت اذا مات وقرى الضيف اذا نزل والتوبة من الذنب اذا أذنب * وأما الخوف فيحتمل أن يكون فى اتمامه وأدائه على وجهه وحقه وقبول

اليها من قول وعمل ونية واعتقاد وأسألك من الخير ما سألك منه عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم وأعوذ بك من شر ما استعاذك منه عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم اللهم وما قضيت لى من أمر فاجعل عاقبته رشدا ثم ادع بما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة رضى الله عنها فقل يا حى يا قيوم يا ذا الجلال والاكرام لا اله الا أنت برحمتك أستغيث ومن عذابك أستجير لا تكلنى الى نفسى طرفة عين وأصلح لى شأنى كله بما أصلحت به الصالحين ثم قل ما قاله عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام اللهم انى أصبحت لا أستطيع دفع ما أكره ولا أملك نفع ما أرجو وأصبح الامر بيدك لا بيد غيرك وأصبحت مرتهنا بعملى فلا فقير أفقر منى اليك ولا غنى أغنى منك عنى اللهم لا تشمت بى عدوى ولا تسؤ بى صديقى ولا تجعل مصيبتى فى دينى ولا تجعل الدنيا أكبر همى ولا مبلغ علمى ولا تسلط على بذنبى من لا يرحمنى * ثم ادع بما بدا لك من الدعوات المشهورات واحفظها مما

الله تعالى اياه * وأما بصارة العافية فبأن يتبصر و يتيقن أنه رشد وخير و يحتمل أن يكون لرؤية الثواب في العقبى ورجائه فاعلم ذلك موفقا فهذه جملة لفصول الثلاثة التي لزمتك معرفتها في فصل الخواطر فارعها وأمعن النظر فيها ما استطعت فانها من العلوم اللطيفة والاسرار الشريفة في هذا الباب والله الموفق بفضله

﴿ وأما فصل الحيل والمخادعات من الشيطان ﴾ فمجرى ذلك ومثاله ان مكايد الشيطان مع ابن آدم في الطاعة في سبعة أوجه أحدها أن ينهاه عنها فان عصمه الله تعالى رده بان قال اني لمحتاج الى ذلك جدا اذ لا بد لي من التزود من هذه الدنيا الفانية للآخرة التي لا انقضاء لها ثم يأمره بالتسويف فان عصمه الله تعالى ورده بان قال ليس أجلي بيدي على اني ان سوفت عمل اليوم الى غد فعمل غد متى أعمله فان لكل يوم عملا ثم يأمره بالعجلة فيقول له عجل عجل لتتفرغ لكذا وكذا فان عصمه الله تعالى ورده بان قال قليل العمل مع التمام خير من كثيره مع النقصان ثم يأمره باتمام العمل مراآة للناس فان عصمه الله تعالى رده بان قال ما الذي أعمل مراآة الناس أفلا تكفيني رؤية الله تعالى ثم يريد أن يوقعه في العجب فيقول ما أعظمك وما أيقظك وما أفضلك فان عصمه الله تعالى رده بان قال المنة لله تعالى في ذلك دوني فهو الذي خصني بتوفيقه وجعل لعملي قيمة عظيمة بفضله ولولا فضله فاذا كان قيمة هذا العمل في جنب نعمة الله تعالى علي وجنب معصيتي له * ثم يأتيه من وجه سادس وهو أعظمها ولا يقف عليه الا متيقظ وهو أن يقول اجتهد أنت في السر فان الله تعالى سيظهره عليك ويلبس كل عامل عمله وأراد بذلك ضربا من الرياء فان عصمه الله تعالى رده بان قال يا ملعون الي الآن كنت تأتيني من وجه افساد عملي والآن تأتيني من وجه اصلاحه لتفسده انما أنا عبد الله تعالى وهو سيدي ان شاء أظهر وان شاء أخفى وان شاء جعلني خطيرا وان شاء جعلني حقيرا وذلك اليه ما أبالي ان أظهر ذلك للناس أو لم يظهره فليس بأيديهم شيء ثم يأتيه من وجه سابع و يقول لا حاجة لك الى هذا العمل لانك ان خلقت سعيدا لم يضرك ترك العمل وان خلقت شقيا لم ينفعك فعله فان عصمه الله تعالى رده بان قال انما أنا عبد وعلى العبد امتثال الامر لعبوديته والرب أعلم بربوبيته يحكم ما يشاء و يفعل ما يريد ولانه ينفعني العمل كيفما كنت لاني ان كنت سعيدا احتجت اليه لزيادة الثواب وان كنت شقيا فانا محتاج اليه كي لا ألوم نفسي على ان الله تعالى لا يعاقبني على الطاعة بكل حال ولا يضرني على اني ان أدخلت النار وأنا مطيع أحب الي من ان أدخلها وأنا عاص فكيف ووعده حق وقوله صدق وقد وعد على الطاعات بالثواب فمن لقي الله تعالى على الايمان والطاعة لم يدخل النار ألبتة ودخل الجنة لا لاستحقاقه بعمله الجنة ولكن لوعد الله الصادق تعالى وتقدس ولهذا المعنى أخبر الله تعالى عن السعداء اذ قالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده فتيقظ رحمك الله فان الامر كما ترى وتسمع قس عليه سائر الاحوال والافعال واستعن بالله تعالى واستعذ به فان الامر بيده ومنه التوفيق ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

﴿ العائق الرابع النفس ﴾ ثم عليك يا طالب العبادات عصمك الله وايانا بالحذر من هذه النفس الامارة بالسوء فانها أضر الاعداء وبلاؤها أصعب البلاء وعلاجها أعسر الاشياء وداؤها أعضل الداء ودواؤها أشكل الدواء وانما ذلك لامرين أحدهما أنها عدو من داخل واللص اذا كان من داخل البيت عزت الحيلة فيه وعظم الضرر ولقد صدق القائل

نفسي الى ما ضرني داعي * تكثر أسقامي وأوجاعي

كيف احتيالي من عدو اذا * كان عدوي بين أضلاعي

والثاني أنه عدو محبوب والانسان عم عن عيب محبوبه لا يكاد يبصر عيبه كما قال القائل

ولست ترى عيبا لذي الود والاخا * ولا بعض ما فيه اذا كنت راضيا

وعين الرضا عن كل عيب كليلة * ولكن عين السخط تبدي المساويا

أوردناه في كتاب الدعوات من كتب احياء علوم الدين ولتكن أوقاتك بعد الصلاة الى طلوع الشمس موزعة على أربع وظائف وظيفة في الدعوات ووظيفة في الاذكار والتسبيحات وتكررها في مسبحة ووظيفة في قراءة القرآن ووظيفة في التفكر فتفكر في ذنوبك وخطاياك وتقصيرك في عبادة مولاك وتعرضك لعقابه الاليم وسخطه العظيم وترتب أوقاتك بتدبيرك أورادك في جميع يومك لتتدارك به ما فرطت من تقصيرك وتحترز من التعرض لسخط الله الاليم في يومك وتنوي الخير لجميع المسلمين وتعزم أن لا تشتغل في جميع نهارك الا بطاعة الله تعالى وتفصل في قلبك الطاعات التي تقدر عليها وتختار أفضلها وتتأمل تهيئة أسبابها لتشتغل بها ولا تدع عنك التفكر في قرب الاجل وحلول الموت القاطع للامل وخروج الامر عن الاختيار وحصول الحسرة والندامة وطول الاغترار وليكن من تسبيحاتك وأذكارك عشر كلمات احداهن لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت

فاذا يستحسن الانسان من نفسه كل قبيح ولا يكاد يطلع على عيبها وهى فى عداوتها واضرارها فما أوشك ما توقعه فى فضيحة وهلاك وهو لا يشعر الا أن يحفظه الله تعالى بفضله ويعينه عليها برحمته * ثم أقول تأمل أيها الرجل نكتة واحدة مقنعة وهى انك اذا نظرت وجدت أصل كل فتنة وفضيحة وخزى وهلاك وذنب وآفة وقع فى خلق الله تعالى من أول الخلق الى يوم القيامة من قبل هذه النفس اما بها وحدها أو بمعاونتها ومشاركتها ومساعدتها فاول المعصية لله تعالى كانت من ابليس وكان سببه بعد القضاء السابق هوى النفس بكبرها وحسدها ألقته بعد عبادة ثمانين ألف سنة على ما قيل فى بحر الضلال فغرق الى أبد الآبدين اذ لم يكن هنالك دنيا ولا خلق ولا شيطان بل كانت النفس بكبرها وحسدها فعملت به ما عملت ثم ذنب آدم وحواء عليهما السلام طرحتهما شهوة النفس فى ذلك وحرصهما على البقاء والحياة حتى اغترا بقول ابليس فكان ذلك اذا بعون النفس وشركتها حتى سقطا بذلك من جوار الله تعالى وقرار الفردوس الى هذه الدنيا الحقيرة النكدة الفانية المهلكة ولقيا ما لقيا ولقى أولادهما ما لقوا من ذلك اليوم الى أبد الآبدين * ثم حديث قابيل وهابيل كان السبب فى أمرهما الحسد والشح * ثم حديث هاروت وماروت كان السبب فى شأنهما الشهوة ثم هلم جرا الى يوم القيامة ولا تجد فى الخلق فتنة ولا فضيحة ولا ضلالا ولا معصية الا وأصلها النفس وهواها والا كان الخلق فى سلامة وخير واذا كان عدو بهذا الضرر كله فحق للعاقل أن يهتم بامره والله تعالى ولى الهداية والتوفيق بفضله * فان قلت فما الحيلة اذا التأنى هذا العدو وما التدبير فى أمره فبين لنا ذلك فاعلم أنا ذكرنا فيما تقدم ان أمرها عسير صعب اذ لا يمكن قهرها بمرة كسائر الاعداء اذ هى المطية والآلة وقيل ان أعرابيا دعا لانسان بخير فقال كبت الله تعالى كل عدو لك الا نفسك ولا يمكن اهمالها بمرة لمكان ضررها فتحتاج الى طريق بين الطريقين تربيها وتقويها بقدر ما تحتمل فعل كل خير وتضعفها وتحبسها على حد لا تتمادى فانت من أمرها فى علاج شديد ونظر لطيف * ثم قد ذكرنا فى أمرها أن تلجمها بلجام التقوى والورع لتحصل الفائدتين جميعا * فان قلت ان هذه دابة جموح وبهيمة صعبة شكسة لا تنقاد للجام فما الحيلة فيها حتى تمكننا منها * فاعلم انك فيها صادق والحيلة تذليلها حتى تنقاد للجام * قال علماؤنا رضى الله عنهم انما يذلل النفس ويكسر هواها ثلاثة أشياء أحدها منع الشهوات فان الدابة الحرون تلين اذا نقص من علفها والثانى حمل أثقال العبادات عليها فان الحمار اذا زيد فى حمله مع النقصان من علفه تذلل وانقاد والثالث الاستعانة بالله عز وجل والتضرع اليه بان يعينك والا فلا مخلص أما تسمع قول يوسف عليه السلام ان النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربى فاذا واظبت على هذه الامور الثلاثة انقادت لك النفس الجموح باذن الله عز وجل فحينئذ تبادر الى أن تملكها وتلجمها وتأمن من شرها * فان قلت فبين لنا الآن ما هو التقوى حتى نعلمه * فاعلم أولا ان التقوى كنز عزيز فلئن ظفرت به فكم تجد فيه من جوهر شريف وعلق نفيس وخير كثير ورزق كريم وفوز كبير وغنم جسيم وملك عظيم فكان خيرات الدنيا والآخرة جمعت فجعلت تحت هذه الخصلة الواحدة التى هى التقوى وتأمل ما فى القرآن من ذكرها فكم علق بها من خير وكم وعد عليها من أجر وثواب وكم أضاف اليها من سعادة وأنا أعد لك من جملتها اثنتى عشرة خصلة أولها المدحة والثناء قال الله تعالى وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور والثانى الحفظ والحراسة من الاعداء قال الله تعالى وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيأ والثالث التأييد والنصرة قال الله تعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وقال تعالى والله ولى المتقين والرابع النجاة من الشدائد والرزق من الحلال قال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب والخامس اصلاح العمل قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم والسادس غفران الذنوب قال الله

بيده الخير وهو على كل شئ قدير الثانية لا اله الا الله الملك الحق المبين الثالثة لا اله الا الله الواحد القهار رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار الرابعة سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم الخامسة سبوح قدوس رب الملائكة والروح السادسة سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم السابعة أستغفر الله العظيم الذى لا اله الا هو الحى القيوم وأسأله التوبة والمغفرة الثامنة اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا راد لما قضيت ولا ينفع ذا الجد منك الجد التاسعة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وصحبه وسلم العاشرة بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شئ فى الارض ولا فى السماء وهو السميع العليم تكرر كل واحدة من هذه الكلمات اما مائة مرة أو سبعين مرة أو عشر مرات وهو أقله ليكون المجموع مائة ولازم هذه الاذكار ولا تتكلم قبل طلوع الشمس ففى الخبر ان ذلك أفضل من اعتاق ثمان رقاب من ولد اسمعيل على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام أعنى الاستعمال بذلك الى

تعالى ويغفر لكم ذنوبكم والسابع محبة الله قال الله تعالى ان الله يحب المتقين والثامن القبول قال الله تعالى انما يتقبل الله من المتقين والتاسع الاعزاز والاكرام قال الله تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم والعاشر البشارة عند الموت قال الله تعالى الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة والحادى عشر النجاة من النار قال الله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا وقال تعالى وسيجنبها الاتقى والثانى عشر الخلود فى الجنة قال الله تعالى أعدت للمتقين فهذا بيان كل خير وسعادة فى الدارين تحت هذه التقوى فلا تنس نصيبك أيها الرجل منها ثم الذى يختص به هذا الشأن من أمر العباد ثلاثة أصول أحدها التوفيق والتأييد أولا وهو للمتقين كما قال الله تعالى ان الله مع المتقين والثانى أصلاح العمل واتمام التقصير وهو للمتقين كما قال الله تعالى يصلح لكم أعمالكم والثالث قبول العمل وهو للمتقين كما قال الله تعالى انما يتقبل الله من المتقين ومدار العبادة على هذه الامور الثلاثة التوفيق أولا حتى تعمل ثم الاصلاح للتقصير حتى يتم ثم القبول اذا تم وهذه الامور الثلاثة التى يتضرع فيها العابدون الى الله تعالى ويسألون فيقولون ربنا وفقنا لطاعتك وأتمم تقصيرنا وتقبل منا وقد وعد الله تعالى ذلك كله على التقوى وأكرم بها المتقى سأل أولم يسأل فعليك بهذه التقوى ان أردت عبادة الله سبحانه بل ان أردت سعادة الدنيا والعقبى ولقد صدق القائل

من اتقى الله فذاك الذى * سيق اليه المتجر الرابح

(وكتب بعضهم هذا البيت) لا ينفع المرء الى قبره * غير التقى والعمل الصالح

(وقال غيره) من عرف الله فلم تغنه * معرفة الله فذاك الشقى

ما يصنع العبد بعز الغنى * والعز كل العز للمتقى

ماضر ذا الطاعة ما ناله * فى طاعة الله وماذا لقى

(وكتب بعضهم على بعض القبور)

ليس زاد سوى التقى * فخذى منه أو عى

* ثم تأمل أصلا واحدا وهو أنه هب أنك قد تعبت جميع عمرك فى العبادة وجاهدت وكابدت حتى حصل لك ما تمنيت أليس الشأن كله فى القبول ولقد علمت ان الله تعالى يقول انما يتقبل الله من المتقين فرجع الامر كله الى التقوى * ولذلك روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت ما أعجب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بشئ من الدنيا ولا أعجبه أحد الا ذو تقى * وعن قتادة أنه قال مكتوب فى التوراة يا ابن آدم اتق الله ونم حيث شئت * و بلغنى عن عامر بن عبد قيس أنه بكى عند موته وكان يصلى كل يوم وليلة ألف ركعة ثم يأتى الى فراشه فيقول يا مأوى كل شر والله ما رضيتك لله طرفة عين ويبكى يوما فقيل له ما يبكيك قال قوله تعالى انما يتقبل الله من المتقين * ثم تأمل نكتة أخرى وهى أصل الاصول وهى ما ذكر أن بعض الصالحين قال لبعض أشياخه أوصنى بوصية فقال أوصيك بوصية الله رب العالمين للاولين والآخرين قوله تعالى ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم أن اتقوا الله * قلت أنا أليس الله تعالى أعلم بصلاح العبد من كل أحد أوليس هو أنصح له وأرحم وأرأف من كل أحد ولو كانت فى العالم خصلة هى أصلح للعبد وأجمع للخير وأعظم للاجر وأجل فى العبودية وأعظم فى القدر وأولى بالحال وأنجح فى المآل من هذه الخصلة التى هى التقوى لكان الله تعالى أمر بها عباده وأوصى خواصه بذلك لكمال حكمته وسعة رحمته فلما أوصى بهذه الخصلة الواحدة وجمع الاولين والآخرين من عباده فى ذلك واقتصر عليها علمت أنها الغاية التى لا متجاوز عنها ولا مقصد دونها وأنه عز وجل قد جمع كل نصح ودلالة وارشاد وتنبيه وتأديب وتعليم وتهذيب فى هذه الوصية الواحدة كما يليق بحكمته ورحمته وعلمت أن هذه الخصلة التى هى التقوى هى الجامعة لخيرى الدنيا والآخرة الكافية لجميع المهمات المبلغة الى أعلى الدرجات

طلوع الشمس من غير ان يتخلله كلام (آداب ما بعد طلوع الشمس الى الزوال) فاذا طلعت الشمس وارتفعت قدر رمح فصل ركعتين وذلك عند زوال وقت الكراهة للصلاة فانها مكروهة من بعد فريضة الصبح الى الارتفاع فاذا أضحى النهار ومضى منه قريب من ربعه فصل صلاة الضحى أربعا أوستا أوثمانيا مثنى مثنى فقد نقلت هذه الاعداد كلها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصلاة خير كلها فمن شاء فليستكثر ومن شاء فليستقلل فليس بين الطلوع والزوال راتبة الا هذه الصلوات فالافضل منها من أوقاتك ذلك فيه أربع حالات (الحالة الاولى) وهى الافضل أن تصرفه فى طلب العلم النافع دون الفضول الذى أكب الناس عليه وسموه علما والعلم النافع ما يزيد فى خوفك من الله تعالى ويزيد فى بصيرتك بعيوب نفسك ويزيد فى معرفتك بعبادة ربك ويقلل من رغبتك فى الدنيا ويزيد فى رغبتك فى الآخرة ويفتح بصيرتك بآفات أعمالك حتى تحترز منها وليطلعك على مكايد الشيطان وغروره وكيفية

فى العبودية وقد أحسن من قال

ألا انما التقوى هى العز والكرم * وحبك للدنيا هو الذل والعدم

وليس على عبد تقى نقيصة * اذا صحح التقوى وان حاك أو حجم

وهذا أصل لا مزيد عليه وفيه كفاية لمن أبصر النور واهتدى وعمل بذلك واستغنى والله ولى الهداية والتوفيق بمنه * فان قلت لقد عظم قدر هذه الخصلة وجل موقعها واشتدت الحاجة الى معرفتها فلابد لآن من تفصيلها * فاعلم ان الامر كذلك لحق لها أن يجل قدرها ويلزم طلبها وتمس الحاجة الى معرفتها ولكنك تعلم أن كل خطير وكبير يحتاج فى اجتلابه الى طلب كثير وتعب كبير وهمة عالية وجهد شديد فاذا كما أن هذه الخصلة خصلة عظيمة كبيرة فان المجاهدة فى طلبها والقيام بحقها والعناية فى تحصيلها أيضا لفعل كبير وشأن عظيم فان المكارم على حسب المكاره وأن اللذات على حسب المؤنات والله تعالى يقول والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين وهو الرؤف الذى بيده تيسير كل عسير فاستمع وتنبه وتفهم جدا بيان هذه الخصلة حتى تعلمها ثم تشمر للقيام بها واستعن بالله عز وجل حتى تعمل بما تعلم فان الشأن كله فى ذلك والله ولى التوفيق والهداية بفضله * فنقول اعلم ولا بارك الله فى دينك وزاد فى يقينك أن التقوى فى قول شيوخنا رحمهم الله هو تنزيه القلب عن ذنب لم يسبق عنك مثله حتى تحصل لك من قوة العزم على تركها وقاية بينك وبين المعاصى هكذا قال شيخنا رحمه الله * وذلك ان أصل لفظة التقوى فى اللغة هو الوقوى بالواو وهو مصدر الوقاية يقال وقى يقى وقاية ووقوى فابدلت عن الواو تاء كما هو فى الوكلان والتكلان ونحوهما فقيل تقوى فاذن لما حصلت وقاية بين العبد وبين المعاصى من قوة عزمه على تركها وتوطين قلبه على ذلك فيوصف حينئذ بانه متق ويقال لذلك التنزيه والعزم والتوطين تقوى * والتقوى فى القرآن تطلق على ثلاثة أشياء أحدها بمعنى الخشية والهيبة قال الله تعالى واياى فاتقون وقال الله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله والثانى بمعنى الطاعة والعبادة قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته قال ابن عباس رضى الله عنهما أطيعوا الله حق طاعته وقال مجاهد هو أن يطاع فلا يعصى وأن يذكر فلا ينسى وان يشكر فلا يكفر والثالث بمعنى تنزيه القلب عن الذنوب فهذه هى الحقيقة فى التقوى دون الاولين ألا ترى أن الله تعالى يقول ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون ذكر الطاعة والخشية ثم ذكر التقوى فعلمت ان حقيقة التقوى معنى سوى الطاعة والخشية وهى تنزيه القلب عما ذكرناه ثم قالوا رحمهم الله منازل التقوى ثلاثة تقوى عن الشرك وتقوى عن البدعة وتقوى عن المعاصى الفرعية ولقد ذكرها الله سبحانه وتعالى فى آية واحدة وهى قوله جل من قائل ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا فالتقوى الاولى تقوى عن الشرك والايمان الذى فى مقابلتها التوحيد والتقوى الثانية عن البدعة والايمان الذى ذكر معها اقرار عقود السنة والجماعة والتقوى الثالثة عن المعاصى الفرعية ولا اقرار فى هذه المنزلة قابلها بالاحسان وهو الطاعة والاستقامة عليها فتكون منزلة مستقيمى الطاعة فالآية جمعت ذكر المنازل الثلاث منزلة الايمان ومنزلة السنة ومنزلة استقامة الطاعة فهذا ما قاله العلماء رحمهم الله فى بيان معنى التقوى * قلت وأنا وجدت التقوى بمعنى اجتناب فضول الحلال وهو ما روى فى الخبر المشهور عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال انما سمى المتقون متقين لتركهم ما لا بأس به حذرا عما به بأس فاحببت أن أجمع بين ما قاله علماؤنا رحمهم الله وبين ما جاء فى الخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم فيكون حدا جامعا ومعنى بالغا * فاقول التقوى هو اجتناب كل ما تخاف منه ضررا فى دينك ألا ترى انه يقال للمريض المحتمى انه يتقى اذا اجتنب كل شئ يضره فى بدنه

تلبيسه على علماء السوء حتى عرضهم لمقت الله تعالى وسخطه حيث اشتروا الدنيا بالدين واتخذوا العلم ذريعة ووسيلة الى أخذ أموال السلاطين وأكل أموال الاوقاف واليتامى والمساكين وصرفوا همتهم طول نهارهم الى طلب الجاه والمنزلة فى قلوب الخلق واضطرهم ذلك الى المراآة والمماراة والمناقشة فى الكلام والمباهاة وهذا الفن من العلم النافع قد جمعناه فى كتاب احياء علوم الدين فان كنت من أهله فحصله واعمل به ثم علمه وادع اليه فمن علم ذلك ثم عمل به ثم دعا اليه فذلك يدعى عظيما فى ملكوت السموات بشهادة عيسى عليه السلام فاذا فرغت من ذلك وفرغت من اصلاح نفسك ظاهرا وباطنا وفضل شئ من أوقاتك فلا بأس أن تشتغل بعلم المذهب فى الفقه لتعرف به الفروع النادرة فى العبادات وطريق التوسط بين الخلق فى الخصومات عند انكبابهم على الشهوات فذلك أيضا عند الفراغ من هذه المهمات من جملة فروض الكفايات فان دعتك نفسك الى ترك ما ذكرناه من الاوراد والاذكار اشتغالا بذلك

من طعام وشراب أوفاكهة أو غيرها ثم الذى يخاف منه الضر فى أمر الدين قسمان محض الحرام والمعصية وفضول الحلال لان الاشتغال بفضول الحلال والانهماك فيه يستجر صاحبه الى الحرام ومحض العصيان وذلك لشره النفس وطغيانها وتمرد الهوى وعصيانه فمن أراد أن يأمن الضرر فى أمر دينه اجتنب الخطر وامتنع عن فضول الحلال حذرا أن يجره الى محض الحرام على ماقاله صلى الله عليه وسلم لتركهم مالا بأس به حذرا عما به بأس يعنى لتركهم فضول الحلال حذرا عن الوقوع فى الحرام فالتقوى البالغة الجامعة اجتناب كل مافيه ضرر لامر الدين وهو المعصية والفضول هذا تفصيلها ✽ وأما اذا أردنا تحديدها على موضوع علم الشرع ✽ فنقول حد التقوى الجامع تنزيه القلب عن شر لم يسبق عنك مثله بقوة العزم على تركه حتى يصير ذلك وقاية بينك وبين كل شر ثم الشرور ضربان شر أصلى وهو مانهى الله عنه تحريما كالمعاصى المحضة وشر غير أصلى وهو مانهى عنه تأديبا وهو فضول الحلال كالمباحات المأخوذة بالشهوة فالاولى تقوى فرض يلزم بتركها عذاب النار والثانية تقوى خير وأدب يلزم بتركها الحبس والحساب والتعيير واللوم فمن أتى بالاولى فهو فى الدرجة الدنيا من التقوى وهى منزلة مستقيمى الطاعة ومن أتى بالاخرى فهو فى الدرجة العليا من التقوى وذلك منزلة مستقيمى ترك المباح فاذا جمع العبد بينهما أعنى اجتناب كل معصية وفضول فقد استكمل معنى التقوى وقام بحقها وجمع كل خير فيها وهذا هو الورع الكامل الذى هو ملاك أمر الدين وذلك منزلة الادب على باب الله تعالى فهذا معنى التقوى وبيانها فى الجملة فافهمه موفقا ان شاء الله تعالى ✽ فان قلت ففصل لنا الآن هذا المعنى فى النفس واستعماله فيها فان الحاجة جاءت من هنالك لنعلم كيف نلجم هذه النفس بهذا المعنى الذى فصلت من حقيقة التقوى ✽ فاقول أجل انما تفصيله فى أمر هذه النفس أن تقوم عليها بقوة العزم فتمنعها عن كل معصية وتصونها عن كل فضول فاذا فعلت ذلك كنت قد اتقيت الله تعالى فى عينك وأذنك ولسانك وقلبك وبطنك وفرجك وجميع أركانك وألجمتها بلجام التقوى ولهذا الباب شرح يطول وقد أشرنا اليه فى كتاب احياء علوم الدين ✽ وأما الذى لابد منه ههنا فأن نقول من أراد أن يتقى الله فليراع الاعضاء الخمسة فانهن الاصول ✽ وهى العين والاذن واللسان والقلب والبطن فيحرص عليها بالصيانة لها عن كل مايخاف منه ضررا فى أمر الدين من معصية وحرام وفضول واسراف من حلال واذا حصل صيانة هذه الاعضاء فرجو أن يكفى سائر أركانه ويكون قد قام بالتقوى الجامعة بجميع بدنه لله تعالى فدعت الحاجة الى بيان خمسة فصول لهذه الاعضاء وتفصيل مايحرم فى حق كل واحد منها على قدر مايليق بهذا الكتاب

﴿ الفصل الاول فصل العين ﴾

ثم عليك وفقك الله وايانا بحفظ العين فانها سبب كل فتنة وآفة وأذكر فى أمرها ثلاثة أصول كافية ✽ أحدها ماقال الله سبحانه قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون ✽ واعلم أنى تأملت هذه الآية فاذا فيها مع قصرها ثلاثة معان عزيزة تأديب وتنبيه وتهديد ✽ فاما التأديب فقوله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ولابد للعبد من امتثال أمر السيد والتأدب بآدابه والا فيكون سيئ الادب فيحجب فلا يؤذن له فى حضور المجالس والمثول بالحضرة فافهم هذه النكتة وتأمل ماتحتها فان فيها مافيها ✽ وأما التنبيه فقوله تعالى ذلك أزكى لهم وينطلق على معنيين والله أعلم الاول ذلك أطهر لقلوبهم والزكاة الطهارة والتزكية التطهير والثانى ذلك أنمى لخيرهم وأكثر والزكاة فى الاصل النمو فنبه على ان فى غض البصر تطهير القلب وتكثير الطاعة والخير وذلك انك ان لم تغض بصرك وأرخيت عنانه تنظر الى مالا يعنيك فلا يخلو من أن تقع عينك على حرام فان تعمدت فذنب كبير وربما تعلق قلبك بذلك فتهلك ان لم يرحمك الله تعالى فلقد روى ان العبد لينظر النظرة ينغل

أعلم ان الشيطان اللعين قد دس فى قلبك الداء الدفين وهو حب الجاه والمال فاياك ان تغتر به فتكون ضحكة للشيطان فيهلكك ثم يسخر بك فان جربت نفسك مدة فى الاوراد والعبادات لكانت لاتستثقلها كسلا عنها لكن ظهرت رغبتك فى تحصيل العلم النافع ولم ترد به الا وجه الله تعالى والدار الآخرة فذلك أفضل من نوافل العبادات مهما صحت النية ولكن الشأن فى صحة النية فان لم تصح النية فهى معدن غرور الجهال ومزلة أقدام الرجال (الحالة الثانية) أن لاتقدر على تحصيل العلم النافع لكن تشتغل بوظائف العبادات من الذكر والقرآن والتسبيحات والصلاة فذلك من درجة العابدين وسير الصالحين وتكون أيضا بذلك من الفائزين (الحالة الثالثة) أن تشتغل بما يصل منه خير للمسلمين ويدخل به سرور على قلوب المؤمنين أو تيسر به الاعمال الصالحة للصالحين كخدمة الفقهاء والصوفية وأهل الدين والتردد فى أشغالهم والسعى فى اطعام الفقراء والمساكين والتردد مثلا على المرضى بالعيادة وعلى الجنائز بالتشييع

فيها قلبه كما ينغل الاديم فى الدباغ فلا ينتفع به أبدا وان كان مباحا فربما يشتغل قلبك به فجاءك الوساوس والخواطر بسببه ولعلك لا تصل اليه فتبقى مشغول القلب منقطعا عن الخير وان كنت لم تر ذلك كنت مستريحا عن ذلك كله * وفى هذا المعنى ذكر عن عيسى صلوات الله عليه اياكم والنظرة فانها تزرع فى القلب الشهوة وكفى بها لصاحبها فتنة * وقال ذوالنون نعم حاجب الشهوات غض الابصار ولقد أحسن القائل

وأنت اذا أرسلت طرفك رائدا * لقلبك يوما أتعبتك المناظر

رأيت الذى لا كله أنت قادر * عليه ولا عن بعضه أنت صابر

فاذن مهما كنت غاضا للبصر حافظا للعين لا تنظر الى ما لا يعنيك ولا يهمك كنت نقى الصدر فارغ القلب مستريحا عن كثير من الوسواس سالم النفس عن الآفات متزايدا فى الخيرات فتنبه لهذه النكتة الجامعة والله عزوجل الموفق بمنه وكرمه * وأما التهديد فقوله تعالى ان الله خبير بما يصنعون وقال تعالى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور وكفى بهذا تحذيرا لمن خاف مقام ربه فهذا أصل واحد من كتاب الله عزوجل * الاصل الثانى ماروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ان النظر الى محاسن المرأة سهم مسموم من سهام ابليس فمن تركها أذاقه الله تعالى طعم عبادة تسره وان وجدان حلاوة العبادة ولذة المناجاة من العابدين بمكان وهذا شئ مجرب علمه وتحققه من عمل به لانه اذا امتنع عن النظر الى ما لا يعنيه يجد لذة العبادة وحلاوة الطاعة والقلب صفوة لم يجدها قبل ذلك * الاصل الثالث أن تنظر الى كل عضو من أعضائك يصلح لماذا وينظر له ماذا فعلى حسب ذلك تصونه وتحفظه فالرجل للمشى فى رياض الجنة وقصورها واليد لكاس الشراب وتناول الاثمار وكذلك فى سائر الاعضاء فالعين انما هى للنظر الى رب العالمين سبحانه وليس فى الدارين كرامة أجل وأكبر من ذلك فحقيق لشئ ينتظر ويرجى له مثل هذه الكرامة أن يصان ويحفظ ويعز ويكرم فهذه الاصول الثلاثة اذا أحسنت التأمل فيها كفتك المؤنة فى هذا الفصل والله ولى التوفيق وهو حسبى ونعم الوكيل

﴿ الفصل الثانى الاذن ﴾

فعليك بصيانة سمعك عن الخنا والفضول وذلك لامرين أحدهما لما روى أن المستمع شريك المتكلم وفى ذلك يقول القائل

تحرّ من الطرق أوساطها * وعد عن الجانب المشتبه

وسمعك صن عن سماع القبيح * كصون اللسان عن النطق به

فانك عند استماع القبيح * شريك لقائله فانتبه

والثانى أن ذلك يهيج الخواطر والوسواس فى القلب ثم من ذلك يبدو الاشتغال فى البدن فما يبقى للعبادة شئ * ثم اعلم أن الكلام الذى يقع فى قلب الانسان وسمعه بمنزلة الطعام الذى يقع فى جوفه فمنه الضار ومنه النافع ومنه الغذاء ومنه السم بل ان بقاء الكلام وتجرعه أكثر وأبلغ من الطعام فان الطعام يزول عن المعدة بنوم وغيره وربما يبقى أثره زمانا ثم يزول وله دواء يزيل أثره من جسم الانسان وأما الكلام الذى وقع فى قلبه فربما يبقى معه جميع عمره ولا ينساه فان كان رديئا فلا يزال يتعبه ويعيبه ويرد بسببه خواطر فى القلب ووساوس يحتاج الى أن يعرض عنها ويعدل بقلبه عن تذكرها ويستعيذ بالله من شرها ولا يأمن أن يحمله على بلية ويحركه حتى يقع آخر الامر فى آفة عظيمة بسبب ذلك ولو كنت حفظت سمعك عما لا يعنيك كنت عن هذه المؤن مستريحا فلينظر العاقل فى ذلك وبالله التوفيق

﴿ الفصل الثالث اللسان ﴾

ثم عليك بحفظ اللسان وضبطه وتقييده فانه أشد الاعضاء جماحا وطغيانا وأكثرها فسادا وعدوانا ولقد روينا عن سفيان بن عبد الله أنه قال قلت يارسول الله ما أكثر ما تخاف علىّ فاخذ عليه الصلاة والسلام

فكل ذلك افضل من النوافل فان هذه عبادات وفيها رفق للمسلمين (الحالة الرابعة) ان لم تقو على ذلك فاشتغل بحاجاتك اكتسابا على نفسك أو على عيالك وقد سلم المسلمون منك وأمنوا من لسانك ويدك وسلم لك دينك اذ لم ترتكب معصية فتنال به درجة أصحاب اليمين ان لم تكن من أهل الترقى الى مقامات السابقين فهذه أقل الدرجات فى مقامات الدين وما بعد هذا فهو من مراتع الشياطين وذلك بأن تشتغل والعياذ بالله بما يهدم دينك أو تؤذى عبدا من عباد الله فهذه رتبة الهالكين فاياك أن تكون فى هذه الطبقة * واعلم أن العبد فى حق دينه على ثلاث درجات اما سالم وهو المقتصر على أداء الفرائض وترك المعاصى أو رابح وهو المتطوع بالقربات والنوافل أو خاسر وهو المقصر عن اللوازم فان لم تقدر أن تكون رابحا فاجتهد أن تكون سالما واياك ثم اياك أن تكون خاسرا والعبد فى حق سائر العباد له ثلاث درجات * الاولى أن ينزل فى حقهم منزلة الكرام البررة من الملائكة وهو أن يسعى فى أغراضهم رفقا بهم وادخال السرور على

بلسان نفسه ثم قال هذا * وعن يونس بن عبيد الله انى وجدت نفسى تحتمل مؤنة الصيام فى الحر الشديد بالبصرة ولا تحتمل ترك كلمة لا تعنيها فعليك اذن بالتحفظ جدا وبذل المجهود وتذكر خمسة أصول * أحدها ماروى أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه أن ابن آدم اذا أصبح بكرت الاعضاء كلها الى اللسان وقلن له ننشدك أن تستقيم فانك ان استقمت استقمنا وان اعوججت اعوججنا * قلت والمعنى فيه والله أعلم أن نطق اللسان يؤثر فى أعضاء الانسان بالتوفيق والخذلان يؤكد هذا المعنى ماحكى عن مالك بن دينار أنه قال اذا رأيت قساوة فى قلبك ووهنا فى بدنك وحرمانا فى رزقك فاعلم انك قد تكلمت فيما لا يعنيك * والاصل الثانى حفظ وقتك فان أكثر مايتكلم به الانسان من غير ذكر الله تعالى فعلى الاقل يكون لغوا يضيع الوقت به * وذكر أن حسان بن أبى سنان مر على غرفة بنيت فقال منذ كم بنيت هذه ثم أقبل على نفسه وقال يانفسى الغرورة تسألين عما لا يعنيك وعاقبها بصوم سنة *قلت فياطوبى للمهتمين بانفسهم ويا ويح الغافلين الذين خلعوا العذار وأرخوا العنان والله المستعان ولقد صدق القائل وأحسن حيث يقول

واغتنم ركعتين فى ظلمة الليـل اذا كنت خاليا مستريحا

واذا ماهممت باللغو فى البا * طل فاجعل مكانه تسبيحا

ولزوم السكوت خير من النطـق وان كنت فى الكلام فصيحا

* والاصل الثالث حفظ الاعمال الصالحة فان من لم يصن لسانه وأكثر الكلام يقع لامحالة فى غيبة الناس كما قيل من كثر لغطه كثر سقطه والغيبة هى الصاعقة المهلكة للطاعات على ماقيل ان مثل من يغتاب الناس مثل من نصب منجنيقا فهو يرمى به حسناته شرقا وغربا يمينا وشمالا * و بلغنا عن الحسن انه قيل له ياأباسعيد ان فلانا اغتابك فبعث اليه بطبق فيه رطب وقال بلغنى أنك أهديت الى حسناتك فاحببت أن أكافئك * وذكرت الغيبة عند ابن المبارك فقال لو كنت مغتابا أحدا لاغتبت أمى لانها أحق بحسناتى وذكر انه فات حاتما الاصم ليلة القيام فعيرته زوجته فقال ان أقواما صلوا بالليل البارحة فلما أصبحوا نالوا منى فتكون صلاتهم يوم القيامة فى ميزانى * والاصل الرابع السلامة من آفات الدنيا على ماقال سفيان لا تتكلم بلسانك ماتكسر به أسنانك وقال الآخر لا تبسطن لسانك فيفسد عليك شأنك وأنشدوا احفظ لسانك لا تقول فتبتلى * ان البلاء موكل بالمنطق

ولابن المبارك رضى الله عنـه

ألا احفظ لسانك ان اللسان * سريع الى المرء فى قتله

وان اللسان دليل الفؤاد * يدل الرجال على عقله

ولابن أبى المطيع رحمه الله لسان المرء ليث فى كمين * اذا خلى عليـه له اغاره

فصنه عن الخنا بلجام صمت * يكن لك من بليات ستاره

وفى المثل السائر رب كلمة تقول لصاحبها دعنى * نسأل الله التوفيق برحمته * الاصل الخامس ذكر آفات الآخرة وعواقبها وأذكر فيه نكتة واحدة وهى أنه لا يخلو اما أن تقول قولا محظورا حراما أو قولا مباحا من فضول لا يعنيك فان كان محظورا حراما ففيه من عذاب الله تعالى الذى لا طاقة لك به فقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ليلة أسرى بى رأيت فى النار قوما يأكلون الجيف فقلت ياجبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس * ولقد قال صلى الله عليه وسلم لمعاذ اقطع لسانك عن حملة القرآن وطلاب العلم ولا تمزق الناس بلسانك فتمزقك كلاب النار * وعن أبى قلابة قال ان فى الغيبة خراب القلب من الهدى فنسأل الله تعالى العصمة من ذلك بفضله هذا فى الكلام المحظور

ولما

قلوبهم * الثانية أن ينزل فى حقهم منزلة البهائم والجمادات فلا ينالهم خيره ولكن يكف عنهم شره * الثالث أن ينزل فى حقهم منزلة العقارب والحيات والسباع الضاريات لا يرجى خيره ويتقى شره فان لم تقدر أن تلتحق بافق الملائكة فاحذر أن تنزل عن درجة البهائم والجمادات الى مراتب العقارب والحيات والسباع الضاريات فان رضيت لنفسك النزول من أعلى عليين فلا ترضى لها بالهوى الى أسفل السافلين فعلك تنجو كفافا لا لك ولا عليك فعليك فى بياض نهارك أن لا تشتغل الا بما ينفعك فى معادك أو معاشك الذى لا تستغنى عنه وعن الاستعانه به على معادك أو معاشك فان عجزت عن القيام بحق دينك مع مخالطة الناس وكنت لا تسلم فالعزلة أولى لك فعليك بها ففيها النجاة والسلامة فان كانت الوساوس فى العزلة تجاذبك الى مالا يرضى الله تعالى ولم تقدر على قمعها بوظائف العبادات فعليك بالنوم فهو أحسن أحوالك وأحوالنا اذا عجزنا عن الغنيمة رضينا بالسلامة فى الهزيمة فما أخس حال من سلامة دينه فى تعطيل حياته اذ النوم

وأما المباح ففيه أربعة أمور * أحدها شغل الكرام الكاتبين بما لا خير فيه ولا فائدة وحق للمرء أن يستحي منهما فلا يؤذيهما قال الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد * والثاني ارسال كتاب الى الله سبحانه وتعالى من اللغو والهذر فليحذر العبد من ذلك وليخش الله عز وجل * وذكر أن بعضهم نظر الى رجل يتكلم بالخنا فقال ياهذا انما تملي كتابا الى ربك فانظر ماذا تملي * والثالث قراءته بين يدي الملك الجبار يوم القيامة على رؤس الاشهاد بين الشدائد والاهوال عطشان عريان جيعان منقطعا عن الجنة محبوسا عن النعمة * والرابع اللوم والتعيير بماذا قلت وانقطاع الحجة والحياء من رب العزة فقد قيل اياك والفضول فان حسابه يطول وكفى بهذه الاصول واعظا لمن اتعظ وقد بسطنا في كتاب اسرار معاملات الدين ما فيه مقنع فانظر ما فيه تجد الشفاء

﴿الفصل الرابع القلب﴾ ثم عليك بحفظه واصلاحه وحسن النظر في ذلك وبذل المجهود فانه أعظم هذه الاعضاء خطرا وأكثرها أثرا وأدقها أمرا وأشقها اصلاحا وأصعبها حالا وأذكر فيه خمسة أصول مقنعة الاصل الاول قوله تعالى يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور وقوله تعالى والله يعلم ما في قلوبكم وقوله تعالى انه عليم بذات الصدور كم ذكره وكرر ذكره في القرآن فكفى باطلاع العليم الخبير تحذيرا وتهديدا للخواص من العباد لان المعاملة مع علام الغيوب خطر خطير فانظر ماذا يعلم من قلبك * الاصل الثاني قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لا ينظر الى صوركم وأبشاركم وانما ينظر الى قلوبكم فالقلب اذن موضع نظر رب العالمين فيا عجبا ممن يهتم بوجهه الذي هو موضع نظر الخلق فيغسله وينظفه من الاقذار والادناس ويزينه بما أمكنه لئلا يطلع مخلوق فيه على عيب ولا يهتم بقلبه الذي هو موضع نظر رب العالمين فيطهره ويزينه ويطيبه كي لا يطلع الرب جل جلاله على دنس فيه وشين وآفة وعيب بل يهمله بفضائح وأقذار وقبائح لو اطلع الخلق على واحد منها لهجروه وتبرؤا منه وطردوه والله المستعان * الاصل الثالث ان القلب ملك مطاع ورئيس متبع فالاعضاء كلها تبع فاذا صلح المتبوع صلح التبع واذا استقام الملك استقامت الرعية ويبين لك ذلك ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب واذا كان صلاح الكل في ذلك وجب صرف العناية اليه * الاصل الرابع ان القلب خزانة كل جوهر للعبد نفيس وكل معنى خطير أولها العقل وأجلها معرفة الله تعالى التي هي سبب سعادة الدارين ثم البصائر التي بها التقدم والوجاهة عند الله عز وجل ثم النية الخالصة في الطاعات التي يتعلق بها ثواب الابد ثم أنواع العلوم والحكم التي هي شرف العبد وسائر الاخلاق الشريفة والخصال الحميدة التي بها يحصل تفاضل الرجال على ما فصلنا وشرحنا في كتاب أسرار معاملات الدين وحق لمثل هذه الخزانة أن تحفظ وتصان عن الادناس والآفات وتحرس وتحرز من السراق والقطاع وتكرم وتبجل بضروب الكرامات لئلا يلحق تلك الجواهر العزيزة دنس ولا يظفر بها والعياذ بالله عدو * الاصل الخامس اني تأملت حاله فوجدت له خمسة أحوال ليست لغيره من أعضاء ابن آدم أحدها أن العدو قاصد اليه مقبل عليه ملازم له فان الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فهو منزل الالهام والوسوسة يقرعانه بالدعوتين أبدا الملك والشيطان والثاني ان الشغل له أكثر فان العقل والهوى كلاهما فيه فهو معترك العسكرين الهوى وجنوده والعقل وجنوده فهو أبدا بين محاربتهما وتقاتلهما وتناقضهما وحق بالثغر أن يحرس ويحصن ولا يغفل عنه * والثالث ان العوارض له أكثر فان الخواطر له كالسهام لا تزال تقع فيه وكالمطر لا تزال تمطر عليه ليلا ونهارا لا تنقطع ولا أنت تقدر على منعها فتمتنع وليس بمنزلة العين التي بين الجفنان تغمض فتستريح أو تكون في موضع خال أو ليل مظلم فتكفي رؤيتها أو كاللسان الذي هو من وراء الحاجبين الاسنان والشفتين وأنت القادر على

أخو الموت وهو تعطيل الحياة والتحاق بالجمادات

﴿آداب الاستعداد لسائر الصلوات﴾

ينبغي أن تستعد قبل الزوال لصلاة الظهر فتنم القيلولة ان كان لك قيام في الليل أو سهر في الخير فان فيها معونة على قيام الليل كما أن في السحور معونة على صيام النهار والقيلولة من غير قيام بالليل كالسحور من غير صيام بالنهار واجتهد أن تستيقظ قبل الزوال وتتوضأ وتحضر المسجد وتصلي تحية المسجد وتنتظر المؤذن فتجيبه ثم تقوم فتصلي أربع ركعات عقيب الزوال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطولهن ويقول هذا وقت تفتح فيه أبواب السماء فاحب أن يرفع لي فيه عمل صالح وهذه الاربع قبل الظهر سنة مؤكدة ففي الخبر ان من صلاهن فأحسن ركوعهن وسجودهن صلى معه سبعون ألف ملك يستغفرون له الى الليل ثم تصلي الفرض مع الامام ثم تصلي بعد الفرض ركعتين فهما من الرواتب الثابتة ولا تشتغل الى العصر الا بتعلم علم أو اعانة مسلم أو قراءة قرآن أو سعي في معاش تستعين به على دينك

منعه وتسكينه بل القلب غرض للخواطر لاتقدر على منعها والتحفظ عنها بحال وهى لاتنقطع عنك بوقت ثم النفس مسارعة الى اتباعها والامتناع عن ذلك فى مجهود الطاقة أمر شديد ومحنة عظيمة والرابع ان علاجه عسير اذ هو غيب عنك فلا تكاد تشعر حتى تدب فيه آفة وتحدث له حالة فتحتاج الى ان تبحث عن ذلك ثم البحث بطول الجهد ودقيق النظر وكثرة الرياضة * والخامس ان الآفات اليه أسرع فهو الى الانقلاب أقرب فلقد قيل ان القلب أسرع انقلابا من القدر فى غليانها ولذلك قيل

ماسمى القلب الا من تقلبه * والرأى يضرب بالانسان أطوارا

ثم ان زل القلب والعياذ بالله فزلته أعظم ووقوعه أصعب وأفظع اذ أدناه قسوة وميل الى غير الله سبحانه وتعالى ومنتهاه ختم بكفر والعياذ بالله تعالى أماتسمع قوله تعالى أبى واستكبر وكان من الكافرين فكان الكبر بقلبه حمله على الاباء والكفر بظاهره أماتسمع قوله تعالى ولكنه أخلد الى الارض واتبع هواه فكان الميل واتباع الهوى بقلبه حمله على ذلك الذنب المشؤم بنفسه أماتسمع قوله تعالى ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كمالم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون ولهذا المعنى أيها الرجل خاف عباد الله تعالى الخواص على قلوبهم وبكوا عليها وصرفوا عنايتهم اليها قال الله سبحانه فى وصفهم يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار جعلنا الله واياكم من المعتبرين بالعبر المهتمين بمواضع الخطر الموفقين لاصلاح قلوبهم بحسن النظر انه أرحم الراحمين * فان قيل ان أمر هذا القلب لمهم جدا فاخبرنا عن المعانى التى تصلحه وعن الآفات التى تعترضه فتفسده عسى أن نوفق للاجتهاد فى العمل بذلك * يقال له اعلم ان تفصيل هذه المعانى لطويل لايحتمله هذا الكتاب وانما علماء الآخرة عنوا باستخراج ذلك وتصنيفه فى هذه النكتة لاغير وقد ذكروا فيما يحتاج اليه من ذلك نحوا من تسعين خصلة محمودة وفى أضدادها المذمومة ثم من الافعال والمساعى الواجبة والمحظورة نحو ذلك فى سائر تفاصيلها ولعمرى ان من أهمه أمر دينه وانتبه من رقدة الغافلين ونظر لنفسه فلا يكون تحصيل جميع ذلك والعمل به عليه كثيرا اذا وفقه الله تعالى وقد ذكرنا نبذة منها فى شرح عجائب القلب من كتاب احياء علوم الدين وأتينا على شرح جميعها بتفاصيلها وكيفية علاجها فى كتاب أسرار معاملات الدين وهو كتاب مستقل بنفسه عظيم الفائدة ولا ينتفع به الافحول العلماء الراسخون فى العلم وموضوع هذا الكتاب أن ينتفع به المبتدى والمنتهى والقوى والضعيف فنظرنا فى الاصول التى لابد من ذكرها فى علاج القلب والحاجة اليها ماسة ولا غنية عنها ألبتة فى شأن العبادة فوجدناها أربعة أمور هى مداحض العابدين وآفات المجتهدين وهى فتن القلوب وبليات النفوس تعوق وتشين وتفسد وتتلف وأربعة فى مقابلتها فيها قوام العباد وانتظام العبادة وصلاح القلوب فالآفات الاربع الامل والاستعجال والحسد والكبر والمناقب الاربع قصر الامل والتأنى فى الامور والنصيحة للخلق والتواضع والخشوع فهذه هى الاصول فى صلاح القلوب وفسادها والنكتة التى عليها المدار فلتبذل المجهود فى التحرز من هذه الآفات والتحصيل لهذه المناقب تكف المؤن وتظفر بالمقصود ان شاء الله تعالى وسأخبرك عن هذه الآفات بكلمات وجيزة مقنعة * أما طول الامل فانه العائق عن كل خير وطاعة والجالب لكل شر وفتنة وانه الداء العضال الذى يوقع الخلق فى أنواع البليات فاعلم أنك اذا طال أملك هاجك منه أربعة أشياء أحدها ترك الطاعة والكسل فيها تقول سوف أفعل والايام بين يدى ولا يفوتنى ذلك ولقد صدق داود الطائى رحمه الله حيث قال من خاف الوعيد قرب عليه البعيد ومن طال أمله ساء عمله وقال يحيى بن معاذ الرازى رحمه الله الامل قاطع عن كل خير والطمع مانع من كل حق والصبر صائر الى كل ظفر والنفس داعية الى كل شر والثانى ترك التوبة وتسويفها تقول سوف أتوب وفى الايام فسحة وأنا شاب وسنى قليل والتوبة بين يدى

ثم أصلى أربع ركعات قبل العصر وهى سنة مؤكدة فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله امرأ صلى أربعا قبل العصر فاجتهد أن ينالك دعاؤه صلى الله عليه وسلم ولا تشتغل بعد العصر الا بمثل ماسبق قوله ولا ينبغى أن تكون أوقاتك مهملة فتشتغل فى كل وقت بما اتفق كيف اتفق بل ينبغى ان تحاسب نفسك وترتب أورادك ووظائفك فى ليلك ونهارك وتعين لكل وقت شغلا لاتتعداه ولا تؤثر فيه سواه فبذلك تظهر بركة الاوقات فاما اذا تركت نفسك سدى مهملا اهمال البهائم لاتدرى بماذا تشتغل فى كل وقت فينقضى أكثر أوقاتك ضائعا وفاتت عمرك وعمرك رأس مالك وعليه تجارتك وبه وصولك الى نعيم دار الابد فى جوار الله تعالى فكل نفس من أنفاسك جوهرة لاقيمة لها اذ لابدل له فاذا فات فلا عود له فلا تكن كالحمقى المغرورين الذين يفرحون كل يوم بزيادة أموالهم مع نقصان أعمارهم فأى خير فى مال يزيد وعمر ينقص ولا تفرح الا بزيادة علم أو عمل صالح فانهما رفيقاك يصحبانك فى القبر حيث يتخلف

وأنا قادر عليها متى رمتها وربما اغتاله الحِمام في الاصرار فاختطفه الاجل قبل اصلاح العمل * والثالث الحرص على الجمع والاشتغال بالدنيا عن الآخرة تقول أخاف الفقر في الكبر وربما أضعف عن الاكتساب ولا بد لي من شئ فاضل أدخره لمرض أو هرم أو فقر هذا ونحوه مما يحرك الى الرغبة في الدنيا والحرص عليها والاهتمام للرزق تقول أيش آكل وأيش أشرب وأيش ألبس وهذا الشتاء وهذا الصيف ومالي شئ ولعل العمر يطول فأحتاج والحاجة مع الشيب شديدة ولا بد لي من قوت وغنية عن الناس هذه وأمثالها تحرك الى طلب الدنيا والرغبة فيها والجمع لها والمنع لما عندك منها وأقل ما في الباب أن يشغل قلبك ويضيع عليك عمرك أو وقتك ويكثر همك وغمك بلا فائدة ولا طائل على ماروى عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال قتلني هم يوم لم أدركه قيل وكيف ذلك يا أباذر قال ان أملي جاوز أجلي والرابع القسوة بالقلب والنسيان للآخرة لانك اذا أملت العيش الطويل لا تذكر الموت والقبر كما قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أن أخوف ما أخاف عليكم اثنتان طول الامل واتباع الهوى ألا وان طول الامل ينسي الآخرة واتباع الهوى يصد عن الحق فاذن يصير فكرك ومعظم أمرك في حديث الدنيا وأسباب العيش وفي صحبة الخلق ونحوها فيقسو القلب من ذلك وانما رقة القلب وصفوته بذكر الموت والقبر والثواب والعقاب وأحوال الآخرة واذا لم يكن شئ من ذلك فمن أين يكون لقلبك رقة وصفوة قال الله تعالى فطال عليهم الامد فقست قلوبهم فاذن أنت اذا طولت أملك قلت طاعتك وتأخرت توبتك وكثرت معصيتك واشتد حرصك وقسا قلبك وعظمت غفلتك عن العاقبة فذهبت والعياذ بالله ان لم يرحم الله تعالى آخرتك فأي حال أسوأ من هذه وأي آفة أعظم من هذه وكل هذا بسبب طول الامل وأما ان قصرت أملك وقربت من نفسك موتك وتذكرت حال أقرانك واخوانك الذين غافصهم الموت في وقت لم يحتسبوه ولعل حالك مثل حالهم فاحذري يانفسي الغرور واذكري ماقال عوف بن عبد الله رحمه الله كم من مستقبل يوما لم يستكمله ومنتظر غدا لم يدركه لو رأيت الاجل ومسيره لأبغضت الامل وغروره أما سمعت قول عيسى ابن مريم عليه السلام الدنيا ثلاثة أيام أمس مضى ما بيدك منه شئ وغدا لا تدري أتدركه أم لا ويوم أنت فيه فاغتنمه ثم قول أبي ذر الغفاري رضي الله عنه الدنيا ثلاث ساعات ساعة مضت وساعة أنت فيها وساعة لا تدري أتدركها أم لا فلست تملك بالحقيقة الا ساعة واحدة اذ الموت من ساعة الى ساعة ثم قول شيخنا رحمه الله الدنيا ثلاثة أنفاس نفس مضى عملت فيه ما عملت ونفس أنت فيه ونفس لا تدري أتدركه أم لا إذ كم من متنفس نفسا ففاجأه الموت قبل النفس الآخر فلست تملك الا نفسا واحدا بالحقيقة لا يوما ولا ساعة فبادر في هذا النفس الواحد الى الطاعة قبل أن يفوت والى التوبة فلعلك في النفس الثاني تموت ولا تهتم بالرزق فلعلك لا تعيش فتحتاج اليه فيكون وقتك ضائعا والهم فاضلا وما عسى أن يهتم الانسان بالرزق ليوم واحد أو ساعة واحدة أو نفس واحد أما تذكر ما قال النبي صلى الله عليه وسلم لاسامة أما تعجبون من اسامة المشتري بصبر شهر ان أسامة لطويل الامل والله ما وضعت قدما فظننت أني أرفعها ولا تنفست فظننت أني أسيغها حتى يدركني الموت والذي نفسي بيده ان ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين فاذا أنت أيها الرجل تذكرت هذه الاذكار وواظبت على ذلك بالاعادة والتكرار قصر أملك باذن الله تعالى فحينئذ ترى نفسك تبادر الى الطاعات وتعجل توبتك فتسقط عنك معصيتك وتزهد في الدنيا وطلبها فيخف حسابك وتبعتك ويقع قلبك في تذكر الآخرة وأهوالها وما هو الا من نفس الى نفس تصير اليها وتعاينها واحدا فواحدا فتزول عنك القسوة وتبدو لك الرقة والصفوة وتستشعر عند ذلك الخوف من الله تعالى والخشية فيستقيم لك أمر عبادتك ويقوى الرجاء في أن تستعد في عافيتك وتظفر بالمراد في عاقبتك وكل ذلك بعد فضل الله تعالى بسبب هذه الخصلة التي هي قصر

عنك هالك ومالك وولدك وأصدقاؤك ثم اذا اصفرت الشمس فاجتهد أن تعود الى المسجد قبل الغروب وتشتغل بالتسبيح والاستغفار فان فضل هذا الوقت كفضل ماقبل الطلوع قال الله تعالى وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها واقرأ قبل غروب الشمس والشمس وضحاها والليل اذا يغشى والمعوذتين ولتغرب عليك الشمس وأنت في الاستغفار فاذا سمعت الاذان فأجب وقل بعده اللهم اني أسألك عند اقبال ليلك وادبار نهارك وحضور صلاتك وأصوات دعاتك أن تؤتي محمدا الوسيلة والفضيلة والشرف والدرجة الرفيعة وابعثه المقام المحمود الذي وعدته انك لا تخلف الميعاد والدعاء كما سبق * ثم صل الفرض بعد جواب المؤذن والاقامة وصل بعده ركعتين قبل ان تتكلم فهما راتبة المغرب وان صليت بعدها أربعا فهي أيضا سنة * وان أمكنك أن تنوي الاعتكاف الى العشاء وتحيي مابين العشاءين بصلاة فقد ورد في فضل ذلك مالا يحصى وهي ناشئة الليل لانها أول نشأة وهي صلاة الاوابين * وسئل

الامل * ولقد حكي أن زرارة بن أوفى رحمه الله قيل له فى النوم بعد موته أى الاعمال أبلغ فيما عندكم قال الرضا وقصر الامل فانظر لنفسك أيها الاخ وابذل المجهود فى هذا الاصل الكبير فانه الاهم والاعظم فى صلاح القلب والنفس والله تعالى ولى التوفيق بفضله ورحمته * وأما الحسد فانه المفسد للطاعات الباعث على الخطيآت وانه الداء العضال الذى يبتلى به الكثير من القراء والعلماء فضلا عن العامة والجهال حتى أهلكهم واوردهم النار * أما تسمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة يدخلون النار بستة العرب بالعصبية والامراء بالجور والدهاقين بالكبر والتجار بالخيانة وأهل الرساتيق بالجهل والعلماء بالحسد وان بلية تبلغ شؤمها أن أوردت العلماء النار لحقيق أن يحذر منها * واعلم أن الحسد يهيج خمسة أشياء أحدها افساد الطاعات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب والثانى فعل المعاصى والشرور على ما قال وهب بن منبه رحمه الله للحاسد ثلاث علامات يتملق اذا شهد ويغتاب اذا غاب ويشمت بالمصيبة اذا نزلت * قلت وحسبك أن الله تعالى أمرنا بالاستعاذة من شر الحاسد فقال سبحانه ومن شر حاسد اذا حسد كما أمرنا بالاستعاذة من شر الشيطان والساحر فانظر كم له من الشر والفتنة حتى أنزله منزلة الشيطان والساحر حتى ان لا مستعان عليه ولا مستعاذ الا بالله رب العالمين * والثالث التعب والهم من غير فائدة بل مع ذلك وزر ومعصية كما قال ابن السماك رحمه الله لم أر ظالما أشبه بالمظلوم من الحاسد نفس دائم وعقل هائم وغم لازم والرابع عمى القلب حتى لا يكاد يفهم حكما من أحكام الله عز وجل فلقد قال سفيان الثورى رحمه الله عليك بطول الصمت تملك الورع ولا تكن حريصا على الدنيا تكن حافظا ولا تكن طعانا تنج من ألسن الناس ولا تكن حاسدا تكن سريع الفهم والخامس الحرمان والخذلان ولا يكاد يظفر بمراده ولا ينصر على عدو كما قال حاتم الاصم رحمه الله الضغين غير ذى دين والعائب غير عابد والنمام غير مأمون والحسود غير منصور * قلت الحسود كيف يظفر بمراده ومراده زوال نعم الله تعالى عن عباده المسلمين وكيف ينصر على اعدائه وهم عباد الله المؤمنون ولقد أحسن أبو يعقوب رحمه الله فيما قال اللهم صبرنا على تمام النعم على عبادك وحسن أحوالهم وانه داء يفسد عليك الطاعة ويكثر شرك ومعصيتك ويمنعك راحة النفس وفهم القلب والنصرة على الاعداء والظفر بالمطلوب فاى داء يكون أدوأ منه فعليك بمعالجة نفسك من ذلك والله تعالى ولى التوفيق بمنه وكرمه

﴿وأما الاستعجال والترقى فى البر﴾ فانه الخصلة المفوتة للمقاصد الموقعة فى المعاصى فان منها تبدو آفات أربع احداها أن يقصد العابد منزلة فى الخير والاستقامة ويجتهد فربما يستعجل فى نيلها وليس ذلك بوقتها فاما أن يفتر وييأس فيترك الاجتهاد فيحرم تلك المنزلة واما أن يغلو فى الجهد واتعاب النفس فينقطع عن تلك المنزلة فهو بين افراط وتفريط وكلاهما نتيجة الاستعجال * ولقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان ديننا هذا متين فاوغل فيه برفق فان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى وفى المثل السائر ان لم تستعجل تصل ولقائل

قد يدرك المتأنى بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل

والثانية أن يكون للعابد حاجة فيدعو الله تعالى فيها ويكثر الدعاء ويجد فربما يستعجل الاجابة قبل وقتها فلا يجدها فيفتر ويسأم فيترك الدعاء فيحرم حاجته ومقصوده والثالثة أن يظلمه انسان فيغيظه فيعجل بالدعاء عليه فيهلك مسلم بسببه وربما يتجاوز عن الحد فيقع فى معصية وهلاك قال الله تعالى ويدعو الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا والرابعة ان أصل العبادة وملاكها الورع والورع أصله النظر البالغ فى كل شئ والبحث التام عن كل شئ هو بصدده من أكل وشرب ولبس وكلام وفعل فاذا كان الرجل مستعجلا فى الامور غير متأن ولا متثبت متبين لم يقع منه توقف ونظر فى الامور كما يجب

رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع فقال هى الصلاة ما بين العشاءين انها تذهب بملغيات أول النهار وآخره والملغيات جمع ملغاة وهى من اللغو * فاذا دخل وقت العشاء فصل أربع ركعات قبل الفرض إحياء لما بين الاذانين ففضل ذلك كثير * وفى الخبر ان الدعاء بين الاذان والاقامة لا يرد ثم صل الفرض وصل الراتبة ركعتين واقرأ فيهما سورة ألم السجدة وتبارك الملك أو سورة يس والدخان فذلك مأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصل بعدها أربع ركعات ففى الخبر ما يدل على عظيم فضلها ثم صل الوتر بعدها ثلاثا بتسليمتين أو بتسليمة واحدة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فيهما سورة سبح اسم ربك الاعلى وقل يا أيها الكافرون والاخلاص والمعوذتين فان كنت عازما على قيام الليل فأخر الوتر ليكون آخر صلاتك بالليل وترا ثم اشتغل بعد ذلك بذكر علم أو مطالعة كتاب ولا تشتغل باللهو واللعب فيكون ذلك خاتمة أعمالك قبل نومك فان الاعمال بخواتيمها

ترقسارع

ويتسارع الى كلام فيقع في الزلل والى كل طعام فيقع في الحرام والشبهة وكذلك في كل أمر فيفوته الورع وأي خير في عبادة بلا ورع واذا كان في خصلة الانقطاع عن منازل الخير وحرمان الحاجات وهلاك المسلمين وهلاكه ثم خطر فوت الورع الذي هو رأس المال فحق للانسان أن يهتم لها بالازالة واصلاح النفس بعدها والله ولي التوفيق بمنه وفضله (وأما الكبر) فانه الخصلة المهلكة رأساً أما تسمع قوله تعالى أبى واستكبر وكان من الكافرين وليست هذه الخصلة بمنزلة سائر الخصال التي تقدح في عمل وتضر بفرع وانما تضر بالاصل وتقدح في الدين والاعتقاد واذا قويت وغلبت لا تتدارك والعياذ بالله ثم أقل ما يهيج منها على صاحبها أربع آفات احداها حرمان الحق وعمى القلب عن معرفة آيات الله تعالى وفيها أحكام الله تعالى قال الله تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وقال تعالى كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار * والثانية المقت والبغض من الله تعالى قال الله تعالى انه لا يحب المستكبرين * وروى أن موسى عليه السلام قال يارب من أبغض خلقك اليك قال من تكبر قلبه وغلظ لسانه وصفق عينه وبخلت يده وساء خلقه والثالثة الخزي والنكال في الدنيا والآخرة قال حاتم رحمه الله اجتنب أن يدركك الموت على ثلاثة على الكبر والحرص والخيلاء فان المتكبر لا يخرجه الله تعالى من الدنيا حتى يريه الهوان من أرذل أهله وخدامه والحريص لا يخرجه الله تعالى من الدنيا حتى يحوجه الى كسرة أو شربة ولا يجد مساغا والمختال لا يخرجه الله تعالى من الدنيا حتى يمرغه ببوله وقذره * وقيل من تكبر بغير حق أورثه الله تعالى ذلا بحق والرابعة النار والعذاب في العقبى على ما روى ان الله تعالى يقول الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني في واحد منهما أدخلته نار جهنم * والمعنى ان العظمة والكبرياء من الصفات التي تختص بي فلا تنبغي لاحد غيري كما أن رداء الانسان وازاره يختص به لا يشاركه فيه وان خصلة تفوتك معرفة الحق وفهم معاني آيات الله تعالى وأحكامه الذي هو أصل الامر كله تثمر لك المقت من الله سبحانه وتعالى والخزي في الدنيا والنار في الآخرة لا ينبغي لعاقل أن يغفل عن نفسه فلا يصلحها بازالتها بالحذر والتحرز والاستعاذة بالله من ذلك وهو جل وعز ولي العصمة والتوفيق بمنه فهذا بعض ما حضرنا في هذه الخصال الاربع من الآفات وحسب العاقل واحدة منها فضلا عن الكل اذا أهمه أمر قلبه وحامى عن أمر دينه والله الموفق (فان قلت) فاذا كان الامر بهذه المنزلة من آفات هذه الخصال ولزوم التحفظ منها فلابد من معرفة حقيقتها وحدها فبين لنا ذلك لنعرف كيف الطريق الى التحفظ عنها * فاعلم ان في كل واحدة منها كلاما كثيرا وقد أشبعنا القول فيه في كتاب الاحياء والاسرار ونحن نذكر ههنا ما لابد من ذكره ولا يقع الغنى عنه فنقول وبالله التوفيق * أما الامل فقال أكثر علمائنا رحمهم الله انه ارادة الحياة للوقت المتراخي بالحكم وقصر الامل ترك الحكم فيه بان تقيده بالاستثناء بمشيئة الله وعلمه في الذكر أو بشرط الصلاح في الارادة فاذن ان ذكرت حياتك بأني أعيش بعد نفس ثان أو ساعة ثانية أو يوم ثان بالحكم والقطع فانت آمل وذلك منك معصية اذ هو حكم على الغيب فان قيدته بالمشيئة والعلم من الله فقلت أعيش ان شاء الله أو ان علم الله أن أعيش فقد خرجت عن حكم الامل ووصفت بترك الامل وكذلك ان أردت حياتك للوقت الثاني قطعا فانت آمل وان قيدت ارادتك بشرط الصلاح خرجت عن حكم الامل ووصفت بقصر الامل من حيث تركت الحكم فيه فعليك بترك الحكم في ذكر البقاء وارادته والمراد بالذكر ذكر القلب ثم المراد منه التوطين على ذلك والتثبيت للقلب عليه فافهم ذلك راشدا ان شاء الله عزوجل * ثم الامل ضربان أمل العامة وأمل الخاصة فامل العامة أن تريد الحياة والبقاء لجمع الدنيا والتمتع بها وهذه معصية محضة وضدها قصر الامل قال الله تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون وأما الخاصة فأن تريد البقاء

فاذا أردت النوم فابسط فراشك مستقبل القبلة ونم على يمينك كما يضجع الميت في لحده * واعلم ان النوم مثل الموت واليقظة مثل البعث ولعل الله تعالى يقبض روحك في ليلتك فكن مستعدا للقائه بأن تنام على طهارة وتكون وصيتك مكتوبة تحت رأسك وتنام تائبا من الذنوب مستغفرا عازما على أن لا تعود الى معصية واعزم على الخير لجميع المسلمين ان بعثك الله تعالى وتذكر أنك ستضجع في اللحد كذلك وحيدا فريدا ليس معك الا عملك ولا تجزى الا بسعيك ولا تستجلب النوم تكلفا بتمهيد الفرش الوطيئة فان النوم تعطيل الحياة الا اذا كانت يقظتك وبالا عليك فنومك سلامة لدينك * واعلم أن الليل والنهار أربع وعشرون ساعة فلا يكون نومك بالليل والنهار أكثر من ثمان ساعات فيكفيك ان عشت مثلا ستين سنة أن تضيع منها عشرين سنة وهو ثلث عمرك وأعد عند النوم سواكك وطهورك واعزم على قيام الليل أو على القيام قبل الصبح وركعتان في جوف الليل كنز من كنوز البر فاستكثر

لا تمام عمل خير فيه خطر وهو ما لا يستيقن الصلاح له فيه فانه ربما يكون خير معين لا يكون للعبد فيه أوفى اتمامه صلاح بان يقع بسببه فى عجب وآفة لا يقوم بها هذا الخير فاذن ليس للعبد اذا ابتدأ فى صلاة أو صوم أو غيره أن يحكم بانه يتمه اذ هو غيب ولا أن يقصد ذلك قطعا لانه ربما لا يكون له فيه صلاح بل يقيد ذلك بالاستثناء أو بشرط الصلاح ليخلص من عيب الامل قال الله تعالى لنبيه عليه السلام ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله * وضد هذا الامل فيما قال العلماء النية المحمودة وانما قالوا ذلك على ضرب من الاتساع لان الناوى بالنية المحمودة يكون ممتنعا من الامل فهذا حكم الامل والنية المحمودة اذا قدمت الحاجة اليها والى معرفتها مع أنها الاصل الاصيل قالوا رحمهم الله فى حدها الجامع التام ان النية الصحيحة المحمودة لرادة أخذ عمل مبتدإ به قبل سائر الاعمال بالحكم مع ارادة اتمامه بالتفويض والاستثناء * فان قيل فلم جاز الحكم فى الابتداء ووجب التفويض والاستثناء فى الاتمام * يقال له لفقد الخطر فى الابتداء اذ هو فى حال الابتداء ليس بشئ متراخ عنك ولثبوت الخطر فى الاتمام اذ هو يقع فى وقت متراخ ففيه الخطران خطر الوصول لا تدرى هل تصل الى ذلك أم لا وخطر الفساد لا تدرى هل فى ذلك صلاح أم لا فاذا وجب الاستثناء لخطر الوصول والتفويض لخطر الفساد واذا حصلت الارادة على هذه الشروط تكون حينئذ نية محمودة مخرجة عن حد الامل وآفته فتأمل جدا فهذه هذه * واعلم ان حصن قصر الامل ذكر الموت وحصن حصنه ذكر فجأة الموت وأخذه على غرة وغفلة وهو فى غرور وفتور فاحتفظ بهذه الجملة وحصلها موفقا فان الحاجة ماسة اليها ودع عنك تضييع الوقت فى القيل والقال وملاحاة الرجال والله الموفق بفضله * وأما الحسد فهو ارادة زوال نعم الله تعالى عن أخيك المسلم مما له فيه صلاح فان لم ترد زوالها عنه ولكن تريد لنفسك مثلها فهو غبطة وعلى هذا يحمل قوله عليه السلام لا حسد الا فى اثنتين الخبر أى لا غبطة الا فى ذلك فعبر عن الغبطة بالحسد اتساعا فى ذلك لمقاربتهما فان لم يكن له فيها صلاح فاردت زوالها عنه فذلك غيرة فهذا هو الفرق بين هذه الخصال * وأما ضد الحسد فالنصيحة وهى ارادة بقاء نعم الله تعالى على أخيك المسلم مما له فيها صلاح * فان قيل كيف نعلم أن له فيها صلاحا أو فسادا لننصحه أو نحسده * فاعلم أنه قد يكون لنا غالب الظن بذلك وغلبة الظن منا تجرى مجرى العلم فى هذه المواضع ثم ان اشتبه عليك فلا تريدن زوال نعمة أحد من المسلمين أو بقاءها الا مقيدا بالتفويض وشرط الصلاح لتتخلص من حكم الحسد ويحصل لك فائدة النصيحة * وأما حصن النصيحة المانع من الحسد فهو ذكر ما أوجبه الله تعالى من موالاة المسلمين وحصن هذا الحصن ذكر ما عظم الله تعالى من حق المؤمن ورفع من قدره وما له عند الله من الكرامات العظيمة فى العقبى وما لك فيه من الفوائد الجليلة فى الدنيا من التعاون والتظاهر والجماعات والجمعات ثم ما ترجو من شفاعته فى الآخرة فهذه ونحوها مما يبعث على النصح لكل مسلم ويجنبك من أن تحسده فى نعمة أعطاه الله تعالى اياها والله سبحانه ولى التوفيق بفضله * وأما العجلة فانها المعنى الراتب فى القلب الباعث على الاقدام على الامر باول خاطر دون التوقف فيه والاستطلاع منه بل الاستعجال فى اتباعه والعمل به وضدها الاناة وهو المعنى الراتب فى القلب الباعث على الاحتياط فى الامور والنظر فيها والتأنى فى اتباعها والعمل بها * وأما التوقف فضده التعسف قال شيخنا رحمه الله الفرق بين التوقف والتأنى ان التوقف قبل الدخول فى الامر حتى يستبين له رشده والتأنى بعد الدخول فيه حتى يؤدى لكل جزء منه حقه ثم مقدمات الاناة ذكر وجوه الخطر فى الامور التى تعترض للانسان وضروب الآفات المخوفة فيها وذكر ما فى النظر والتثبت من السلامة وما فى التعسف والاستعجال من الندامة والملامة وهذه وأمثالها مما يبعث على التأنى والتوقف فى الامور ويمنع من الاستعجال والتعسف والله تعالى ولى العصمة برحمته

من كنوزك ليوم فقرك فلن تغنى عنك كنوز الدنيا ذا مت * و ... نومك اسمك ربى وضعت جنبى وباسمك أرفعه فاغفرلى ذنبى اللهم قنى عذابك يوم تبعث عبادك اللهم باسمك احيا وأموت أعوذ بك اللهم من شر كل ذى شر ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم اللهم أنت الاول فليس قبلك شئ وأنت الآخر فليس بعدك شئ وأنت الظاهر فليس فوقك شئ وأنت الباطن فليس دونك شئ اللهم أنت خلقت نفسى وأنت تتوفاها لك محياها ومماتها ان أمتها فاغفر لها وان أحييتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين اللهم انى أسألك العفو والعافية اللهم أيقظنى فى أحب الساعات اليك واستعملنى باحب الاعمال اليك حتى تقربنى اليك زلفى وتبعدنى عن سخطك بعدا أسألك فتعطينى وأستغفرك فتغفرلى وأدعوك فتستجيب لى ثم اقرأ آية الكرسى وآمن الرسول الى آخر السورة والاخلاص والمعوذتين وسورة تبارك الملك وليأخذك النوم وأنت على ذكر الله وعلى الطهارة فمن فعل ذلك عرج بروحه الى العرش وكتب

ولما

* وأما التكبر فاعلم أنه خاطر في رفع النفس واستعظامها ولهذا التكبر اتباعه والضعة خاطر في وضع النفس واحتقارها والتواضع اتباعه وكل واحد منهما عامي وخاصي فالتواضع العامي هو الاكتفاء بالدون من الملبس والمسكن والمركب والتكبر في مقابلته الترفع عن ذلك والتواضع الخاصي هو تمرين النفس على قبول الحق ممن كان وضيعا أو شريفا والتكبر في مقابلته الترفع عن ذلك وهو معصية كبيرة وخطيئة عظيمة ثم حصن التواضع العامي أن تذكر مبدأك ومنتهاك وما أنت عليه في الحال من ضروب الآفات والاقذار كما قال بعضهم أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وأنت فيما بينهما حامل العذرة وحصن التواضع الخاصي هو ذكرك عقوبة العادل عن الحق المتمادي في الباطل فهذه جملة كافية لمن استبصر والله الموفق وولي التوفيق

﴿ الفصل الخامس في البطن وحفظه ﴾

ثم عليك يا طالب العبادة بحفظ البطن وإصلاحه فإنه أشق الاعضاء إصلاحا على المجتهد وأكثرها مؤنة وشغلا وأعظمها ضررا وأثرا لانه المنبع والمعدن ومنه تهيج الامور في الاعضاء من قوة وضعف وعفة وجماع ونحوه فعليك إذا بصيانته عن الحرام والشبهة أولا ثم عن فضول الحلال ثانيا إن كانت لك همة في عبادة الله تعالى فأما الحرام والشبهة فإنما يلزمك التجنب لثلاثة أمور أولها حذرا من نار جهنم قال الله تعالى إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا وقال النبي صلى الله عليه وسلم كل لحم نبت من سحت فالنار أولى به والثاني أن آكل الحرام والشبهة مطرود لا يوفق للعبادة إذ لا يصلح لخدمة الله تعالى إلا كل طاهر مطهر (قلت أنا) أليس الله تعالى قد منع الجنب عن الدخول في بيته والمحدث عن مس كتابه قال عز من قائل ولا جنبا إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا وقال الله تعالى لا يمسه إلا المطهرون مع أن الجنابة والحدث أمر مباح فكيف بمن هو منغمس في قذر الحرام ونجاسة السحت والشبهة ومتى يدعى إلى خدمة الله العزيز وذكره الشريف سبحانه كلا فلا يكون ذلك أبدا وقال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله الطاعة مخزونة في خزائن الله تعالى ومفتاحها الدعاء وأسنانها الحلال فإذا لم يكن للمفتاح أسنان فلا ينفتح الباب وإذا لم ينفتح باب الخزانة كيف يصل إلى ما فيها من الطاعة والثالث أن آكل الحرام والشبهة محروم من فعل الخير فإن اتفق له فعل خير فهو مردود عليه غير مقبول منه فإذن لا يكون له من ذلك إلا العناء والكد وشغل الوقت قال صلى الله عليه وسلم كم من قائم ليس له من قيامه إلا السهر وكم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والظمأ وعن ابن عباس رضي الله عنهما لا يقبل الله صلاة امرئ في جوفه حرام فهذه هذه * وأما فضول الحلال فإنه آفة العباد وبلية أهل الاجتهاد فإني تأملت فوجدت فيه عشر آفات هن أصول في هذا الشأن الاولى أن في كثرة الاكل قسوة القلب وذهاب نوره * روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تميتوا القلب بكثرة الطعام والشراب فإن القلب يموت كالزرع إذا كثر عليه الماء ولقد شبه ذلك بعض الصالحين بأن المعدة كالقدر تحت القلب تغلي والبخار يرتفع إليه فكثرة البخار تكدره وتسمه الثانية أن في كثرة الاكل فتنة الاعضاء وهيجها وانبعاثها للفضول والفساد فإن الرجل إذا كان شبعان بطرا اشتهت عينه النظر إلى ما لا يعنيه من حرام أو فضول والأذن الاستماع إليه واللسان التكلم والفرج الشهوة والرجل المشي إليه وإن كان جائعا تكون الاعضاء كلها ساكنة هادئة لا تطمح إلى شيء من هذا ولا تنشط له ولقد قال الاستاذ أبو جعفر رحمه الله إن البطن عضو إن جاع هو شبع سائر الاعضاء يعني تسكن فلا تطالبك بشيء وإن شبع هو جاع سائر الاعضاء وجملة الامر أن أفعال الرجل وأقواله على حسب طعامه وشرابه إن دخل الحرام خرج الحرام وإن دخل الفضول خرج الفضول كأن الطعام بذر الافعال والافعال نبت تبدو منه الثالثة أن في كثرة الاكل قلة الفهم والعلم فإن البطنة تذهب الفطنة ولقد صدق

مصليا إلى أن يستيقظ * فإذا استيقظت فارجع إلى ما عرفتك أولا ودم على هذا الترتيب بقية عمرك فإن شقت عليك المداومة فاصبر صبر المريض على مرارة الدواء انتظار الشفاء وتفكر في قصر عمرك وإن عشت ثلاثمائة سنة فهي قليلة بالاضافة إلى مقامك في الدار الآخرة وهي أبد الآباد وتأمل أنك كيف تتحمل المشقة والذل في طلب الدنيا شهرا أو سنة رجاء أن تستريح بها عشرين سنة مثلا فكيف لا تتحمل ذلك أياما قلائل رجاء الاستراحة أبد الآباد ولا تطول أملك فيثقل عليك عملك وقدر قرب الموت وقل في نفسك إني أحتمل المشقة اليوم فلعلي أموت الليلة وأصبر الليلة فلعلي أموت غدا فإن الموت لا يهجم في وقت مخصوص وحال مخصوص وسن مخصوص ولا بد من هجومه فالاستعداد له أولى من الاستعداد للدنيا وأنت تعلم أنك لا تبقى فيها إلا مدة يسيرة ولعله لم يبق من أجلك إلا يوم واحد أو نفس واحد فقدر هذا في قلبك كل يوم وكلف نفسك الصبر على طاعة الله يوما بيوم فإنك لو قدرت البقاء خمسين سنة وألزمتها الصبر على طاعة الله

الدارانى رحمه الله حيث قال اذا أردت حاجة من حوائج الدنيا والآخرة فلا تأكل حتى تقضيها فان الاكل يغير العقل وهذا أمر ظاهر علمه من اختبره الرابعة ان فى كثرة الاكل قلة العبادة فان الانسان اذا أكثر الاكل ثقل بدنه وغلبته عيناه وفترت أعضاؤه فلا يجيء منه شئ وان اجتهد الا النوم كالجيفة الملقاة ولقد قيل اذا كنت بطينا فعد نفسك زمينا ولقد ذكر عن يحيى عليه السلام ان ابليس بدا له وعليه معاليق فقال له يحيى ما هذه فقال هذه الشهوات التى أصيد بها بنى آدم فقال له هل تجد لى فيها شيأ قال لا الا أنك شبعت ذات ليلة فثقلناك عن الصلاة قال يحيى عليه السلام لا جرم انى لا أشبع بعدها أبدا قال ابليس لا جرم انى لا أنصح بعدها أحدا ابدا فهذه فيمن لم يشبع فى عمره الا ليلة فكيف بمن لا يجوع فى عمره ليلة ثم يطمع فى العبادة وقال سفيان رحمه الله العبادة حرفة وحانوتها الخلوة وآلتها المجاعة الخامسة ان فى كثرة الاكل فقد حلاوة العبادة * قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه ما شبعت منذ أسلمت لأجد حلاوة عبادة ربى وما رويت منذ أسلمت اشتياقا الى لقاء ربى وهذه صفات المكاشفين فكان أبو بكر رضى الله عنه مكاشفا واليه أشار صلى الله عليه وسلم بقوله ما فضلكم أبو بكر بفضل صوم ولا صلاة وانما هو شئ وقر فى نفسه وقال الدارانى أحلى ما تكون العبادة اذا التزق بطنى بظهرى السادسة ان فيه خطر الوقوع فى الشبهة والحرام لان الحلال لا يأتيك الا قوتا ولقد روينا عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الحلال لا يأتيك الا قوتا والحرام يأتيك جزافا جزافا السابعة ان فيه شغل القلب والبدن بتحصيله أولا وبتهيئته ثانيا ثم بأكله ثالثا ثم بالفراغ عنه والتخلص رابعا بالسلامة منه خامسا بان تبدو منه آفة فى البدن بل آفات وعلل فى الدنيا ولقد قال صلى الله عليه وسلم أصل كل داء البردة يعنى التخمة وأصل كل دواء الازمة يعنى الجوع والحمية * وعن مالك بن دينار أنه كان يقول يا هؤلاء لقد اختلفت الى الخلاء حتى استحييت من ربى بسبب كثرة الاكل فياليت ان الله جعل رزقى فى حصاة أمصها حتى أموت ثم لا بد فى هذه الجملة من طلب الدنيا والطمع الى الناس وتضييع الوقت بسبب كثرة الاكل ما لم يخف الثامنة ما يناله من أمور الآخرة وشدة سكرات الموت * وروى فى الاخبار أن شدة سكرات الموت على قدر لذات الدنيا فمن أكثر من هذا أكثر له من تلك التاسعة نقصان الثواب فى العقبى قال الله تعالى أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون فى الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون فانه بقدر ما تأخذ من لذات الدنيا ينقص من لذات الآخرة ولهذا المعنى ان الله تعالى لما عرض الدنيا على نبينا صلى الله عليه وسلم قال له ولا أنقصك من آخرتك شيأ خصه بذلك فدل على أن لغيره النقصان الا أن يتفضل الله عليك بذلك * ولقد روى ان خالد بن الوليد أضاف عمر بن الخطاب رضى الله عنهما وهيأ له طعاما فقال عمر هذا لنا فما للفقراء المهاجرين الذين ماتوا ولم يشبعوا من خبز الشعير قال خالد لهم الجنة يا أمير المؤمنين قال عمر لئن فازوا بالجنة وكان هذا حظنا من الدنيا فقد بانوا منا بونا بعيدا * وروى أن عمر رضى الله عنه عطش يوما فدعا بماء فاعطاه رجل اداوة فيها ماء نبذ فيه تمرات فلما قربها عمر من فيه وجد الماء باردا حلوا فامسك وقال أوه فقال الرجل والله ما ألوته حلاوة يا أمير المؤمنين فقال عمر رضى الله عنه ذلك الذى منعنى منه ويحك لولا الآخرة لشاركناكم فى عيشكم العاشرة الحبس والحساب واللوم والتعيير فى ترك الادب فى أخذ الفضول وطلب الشهوات فان الدنيا حلالها حساب وحرامها عقاب وزينتها الى تباب فهذه جملة العشرة وفى احداها كفاية لمن نظر لنفسه فعليك أيها المجتهد بالاحتياط البالغ فى القوت كى لا تقع فى حرام أو شبهة فيلزمك العذاب ثم بالاقتصار من الحلال على ما يكون عدة على عبادة الله تعالى فلا تقع فى شر فتبقى فى الحبس والله ولى التوفيق * فان قلت فبين لنا أولا حكم الحرام والشبهة وحدهما * فاقول لعمر الله لقد أشبعنا القول فيه فى أسرار معاملات

تعالى تفرغت واستمعت عليك فان فعلت ذلك فرحت عند الموت فرحا لا آخر له وان سوفت وتساهلت جاء الموت فى وقت لا تحتسبه وتحسرت تحسرا لا آخر له وعند الصباح يحمد القوم السرى وعند الموت يأتيك خبر العقبى ولتعلمن نبأه بعد حين * واذ أرشدناك الى ترتيب الاوراد فلنذكر لك كيفية الصلاة والصوم وآدابهما وآداب القدوة والجماعة والجمعة

﴿ آداب الصلاة ﴾

فاذا فرغت من طهارة الخبث وطهارة الحدث فى البدن والثياب والمكان ومن ستر العورة من السرة الى الركبة فاستقبل القبلة قائما مفرجا بين قدميك بحيث لا تضمهما واستو قائما ثم اقرأ قل أعوذ برب الناس تحصنا بها من الشيطان الرجيم وأحضر قلبك وفرغه من الوسواس وانظر بين يدى من تقوم ومن تناجى واستح أن تناجى مولاك بقلب غافل وصدر مشحون بوسواس الدنيا وخبائث الشهوات واعلم أن الله تعالى مطلع على سريرتك وناظر الى قلبك فانما يتقبل الله من صلاتك بقدر خشوعك وخضوعك وتواضعك وتضرعك

الدين وذكرناه كتابا مفردا في كتاب الاحياء لكنا نشير الى كلمات مفردة بحيث تصل الى فهم الضعيف المبتدى اذ مقصود هذا الكتاب ان ينتفع به المبتدى في العبادة ويعين الطالب قال بعض العلماء كل ماتيقنت كونه ملكا للغير منهيا عنه في الشرع فهو حرام محض وأما اذا لم يكن لك يقين بذلك ولكن يغلب على ظنك أنه كذلك فهو شبهة وقال آخرون بل الحرام المحض مايكون به علم أو غالب ظن لان غلبة الظن منا تجرى مجرى العلم في كثير من الاحكام فاما اذا تساوت الامارتان حتى تبقى شاكا لا يكون لاحدهما ترجيح عندك فذلك شبهة يشبه أنه حلال ويشبه أنه حرام فاشتبه أمره عليك والتبس حاله ثم الامتناع عن الذى هو حرام محض حتم واجب وعن الذى هو شبهة تقوى وورع وهذا أولى القولين عندنا * فان قيل فما تقول في قبول جوائز السلاطين في هذا الزمان * فاعلم أن العلماء اختلفوا فيه فقال قوم كل مالا يتيقن أنه حرام فله أخذه وقال آخرون لا يحل أن يأخذ مالا يتحقق أنه حلال لان الاغلب في هذا العصر على أموال السلاطين الحرام والحلال في أيديهم معدوم أو عزيز وقال قوم ان صلات السلاطين تحل للغنى والفقير اذا لم يتحقق انها حرام وانما التبعة على المعطى قالوا لان النبي صلى الله عليه وسلم قبل هدية المقوقس ملك الاسكندرية واستقرض من اليهود مع قول الله سبحانه أكالون للسحت قالوا وقد أدرك جماعة من الصحابة أيام الظلمة وأخذوا منهم فمنهم أبو هريرة وابن عباس وابن عمرو وغيرهم رضوان الله عليهم أجمعين وقال آخرون لا يحل من أموالهم شئ لغنى ولا لفقير اذهم موسومون بالظلم والغالب على مالهم السحت والحرام والحكم للغالب فيلزم الاجتناب وقال آخرون مالا يتيقن أنه حرام فهو حلال للفقير دون الغنى الا أن يعلم الفقير أن ذلك عين الغصب فليس له أن يأخذه الا ليرده على مالكه ولا حرج على الفقير أن يأخذ من أموال السلطان لانها ان كانت ملك السلطان فاعطى الفقير فله أخذه بلا ريب وان كانت من فىء أو خراج أو عشر فللفقير فيه حق وكذلك لاهل العلم قال على بن أبي طالب رضى الله عنه من دخل الاسلام طائعا وقرأ القرآن ظاهرا فله في بيت مال المسلمين كل سنة مائتا درهم وروى مائتا دينار ان لم يأخذها في الدنيا أخذها في الآخرة واذا كان كذلك فالفقير والعالم يأخذان من حقهما قالوا واذا كان المال مختلطا بمال مغصوب لا يمكن تمييزه أو غصبا لا يمكن رده على صاحبه وذريته فلا خلاص للسلطان منه الا بان يتصدق به وما كان الله ليأمره بالصدقة على الفقير وينهى الفقير عن قبولها أو يأذن للفقير في القبول وهو عليه حرام فاذن للفقير أن يأخذ الا عين الغصب والحرام فليس له أخذه وهذه المسائل لا يمكن الفتوى فيها الا ببسط وتشقيق واستيعاب القول فيها يخرج عن المقصود من الكتاب فان أردت معرفتها فطالع كتاب الحلال والحرام من كتاب احياء علوم الدين الذى صنفناه تجده مشروحا مبينا ان شاء الله تعالى * فان قيل فما تقول في صلات أهل السوق وغيرهم هل يلزم ردها أو البحث عنها وقد علمت مجازفتهم وقلة نظرهم في معاملتهم كذلك صلات الاخوان * فالجواب أنه اذا كان ظاهر الانسان الصلاح والستر فلا حرج عليك في قبول صلته وصدقته ولا يلزم البحث بان تقول قد فسد الزمان فان هذا سوء ظن بذلك الرجل المسلم بل حسن الظن بالمسلمين مأمور به * ثم اعلم ما هو الاصل في هذا الباب وهو أن ههنا شيئين أحدهما حكم الشرع وظاهره والثانى حكم الورع وحقه فحكم الشرع ان تأخذ ما أتاك ممن ظاهره صلاح ولا تسأل الا ان تتيقن انه غصب أو حرام بعينه وحكم الورع أن لا تأخذ شيأ من أحد حتى تبحث عنه غاية البحث وتستقصى غاية الاستقصاء فتستيقن أنه لا شبهة فيه بحال والا فترده فلقد روينا عن أبي بكر الصديق رضى الله عنه ان غلاما له أتاه بلبن فشرب به فقال الغلام كنت اذا جئتك بشئ تسألنى عنه ولم تسألنى عن هذا اللبن فقال وما قصته فقال رقيت قوما في الجاهلية فاعطونى هذا فتقيأ أبو بكر الصديق رضى الله عنه وقال اللهم هذه مقدرتى

واصبه في صلاتك كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك فان لم يحضر قلبك ولم تسكن جوارحك فهذا لقصور معرفتك بجلال الله تعالى فقدر أن رجلا صالحا من وجوه أهل بيتك ينظر اليك ليعلم كيف صلاتك فعند ذلك يحضر قلبك وتسكن جوارحك ثم ارجع الى نفسك فقل يا نفس السوء ألا تستحيين من خالقك ومولاك اذا قدرت اطلاع عبد ذليل من عباده اطلع عليك وليس بيده نفعك ولا ضرك خشعت جوارحك وحسنت صلاتك ثم انك تعلمين أنه مطلع عليك ولا تخشعين لعظمته أهو تعالى عندك أقل من عبد من عباده فما أشد طغيانك وجهلك وما أعظم عداوتك لنفسك فعالج قلبك بهذه الحيل فعساه أن يحضر معك في صلاتك فانه ليس لك من صلاتك الا ما عقلت منها وأما ما أتيت به مع الغفلة والسهو فهو الى الاستغفار والتكفير أحوج فاذا حضر قلبك فلا تترك الاقامة وان كنت وحدك وان انتظرت حضور جماعة غيرك فأذن ثم أقم فاذا قمت فانو وقل في قلبك أؤدى فرض الظهر لله تعالى وليكن ذلك حاضرا في قلبك عند تكبيرك

فما بقى فى العروق فانت حسبه فهذا يدلك على وجوب البحث عما تقدم عليه ان كان لك نظر فى الورع وحقه فهذه هذه * فان قلت فكأن الورع يخالف الشرع وحكمه * فاعلم أن الشرع موضوع على اليسر والسماحة ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفة السمحة والورع موضوع على التشديد والاحتياط كما قيل الامر على المتقى أضيق من عقد التسعين ثم الورع من الشرع أيضا وكلاهما فى الاصل واحد ولكن للشرع حكمان حكم الجواز وحكم الافضل الاحوط فالجائز يقال له حكم الشرع والافضل الاحوط يقال له حكم الورع فهما مع تميزهما واحد فى الاصل فافهم ذلك راشدا ان شاء الله تعالى * فان قلت فاذا جاز البحث والاستقصاء عن كل شئ فسد علينا ما نأخذه فى هذا الزمان وتعذر الامر بمرة على صاحب الورع اذ لا بد له من بلاغ يبلغه الى الطاعة فاعلم أن طريق الورع شديد وان من قصد سلوكه يشترط أن يوطن نفسه وقلبه على احتمال الشدة والا فلا يتم له ذلك ولهذا المعنى صار الكثير من أهل الورع والسابقون الى جبل لبنان وغيره فاقتصروا على أكل الحشيش وثمرات تافهة لا شبهة فيها بحال فمن سمت همته الى نيل منزلة الورع الاعلى فعليه أن يحتمل الشدائد ويصبر عليها ويسلك طريق أولئك لينال منزلتهم وأما ان أقام بين الناس وأكل مما يتداولونه فى أيديهم فليكن عنده بمنزلة الميتة لا يقدم عليها الا عند الضرورة ثم لا يتناول منها الا بمقدار ما يبلغه الى الطاعة فيكون له عذر فى ذلك ولا يضره وان كان فى أصله شبهة فان الله تعالى أولى بالعذر ولهذا قال الحسن البصرى رحمه الله فسد السوق فعليكم بالقوت * ولقد بلغنى عن وهب بن الورد رحمه الله أنه كان يجوع نفسه يوما أو يومين أو ثلاثة ثم يأخذ رغيفا ويقول اللهم انك تعلم أنى لا أقوى على العبادة وأخشى الضعف والألم آكله اللهم ان كان فيه شئ من خبث أو حرام فلا تؤاخذنى به ثم يبل الرغيف بالماء فيأكله * قلت فهذان الطريقان للطبقة العليا من أهل الورع فيما نعلمه وأما من دونهم فلهم احتياط وبحث على مقدار ولهم أيضا نصيب من الورع على مقدار وبقدر ما تتعنى تنال ما تتمنى والله تعالى لا يضيع أجر من أحسن عملا وهو عليم بما يفعلون * فان قيل فهذا جانب الحرام فاخبرنا عن جانب الحلال وما حد الفضول الذى يلزم منه الحبس والحساب وما المقدار الذى اذا أخذه العبد يكون ذلك أدبا ولا يكون فضولا ولا عليه فيه حبس ولا حساب * يقال له فاعلم ان أحوال المباح فى الجملة ثلاثة أقسام * أحدها ان يأخذه العبد مفاخرا مكاثرا مباهيا مرائيا فيكون الاخذ منه فعلا منكرا يستوجب على ظاهر فعله الحبس والحساب واللوم والتعيير وهو منكر وشر يستوجب على باطن فعله وهو التكاثر والتفاخر عذاب النار وذلك القصد منه معصية وذنب لقوله تعالى انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة الى قوله وفى الآخرة عذاب شديد وقال النبى عليه السلام من طلب الدنيا حلالا مباهيا مكاثرا مفاخرا مرائيا لقى الله تعالى وهو عليه غضبان فالوعيد على قصده ذلك بقلبه * والقسم الثانى ان يأخذ الحلال لشهوة نفسه لا غير فذلك منه شر يستوجب عليه الحبس والحساب لقوله تعالى ثم لتسألن يومئذ عن النعيم وقال عليه الصلاة والسلام حلالها حساب * والقسم الثالث أن يأخذ من الحلال فى حال العذر قدرا يستعين به على عبادة الله تعالى ويقتصر على ذلك فذلك منه خير وحسنة وأدب لا حساب عليه ولا عقاب بل يستوجب عليه الاجر والمدحة لقوله تعالى أولئك لهم نصيب مما كسبوا وقال صلى الله عليه وسلم من طلب الدنيا حلالا استعفافا عن المسئلة وتعطفا على جاره وسعيا على عياله جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر وذلك لما قصد به هذا القصود المحمود لله سبحانه فهذه هذه فاعلمها * فان قيل فما شرط المباح حتى يصير خيرا وحسنة كما ذكرتم * فاعلم انه يحتاج فى كونه خيرا فى الاصل الى شرطين أحدهما الحال والثانى القصد فالحال يجب أن يكون فى حال عذر وهو بحيث ان لم يأخذه تؤخذ نفسه وتفسيره أن يكون حاله ان لم يؤخذ ذلك المباح ينقطع بسببه عن فرض

لا تعزب عنك النية قبل الفراغ من التكبيرة وارفع يديك عند التكبير بعد لرسالهما أولا الى منكبيك وهما مبسوطتان وأصابعهما منشورة ولا تتكلف ضمهما ولا تفريقهما وارفع يديك بحيث تحاذى بابهاميك شحمتى أذنيك ورؤس أصابعك أعالى أذنيك وتحاذى بكفيك منكبيك فاذا استقرتا فى مقرهما فكبر ثم ارسلهما برفق ولا تدفع يديك عند الرفع والارسال الى قدام دفعا ولا الى خلف رفعا ولا تنفضهما يمينا ولا شمالا فاذا أرسلتهما فاستأنف رفعهما الى صدرك وأكرم اليمنى بوضعها على الشمال وانشر أصابع اليمنى على طول ذراعك اليسرى واقبض بها على كوعها وقل بعد التكبير الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا ثم اقرأ وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين الآيتين الى آخرهما ثم قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم اقرأ الفاتحة بتشديداتها واجتهد فى الفرق بين الضاد والظاء فى قراءتك فى الصلاة وقل آمين ولا تصله بقولك ولا

لو

أو سنة أو نفل فيكون ذلك أفضل من ترك المباح فان ترك مباح الدنيا فضيلة فاذا كان الحال كذلك فهو حال العذر وأما القصد فهو أن يقصد به العدة والاستعانة على عبادة الله سبحانه وهو أن يذكر بقلبه أنه لولا ما فيه من التوصل الى عبادة الله سبحانه لما أخذت ذلك فهذا ذكر الحجة فلما حصل ذكر الحجة في حال العذر صار ذلك الاخذ من الدنيا للحلال خيرا وحسنة وأدبا وأما لو كان حاله حال العذر ولا يكون له هذا القصد والذكر أو يكون له هذا القصد والذكر ولا يكون في حال العذر فلا يصير ذلك الاخذ من جملة الخيرات ثم الاستقامة على حفظ هذا الادب تحتاج الى بصيرة وقصد مجمل بانه لا يأخذ من الدنيا بحال الا للعدة على عبادة الله تعالى حتى انه ان سها عن ذكر الحجة في حال أجزأه ذلك القصد المجمل عن تجديد ذكر الحجة قال شيخنا رحمه الله فصارت الامور الثلاثة معتبرة فيه كل واحد من وجه يعني أن الذكر والحال معتبران في حصول كونه خيرا أصلا والقصد المجمل المقتضى عن بصيرة بمنزلة الادب معتبر في الاستقامة عليه فافهم ذلك راشدا * فان قيل فان أخذ من الدنيا الحلال بشهوة فهل يكون ذلك معصية وهل يلزم عليه عذاب وهل الاخذ بالعذر فرض أم لا * فاعلم أن ذلك فضيلة وتسميه خيرا وحسنة والامر به أمر تأديب والاخذ بالشهوات مروسيئة والنهي عنه نهي زجر وأدب وليس ذلك بمعصية ولا يكون عليه عذاب النار وانما عليه الحبس والحساب واللوم والتعيير * فان قلت فما هذا الحبس والحساب اللذان يلزمان العبد * فاعلم أن الحساب أن تسأل يوم القيامة عماذا اكتسبت وفيماذا أنفقت ولماذا أردت بذلك والحبس حبس عن الجنة مدة الحساب وذلك في عرصات القيامة بين أهوالها ومخاوفها عراياناء عطشانا وكفى بذلك بلية * فان قيل فاذا أحل الله لنا هذا الحلال فاللوم والتعيير في أخذه لماذا * فاعلم أن اللوم والتعيير لتركه الادب كمن أجلس على مائدة الملك فترك الادب فانه يعير بذلك ويلام وان كان الطعام له مباحا فالاصل في هذا الباب أن الله تعالى خلق العبد لعبادته وهو عبد لله تعالى من كل وجه فحق للعبد أن يعبد الله تعالى من وجه يمكنه ويجعل أفعاله كلها عبادة من أي وجه أمكنه فان لم يفعل ذلك وآثر شهوة نفسه واشتغل بذلك عن عبادة ربه مع تمكنه من ذلك من غير تعذر والدار دار خدمة وعبادة لا دار تنعم وشهوة فيستحق اللوم بذلك والتعيير من سيده فتأمل هذا الاصل راشدا ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فهذه الجملة التي أردنا بيانها في اصلاح النفس والجامها بلجام التقوى فارعها حقها واحتفظ بها جملة تفز بالخير الكثير في الدارين ان شاء الله تعالى والله ولي العصمة والتوفيق بفضله

﴿ فصل ﴾ فعليك أيها الرجل ببذل المجهود في قطع هذه العقبة العظيمة الطويلة فانها أعظم العقبات شدة وأكثرها مؤنة وأكثرها آفة وفتنة فان من هلك من الخلق كلهم انما انقطعوا عن طريق الحق اما بسبب دنيا أو خلق أو شيطان أو نفس ولقد ذكرنا في كتبنا المصنفة من كتاب الاحياء والاسرار والقربة الى الله ما يبعث على الاهتمام بذلك ومقصود هذا الكتاب أني سألت الله أن يطلعني على سر معالجة النفس وأن يصلحني ويصلح بي فاقتصرت في هذا الكتاب الشريف على نكت وجيزة الالفاظ غزيرة المعنى تقنع من تأملها وكدعه على واضحة من الطريق ان شاء الله تعالى وهذا الفصل يختص بنكت في معالجة الدنيا والخلق والشيطان والنفس * أما الدنيا فحق لك أن تحذرها وتزهد فيها لان الامر لا يخلو من ثلاثة اما أنت من ذوي البصائر والفطن فحسبك أن الدنيا عدوة الله سبحانه وهو حبيبك ووليك وان الدنيا نقيضة عقلك والعقل قيمتك واما أنت من ذوي الهمم والاجتهاد في عبادة الله تعالى فحسبك أن الدنيا بلغ من شؤمها ما يمنعك من ارادتها وتشغلك الفكرة فيها عن العبادة والخير فكيف نفسها واما أنت من أهل الغفلة لا بصيرة لك تبصر الحقائق ولا همة لك تبعث على المكارم فحسبك أن الدنيا لا تبقى اما أن تفارقها واما أن تفارقك كما قال الحسن ان بقيت لك الدنيا لم تبق لها فاي فائدة لك

الثنتين بصلاة وأجهر بالقراءة في الصبح والمغرب والعشاء أعني الركعتين الاوليين الا أن تكون مأموما واجهر بالتأمين واقرأ في الصبح بعد الفاتحة من السور طوال المفصل وفي المغرب من قصاره وفي الظهر والعصر والعشاء من أوساطه نحو والسماء ذات البروج وما قاربها من السور * وفي الصبح في السفر قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد ولا تصل آخر السورة بتكبيرة الركوع ولكن افصل بينهما بقدر سبحان الله وكن في جميع قيامك مطرقا قاصرا نظرك على مصلاك فذلك أجمع لهمك وأجدر لحضور قلبك واياك أن تلتفت يمينا وشمالا في صلاتك * ثم كبر للركوع وارفع يديك كما سبق ومد التكبير الى انتهاء الركوع ثم ضع راحتيك على ركبتيك وأصابعك منشورة وانصب ركبتيك ومد ظهرك وعنقك ورأسك مستويا كالصفيحة الواحدة وجاف مرفقيك عن جنبيك والمرأة لا تفعل ذلك بل تضم بعضها الى بعض وقل سبحان ربي العظيم وبحمده وان كنت منفردا فالزيادة الى السبع والعشر حسن ثم ارفع رأسك حتى تعتدل قائما

اذن فى طلبها وانفاق العمر العزيز عليها ولقد أحسن القائل

هب الدنيا تساق اليك عفوا * أليس مصير ذاك الى زوال * فما ترجو بعيش ليس يبقى
وشيكا قد تغيره الليالى * وما دنياك الا مثل ظل * أظلك ثم آذن بارتحال

فلا ينبغى للعاقل اذا أن يخدع بها ولقد صدق القائل فيما قال

أضغاث نوم أو كظل زائل * ان اللبيب بمثلها لا يخدع

* وأما الشيطان فحسبك فيه ما قال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون * فهذا خير العالمين وأعلمهم وأعقلهم وأفضلهم عند الله تعالى يحتاج مع ذلك أن يستعيذ بالله من شر الشيطان فكيف بك مع جهلك ونقصك وغفلتك * وأما الخلق فحسبك فيهم أنك لو خالطتهم ووافقتهم فى أهوائهم أثمت وأفسدت أمر آخرتك وان خالفتهم تعبت بأذياتهم وجفواتهم وكدرت عليك أمر دنياك ثم لا تأمن أن يلجؤك الى معاداتهم ومناواتهم فتقع فى شرهم ولانهم ان مدحوك وعظموك أخاف عليك الفتنة والعجب وان ذموك وحقروك أخاف عليك الحزن تارة والغضب لغير الله تعالى أخرى وكلا الامرين آفة مهلكة ثم اذكر حالك معهم بعد ما صرت فى القبر بثلاثة أيام كيف يتركونك ويهجرونك وينسونك ولا يكادون يذكرونك كانك لم ترهم يوما ولم يروك فلا يبقى هنالك الا الله سبحانه أفلا يكون من الغبن العظيم أن تضيع أيامك مع هؤلاء الخلق مع قلة الوفاء وقلة البقاء معهم وتترك خدمة الله تعالى الذى يرجع اليه الامر وحده فلا يبقى الا هو أبد الآبدين والحاجات كلها اليه والتكلان كله عليه والاعتصام كله فى كل حال وعند كل شدة وهول به وحده لا شريك له فتأمل يا مسكين لعلك ترشد ان شاء الله تعالى والله ولى الهداية بفضله * وأما النفس فحسبك ما تشاهده من حالاتها ورداءة اراداتها وسوء اختيارها فهى فى حال الشهوة بهيمة وفى حال الغضب سبع وفى حال المصيبة تراها طفلا صغيرا وفى حال النعمة تراها فرعونا وفى حال الجوع تراها مجنونا وفى حال الشبع تراها مختالا ان أشبعتها بطرت ومن حيوان جوعتها صاحت وجزعت فهى كما قال القائل

كحمار السوء ان أشبعته * رمح الناس وان جاع نهق

* ولقد صدق بعض الصالحين حيث قال ان من رداءة هذه النفس وجهلها بحيث اذا همت بمعصية أو انبعثت لشهوة فتنبتها أو تشفعت اليها بالله سبحانه ثم برسوله عليه السلام وبجميع أنبيائه وبكتابه وبجميع السلف الصالح من عباده وتعرض عليها الموت والقبر والقيامة والجنة والنار لا تعطى الانقياد ولا تترك الشهوة ثم ان استقبلتها بمنع رغيف تسكن وتترك شهوتها لتعلم خستها وجهلها فاياك أيها الرجل أن تغفل عنها فانها كما قال خالقها العالم بها جل جلاله ان النفس لأمارة بالسوء فكفى بهذا تنبيها لمن عقل

* ولقد بلغنا عن بعض الصالحين يقال له أحمد بن أرقم البلخى رحمه الله أنه قال نازعتنى نفسى بالخروج الى الغزو فقلت سبحان الله ان الله يقول ان النفس لأمارة بالسوء وهذه تأمرنى بالخير لا يكون هذا أبدا ولكنها استوحشت فتريد لقاء الناس لتستروح اليهم ويتسامع الناس بها فيستقبلونها بالتعظيم والبر والاكرام فقلت لها لا أنزلك العمران ولا أنزلك على معرفة فأجابت فاسأت الظن بها وقلت الله تعالى أصدق القائلين فقلت لها أقاتل العدو حاسرا فتكونين أول قتيل فأجابت فأسأت الظن بها وعدد أشياء مما أرادها فأجابت الى كل ذلك قال فقلت يارب نبهنى لها فانى متهم لها مصدق لك فكوشفت بها كأنها تقول يا أحمد أنت تقتلنى كل يوم بمنعك اياى من شهواتى مرات ولا يشعر بى أحد فان قاتلت قتلت قتلة واحدة فنجوت منك ويتسامع الناس فيقولون استشهد أحمد ويكون لى شرف وذكر قال فقعدت ولم أخرج الى الغزو فى ذلك العام فانظر الى خداع النفس وغرورها ترائى الناس بعد الموت بعمل

وارفع يديك قائلا سمع الله لمن حمده فاذا استويت قائما فقل ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الارض وملء ما شئت من شئ بعد وان كنت فى فريضة الصبح فاقرأ القنوت فى الركعة الثانية فى اعتدالك من الركوع ثم اسجد مكبرا غير رافع اليدين وضع أولا على الارض ركبتيك ثم يديك ثم جبهتك مكشوفة وضع أنفك مع الجبهة وجاف مرفقيك عن جنبيك وأقل بطنك عن فخذيك والمرأة لا تفعل ذلك وضع يديك على الارض حذو منكبيك ولا تفرش ذراعيك على الارض وقل سبحان ربى الاعلى ثلاثا أو سبعا أو عشرا ان كنت منفردا ثم ترفع من السجود مكبرا حتى تعتدل جالسا واجلس على رجلك اليسرى وانصب قدمك اليمنى وضع يديك على فخذيك والاصابع منشورة وقل رب اغفر لى وارحمنى وارزقنى واهدنى واجبرنى وعافنى واعف عنى ثم اسجد سجدة ثانية كذلك ثم اعتدل جالسا جلسة الاستراحة فى كل ركعة لا تتشهد عقبها ثم تقوم وتضع اليدين على الارض ولا تقدم احدى رجليك فى حالة الارتفاع

لم يكن بعد ولقد صدق القائل وأحسن فيما قال

توق نفسك لا تأمن غوائلها * فالنفس أخبث من سبعين شيطانا

فتنبه رحمك الله لهذه الخداعة الامارة بالسوء ووطن على مخالفتها قلبك بكل حال تصب وتسلم ان شاء الله تعالى ثم عليك بالجامها بلجام التقوى لا حيلة لها سواه * واعلم ان ههنا أصلا أصيلا وهو أن العبادة شطران شطر الاكتساب وشطر الاجتناب فالاكتساب فعل الطاعات والاجتناب الامتناع عن المعاصي والسيآت وهو التقوى وان شطر الاجتناب على كل حال أسلم وأصلح وأفضل وأشرف للعبد من شطر الاكتساب ولذلك يشتغل المبتدؤن من أهل العبادة الذين هم في أول درجة من الاجتهاد بشطر الاكتساب كل همتهم أن يصوموا نهارهم ويقوموا ليلهم ونحو ذلك ويشتغل المنتهون أولو البصائر من أهل العبادة بشطر الاجتناب انما همتهم أن يحفظوا قلوبهم عن الميل الى غير الله تعالى وبطونهم عن الفضول وألسنتهم عن اللغو وأعينهم عن النظر الى ما لا يعنيهم عن النظر * ولهذا المعنى قال العابد الثاني من العباد وكانوا سبعة ليونس يا يونس ان من الناس من حبب اليهم الصلوات فلا يؤثرون عليها شيأ وهي عمود العبادة بالثبات لله والصدق والتضرع والابتهال ومنهم من حبب اليهم الصوم فلا يؤثرون عليه شيأ ومنهم من حبب اليهم الصدقة فلا يؤثرون عليها شيأ يا يونس وأنا مفسر لك هذه الخصال فاجعل طول صلاتك الصبر على البأساء والتسليم لامر الله عز وجل واجعل صومك الصمت عن كل سوء واجعل صدقتك كف الاذى فانك لا تتصدق بشئ أفضل منه ولا تصوم بشئ أزكى منه فاذا علمت أن جانب الاجتناب أولى بالرعاية والاجتهاد فيه فان حصل لك الشطران جميعا الاكتساب والاجتناب فقد استكمل أمرك وحصل مرادك وقد سلمت وغنمت وان لم تبلغ الا الى أحدهما فليكن ذلك جانب الاجتناب فتسلم ان لم تغنم والا خسرت الشطرين جميعا وما ينفعك قيام ليل وتعبه ثم تحبطه بارادة واحدة وما يغنيك صيام نهار طويل ثم تفسده بكلمة واحدة * ولقد روينا عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قيل له ما تقول في رجلين أحدهما كثير الخير كثير الشر والآخر قليل الخير قليل الشر قال لا أعدل بالسلامة شيأ * ومثال ما قلناه حال المريض وذلك ان معالجة المريض نصفان نصف هو الدواء ونصف هو الاحتماء فان اجتمعا فكأنك بالمريض قد برئ وصح والا فالاحتماء به أولى اذ لا ينفع دواء مع ترك الاحتماء ولقد ينفع الاحتماء مع ترك الدواء * ولقد قال صلى الله عليه وسلم أصل كل دواء الحمية والمعنى بها والله أعلم أنها تغني عن كل دواء ولهذا يقال ان أهل الهند جل معالجتهم الحمية يمنع المريض عن الاكل والشرب والكلام عدة أيام فيبرأ ويصح بذلك لا غير فتبين لك بهذه أن التقوى ملاك الامر وجوهرها هلها هم الطبقة العليا من العباد فعليك ببذل المجهود في ذلك وصرف كل العناية الى ذلك والله سبحانه ولي التوفيق برحمته

(فصل) ثم راع هذه الاعضاء الاربعة التي هي الاصول * الاول العين وحسبك فيها أن مدار أمر الدين والدنيا على القلب وان خطر القلب وشغله وفساده في الاكثر من العين ولذلك قال علي رضي الله عنه من لم يملك عينه فليس للقلب عنده قيمة * والثاني اللسان وحسبك ان فيه ربحك وغنيمتك وثمرة تعبك واجتهادك كله للعبادة والطاعة وان خطر العبادة واحباطها وافسادها في الاكثر من قبل اللسان بالتصنع والتزين والغيبة ونحوها يتلف عليك بلفظة واحدة ما تعبت فيه سنة واحدة بل خمسا وعشرا ولذلك قيل ما شئ أحق بطول السجن من اللسان * وفيما روى ان أحد العباد السبعة قال ليونس عليه السلام يا يونس ان العباد اذا اجتهدوا في العبادة لم يتقووا على عبادتهم بشئ أفضل من الصبر عن ترك الكلام في فصل طويل ثم عاد الى ذلك فقال ولا يكون عندك شئ آثر من حفظ لسانك ولا تكون

وابتدئ بتكبيرة الارتفاع عند القرب من حد جلسة الاستراحة ومدها الى منتصف ارتفاعك الى القيام ولتكن هذه الجلسة جلسة خفيفة مختطفة وصل الركعة الثانية كالاولى وأعد التعوذ في الابتداء ثم تجلس في الركعة الثانية للتشهد الاول وضع اليد اليمنى في جلوسك للتشهد الاول على الفخذ اليمنى مقبوضة الاصابع الا المسبحة والابهام فترسلهما وأشر بمسبحة يمناك عند قولك الا الله لا عند لا اله وضع اليد اليسرى منشورة الاصابع على الفخذ اليسرى واجلس على رجلك اليسرى في هذا التشهد كما بين السجدتين وفي التشهد الاخير متوركا واستكمل الدعاء المعروف المأثور بعد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم واجلس فيه على وركك الايسر وضع رجلك اليسرى خارجة من تحتك وانصب القدم اليمنى ثم قل بعد الفراغ السلام عليكم ورحمة الله مرتين من الجانبين والتفت بحيث يرى خدك من جانبك وانو الخروج من الصلاة وانو السلام على من على جانبيك من الملائكة والمسلمين

لشئ أعني به من سلامة صدرك فهذه هذه * ثم اذكر الانفاس التي تكلمت فيها بفضول ما كان يضرك لو قلت أستغفر الله فربما يوافق ساعة عزيزة فيغفر الله لك فتربح رأس مالك أو قلت لا اله الا الله فيكون لك من الاجر والذخر مالا يحيط به وهمك أو تقول أسأل الله العافية فربما يتفق حسن نظر فيستجيب الله تعالى دعوتك فتنجو من بلية الدنيا والآخرة ألا يكون من الخسران العظيم والغبن الفظيع أن تفوت على نفسك كل هذه الفوائد الكريمة وتجعل نفسك ووقتك في فضول أقل ما يلزمك فيه اللوم والحساب والحبس يوم القيامة ولقد أحسن القائل في قوله

واذا هممت بالنطق في الباطل * فاجعل مكانه تسبيحا

* وثالث البطن وحسبك أن مقصودك العبادة وان الطعام بذر العمل وماؤه منه يبدو وينبت ولذا خبث البذر لا يطيب الزرع بل فيه خطر ان يفسد عليك ارضك فلا تفلح أبدا * ومن ذلك ما بلغنا عن معروف الكرخي انه قال اذا اصمت فانظر على أي شئ تفطر وعند من تفطر وطعام من تأكل فكم من يأكل أكلة فينقلب قلبه عما كان عليه فلا يعود الى حاله أبدا وكم من أكلة حرمت قيام ليلة وكم من نظرة منعت قراءة سورة وان العبد ليأكل أكلة فيحرم بها قيام سنة فعليك أيها الرجل بالنظر الدقيق والاحتياط البالغ الشديد في قوتك ان كانت لك عناية بقلبك وهمة في عبادة ربك هذا في أصل القوت حتى يكون من وجهه ثم عليك بالادب فيه والا كنت حمال الطعام مضيعا للايام اذ قد علمنا يقينا بل رأينا عيانا ان العبادة لا يجيء منها شئ اذا امتلأ البطن وان أكرهت النفس على ذلك وجاهدت بضروب الحيل فلا يكون لتلك العبادة لذة ولا حلاوة ولذلك قيل لا تطمع في حلاوة العبادة مع كثرة الاكل واي نور في نفس بلا عبادة وفي عبادة بلا لذة ولا حلاوة ولهذا المعنى قال ابراهيم بن أدهم رحمه الله صحبت أكثر رجال الله تعالى في جبل لبنان فكان يوصونني اذا رجعت الى أبناء الدنيا فعظهم بأربع خصال قل لهم من يكثر الاكل لا يجد لذة العبادة ومن ينم كثيرا لا يجد في عمره بركة ومن طلب ارضاء الناس فلا ينتظر رضا الرب ومن يكثر الكلام بالفضول والغيبة فلا يخرج من الدنيا على دين الاسلام * وعن سهل رحمه الله أنه قال جاع الخير كله في هذه الخصال الاربع وبها صارت الابدال أبدالا اخماص البطون والصمت والاعتزال عن الخلق وسهر الليل * قال بعض العارفين الجوع رأس مالنا ومعناه أن ما يحصل لنا من فراغ وسلامة وعبادة وحلاوة وعلم وعمل نافع بسبب الجوع والصبر عليه لله سبحانه * وأما القلب فحسبك أنه أصل الكل ان أفسدته فسد الكل وان أصلحته صلح الكل اذ هو الشجرة وسائر الاعضاء أغصان ومن الشجرة تشرب الاغصان وتصلح وتفسد وأنه الملك وسائر الاعضاء تبع وأركان واذا صلح الملك صلحت الرعية واذا فسد فسدت الرعية فاذن صلاح العين واللسان والبطن وغيره دليل على صلاح القلب وعمرانه واذا رأيت فيه خللا وفسادا فاعلم ان ذلك من خلل في القلب وفساد وقع ثم بل الفساد فيه أكثر فاصرف عنايتك اليه فاصلحه يصلح لك الكل بمرة فتستريح ثم أمره دقيق عسير اذ هو مبني على الخواطر وهي ليست تحت يدك والامتناع من اتباعها بمجهود طاقتك ففيه أقصى المشقة ولهذا المعنى صار اصلاحه أشد على أهل الاجتهاد والاهتمام بامره أكثر وأكبر عند ذوي البصائر * وعن أبي يزيد رحمه الله أنه قال عالجت قلبي عشرا ولساني عشرا ونفسي عشرا فكان قلبي أصعب الثلاثة فهذه هذه * ثم عليك بالاهتمام بالخصال الاربع التي ذكرناها من الامل والعجلة في الامور والحسد والكبر وانما خصصنا هذه الاربع من بين سائر الخصال في هذا الموضع وحضضنا على الاحتراس منها لانها علل القراء خاصة اذ هي تعتري سائر الناس عموما والقراء خصوصا فتكون أقبح وأشنع ترى الرجل القارئ يطول الامل وبعد منه نية خير فيوقعه في الكسل والتواني في العمل وتراه يستعجل في تحصيل منازل الخير فينقطع عنها أو في اجابة دعاء صالح

وهذه هيئة صلاة المنفرد وعماد الصلاة الخشوع وحضور القلب مع القراءة والفكر بالفهم * وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي الى العقوبة أسرع وقال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليصلي الصلاة فلا يكتب له منها سدسها ولا عشرها وانما يكتب للعبد من صلاته بقدر ما عقل منها

﴿ آداب الامامة والقدوة ﴾

ينبغي للامام أن يخفف الصلاة قال أنس رضي الله عنه ما صليت خلف أحد صلاة أخف ولا أتم من صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يكبر ما لم يفرغ المؤذن من الاقامة وما لم تسو الصفوف ويرفع الامام صوته بالتكبيرات ولا يرفع المأموم صوته الا بقدر ما يسمع نفسه وينوي الامام الامامة لينال الفضل فان لم ينو صحت صلاة القوم اذا نووا الاقتداء به ونالوا فضل القدوة ويسر بدعاء الاستفتاح والتعوذ كالمنفرد ويجهر بالفاتحة والسورة في جميع الصبح وأولى المغرب والعشاء وكذلك المنفرد ويجهر بقوله آمين في الجهرية وكذلك المأموم ويقرن

فيحرم من ذلك أو فى الدعاء على أحد يسوء فيندم على ذلك كما ذكر عن نوح عليه السلام وتراه يحسد نظراءه على ما آتاهم الله من فضله حتى ربما يبلغ منه ذلك مبلغا يحمله على قبائح وفضائح لا يقدم عليها فاسق ولا فاجر ، ولهذا المعنى قال سفيان الثورى رحمه الله ما أخاف على دمى إلا القراء والعلماء فاستنكروا منه ذلك فقال ما أنا قلته إنما قاله ابراهيم النخعى رحمه الله تعالى . وعن عطاء قال: قال لى الثورى رحمه الله احذروا القراء واحذرونى معهم فلو خالفت أودهم لى فى رمانة فأقول إنها حلوة ويقول انها حامضة ما أمنته أن يسعى بدمى إلى سلطان جائر . وعن مالك بن دينار أنه قال انى أقبل شهادة القراء على جميع الخلق ولا أقبل شهادة بعضهم على بعض لأنى وجدتهم حسادا وعن الفضيل أنه قال لابنه اشترلى دارا بعيدة من القراء مالى ولقوم إن ظهرت منى زلة هتكونى وإن ظهرت على نعمة حسدونى وكذلك تراه يتكبر على الناس ويستخف بهم مصعرا خده معبسا وجهه كأنما يمن على الناس بما يصلى زيادة ركعتين أو كأنما جاءه من الله تعالى منشور بالجنة أو البراءة من النار أو كأنه استيقن السعادة لنفسه والشقاوة لسائر الناس ثم مع ذلك يلبس لباس المتواضعين من صوف وغيره ويتماوت وهذا لا يليق بالترفع والكبر ولا يلائمه بل يناقضه ولكن الأعمى لا يبصر . وذكر أن فرقدا السنجى دخل على الحسن وعليه كساء وعلى الحسن حلة فجعل يلمسها فقال الحسن مالك تنظر إلى ثيابى ثيابى ثياب أهل الجنة وثيابك ثياب أهل النار بلغنى أن أكثر أهل النار أصحاب الأكسية ثم قال الحسن جعلوا الزهد فى ثيابهم والكبر فى صدورهم والذى يحلف به لأحدكم بكسائه أعظم كبرا من صاحب المطرف بمطرفه وإلى هذا المعنى يشير ذو النون رحمه الله حيث قال :

تصوّف فازدهى بالصوف جهلا   وبعض الناس يلبسه مجانه
يريك مهانة ويريك كبرا   وليس الكبر من شكل المهانه
تصوّف كى يقال له أمين   وما معنى تصوفه الأمانه
ولم يرد الإله به ولكن   أراد به الطريق إلى الخيانه

فلتحذر أيها الرجل من هذه الآفات الأربع التى ذكرناها لاسيما الكبر فان الثلاث الأول مداحض لو زللت فيها لوقعت فى العصيان والكبر مدحض لو زللت فيه لوقعت فى بحار الكفر والطغيان ولا تنس حديث إبليس وفتنته أنه أبى واستكبر وكان من الكافرين . والرجوع إلى الله عز وجل أن يعصمنا جميعا بحسن نظره إنه الجواد الكريم .

﴿فصل﴾ وجملة الأمر أنك إذا نظرت بعقلك أيها الرجل فعلمت أن الدنيا لا بقاء لها وأن نفعها لا يفى بضرها وتبعاتها من كدّ البدن وشغل القلب فى الدنيا والعذاب الأليم والحساب الطويل فى الآخرة الذى لا طاقة لك به فاذا علمت ذلك جدا زهدت فى فضولها فلا تأخذ منها إلا ما لا بدّ لك منه فى عبادة ربك وتدع التنعم والتلذذ إلى الجنة دار النعيم المقيم فى جوار رب العالمين الملك القادر الغنى الكريم وعلمت أن الخلق لا وفاء لهم وأن مؤنتهم أكثر من معونتهم فيما يعنيك وتركت مخالطتهم إلا فيما لا بد لك منه تنتفع بخيرهم وتجتنب من ضرهم وتجعل صحبتك لمن لا تتحسر فى صحبته ولا تندم على خدمته وأنسك بكتابه وملازمتك إياه فيكون لك بكل حال وترى منه كل جميل وإفضال وتجده عند كل نائبة فى الدنيا والآخرة كما قال عليه السلام احفظ الله تجده حيث اتجهت وعلمت أن الشيطان خبيث قد تجرد لمعاداتك فاستعذ بربك القادر القاهر من هذا الكلب اللعين ولا تغفل عن مكايده ومصايده فتطرده بذكر الله سبحانه ولا تعبأن بذلك فانه يسير إذا ظهرت منك عزيمة الرجال وانه كما قال الله تعالى إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون . ولقد صدق أبو حازم فيما قال ما الدنيا وما ابليس أما الدنيا فما مضى منها فحلم

المأموم تأمينه بتأمين الإمام معا لا تعقيبا له ويسكت الإمام سكتة عقيب الفاتحة ليثوب إليه نفسه ويقرأ المأموم الفاتحة فى الجهرية فى هذه السكتة ليتمكن من الاستماع عند قراءة الإمام ولا يقرأ المأموم السورة فى الجهرية إلا إذا لم يسمع صوت الإمام ولا يزيد الإمام على الثلاثة فى تسبيحات الركوع والسجود ولا يزيد فى التشهد الأول بعد قوله اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ويقتصر فى الركعتين الأخيرتين على الفاتحة ولا يطول على القوم ولا يزيد دعاءه فى التشهد الأخير على قدر تشهده وصلاته على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينوى الإمام عند التسليم السلام على القوم وينوى القوم بتسليمهم جوابه ويلبث الإمام ساعة بعد ما يفرغ من السلام ويقبل على الناس بوجهه ولا يلتفت إن كان خلفه النساء لينصرفن أوّلا ولا يقوم أحد من القوم حتى يقوم الإمام وينصرف الإمام حيث شاء عن يمينه أو شماله واليمين أحب إليه ولا يخص الإمام نفسه بالدعاء فى قنوت الصبح بل يقول اللهم اهدنا ويجهر به ويؤمن القوم

ومابقي فامانى وأما الشيطان فوالله لقد أطيع فما نفع ولقد عصى فما ضر وعلمت جهالة هذه النفس وجماحها الى ما يضرها ويهلكها فنظرت اليها رحمة لها نظر العقلاء والعلماء الذين ينظرون فى العواقب لا نظر الجهال والصبيان الذين ينظرون فى الحال ولا يفطنون لغائلة الاذى و ينفرون من مرارة الدواء فألجمتها بلجام التقوى بان تمنعها عما لا تحتاج اليه بالحقيقة من فضول كلام ونظر وطعام وتلبس بخصلة فاسدة من طول أمل أو عجلة أو حسد مسلم أو تكبر فى غير موضعه أو أكل بمحض شهوة وشره وتعطيها ما ليس لها منه بد ولا تخاف منه ضررا اذ لا ضرورة الى الفضول وقد وسع الله تعالى الامر على عباده برحمته وأغناهم عن جميع ما يضرهم فى أمر دينهم فاى حاجة الى ذلك * فان الامر كما قال بعض الصالحين ان التقوى أهون شئ اذا رابنى شئ تركته فان النفس تستكين وتتعود ما عودتها كما قال القائل

فالنفس راغبة اذا رغبتها * واذا ترد الى قليل تقنع

(وقال آخر) هى النفس ما حملتها تتحمل * ويروى ما عودتها تتعود

(وقال آخر) صبرت عن اللذات حتى تولت * وألزمت نفسى صبرها فاستمرت

وما النفس الا حيث يجعلها الفتى * فان اطعمت تاقت والا تسلت

فاذا علمت الذى وصفناه كنت من الزاهدين فى الدنيا الراغبين فى الآخرة * واعلم ان من سمى باسم الزاهد فلقد سمى بالف اسم ممدوح وكنت من المنفردين المنقطعين الى الله سبحانه الذين هم أهل الانس وخدم رب العالمين فتكون كما قال القائل

تشاغل قوم بدنياهم * وقوم تخلوا لمولاهم * فألزمهم باب مرضاته * وعن سائر الخلق أغناهم يصفون بالليل أقدامهم * وعين المهيمن ترعاهم * فطوبى لهم ثم طوبى لهم * اذا بالتحية حياهم

وكنت من الزاهدين المجاهدين فى الله الخواص من عباد الله تعالى الذين قال فيهم سبحانه ان عبادى ليس لك عليهم سلطان وكنت من المتقين الذين لهم سعادة الدارين وصرت حينئذ أفضل من كثير من الملائكة المقربين اذ ليست لهم شهوة تدعو الى قبيح ولا نفس خبيثة وكنت قد خلفت هذه العقبة الطويلة الشديدة وراءك وسبقت العوائق كلها الى مقصودك ولا يهولنك فانه مع الاستعانة بالله والاعتصام به لهين نسأل الله تعالى وهو خير مسؤل أن يمدك وايانا بحسن توفيقه وعونه وتيسيره فانه الكافى لكل مهم والاستعانة به فى كل معضل فبيده الخلق والامر وهو على كل شئ قدير فهذا ما أردنا ذكره فى هذا الباب ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

﴿ الباب الرابع فى العقبة الرابعة وهى عقبة العوارض ﴾

ثم عليك يا طالب العبادة وفقك الله بكف العوارض الشاغلة عن عبادة الله تعالى وسد سبيلها عنك لئلا تشغل عن مقصودك وقد ذكرنا أنها أربعة * أحدها الرزق ومطالبة النفس بذلك وانما كفايته فى التوكل فعليك بالتوكل على الله سبحانه فى موضع الرزق والحاجة بكل حال وذلك لامرين * أحدهما التفرغ للعبادة ويتمشى لك من الخير حقه فان لم يكن متوكلا فلا بد من اشتغاله عن عبادة الله بسبب الحاجة والرزق والمصلحة اما ظاهرا واما باطنا اما بطلب وكسب بالبدن كعامة الراغبين واما بذكر وارادة ووسوسة بالقلب كالمجتهدين المعلقين والعبادة تحتاج الى فراغ القلب والبدن ليحصل حقها والفراغ لا يكون الا للمتوكلين بل أقول كل من هو ضعيف القلب لا يكاد يطمئن قلبه الا بشئ معلوم فلا يكاد يتم له أمر خطير من دنيا وآخرة وكثيرا ما سمعت من شيخى أبى محمد رحمه الله تعالى يقول انما الامر يتمشى فى العالم لرجلين متوكل أو متهور * قلت وهذا كلام جامع فى معناه فان المتهور يقصد الامور على قوة عادة وجراءة قلب لا يلتفت الى صارف يصرفه أو خاطر يضعفه فتجرى له الامور والمتوكل يقصد الامور

على

ولا يرفعون أيديهم اذ لم يثبت ذلك فى الاخبار ويقرأ المأموم بقية القنوت من قول انك تقضى ولا يقضى عليك ولا يقف المأموم وحده بل يدخل الصف أو يجر الى نفسه غيره ولا ينبغى للمأموم ان يتقدم على الامام فى أفعاله أو يساويه بل ينبغى أن يتأخر ولا يهوى للركوع الا اذا انتهى الامام الى حد الركوع ولا يهوى للسجود مالم تصل جبهة الامام الى الارض ﴿آداب الجمعة﴾ اعلم أن الجمعة عيد المؤمنين وهو يوم شريف خص الله عز وجل به هذه الامة وفيه ساعة مبهمة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى فيها حاجة الا أعطاه اياها فاستعد لها من يوم الخميس بتنظيف الثياب وبكثرة التسبيح والاستغفار عشية الخميس فانها ساعة توازى فى الفضل ساعة يوم الجمعة وانو صوم يوم الجمعة لكن مع السبت أو الخميس اذ جاء فى افرادها نهى فاذا طلع عليك الصبح فاغتسل فان غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم أى ثابت مؤكد * ثم تزين بالثياب البيض فانها أحب الثياب الى الله تعالى واستعمل من الطيب أطيب ما عندك وبالغ فى

على قوة و بصيرة وكمال يقين بوعد الله سبحانه وتمام ثقة بضمانه فلا يلتفت الى انسان يخوفه ولا شيطان يوسوسه فيفوز بمقاصده و يظفر بمطالبه * وأما الخلق الضعيف فهو أبدا يكون بين توكل وتردد وفتور وتحير كالحمار فى معلفه والدجاج فى قفصه يرمق ما تعوده من صاحبه لا يكاد ينفك من ذلك قد تقاعست نفسه عن معالى الامور وانقطعت همته فلا يكاد يقصد أمرا ثم يفاوان قصده فلا يكاد يظفر به ولا يتم له ذلك أما ترى أصحاب الهمم من أبناء الدنيا لم ينالوا مرتبة كبيرة ومنزلة خطيرة الا بانقطاع قلوبهم عن أنفسهم وأموالهم وأهليهم * وأما الملوك فيباشرون الحروب ويكافحون الاعداء اماهلكوا واماملكوا حتى تحصل لهم مرتبة الملك وعقد الولاية * وقيل ان معاوية بن أبى سفيان لما نظر الى العسكرين يوم صفين قال من أراد خطيرا خاطر بعظيمته * وأما التجار فيركبون المهالك براو بحرا و يطرحون أنفسهم وأموالهم فى المقاطع شرقا وغربا و يوطنون أنفسهم على أحد الامرين اما فوت الارواح واما حصول الارباح حتى يحصل لهم بذلك كل ربح عظيم ومال جسيم وعلق نفيس * وأما السوقى الذى ضعف قلبه ورق عزمه فلا يكاد يقطع القلب عن علاقته من نفسه وماله فهو من بيته الى دكانه طول عمره لا يصل الى مرتبة شريفة كالملوك ولا الى ربح عظيم كالتجار المخاطرين فان نال فى سوقه ربح درهم على بضاعته فذاك له كثير وذلك لتعلق قلبه بشئ معلوم فهذا فى الدنيا وأبنائها وأما أبناء الآخرة فرأس مالهم هذه الخصلة التى هى التوكل وقطع القلب عن العلائق لما أحكموها وحصلوها حقا تفرغوا لعبادة الله تعالى وتمكنوا فى التفرد عن الخلق والسياحة فى الارض واقتحام الفيافى واستيطان الجبال والشعاب فصاروا أقوياء العباد ورجال الدين وأحرار الناس وملوك الارض بالحقيقة يسيرون حيث يشاؤن و ينزلون حيث يشاؤن و يقصدون من الامور العظام علما وعبادة ما يشاؤن لا عائق لهم ولا حاجز لهم دونهم فكل الاماكن لهم واحد وكل الازمان عندهم واحد واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم من سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله ومن سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله ومن سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما فى يد الله أوثق منه بما فى يده * وعن سليمان الخواص لو أن رجلا توكل على الله سبحانه بصدق النية لاحتاج اليه الامراء ومن دونهم وكيف يحتاج ومولاه الغنى الحميد وعن ابراهيم الخواص أنه قال لقيت غلاما فى التيه كأنه سبيكة فضة فقلت له الى أين يا غلام قال الى مكة قلت بلا زاد ولا راحلة فقال ياضعيف اليقين الذى يقدر على حفظ السموات والارض قادر على أن يوصلنى الى مكة بلا زاد ولا راحلة فلما دخلت مكة فاذا هو فى الطواف يقول

يانفس سيحى أبدا * ولا تحبى أحدا الا الجليل الصمدا * يانفس موتى كمدا

فلما رآنى قال ياشيخ أنت بعد على ذلك الضعف * وقال أبو مطيع لحاتم الاصم بلغنى أنك تقطع المفاوز بالتوكل من غير زاد قال حاتم زادى أربعة أشياء قال ماهى قال أرى الدنيا والآخرة مملكة لله تعالى وأرى الخلق كلهم عبيد الله وعياله وأرى الارزاق والاسباب كلها بيد الله عز وجل وأرى قضاء الله نافذا فى جميع أرض الله ولقد أحسن من قال

أرى الزهاد فى روح وراحه * قلوبهم عن الدنيا مزاحه
اذا أبصرتهم أبصرت قوما * ملوك الارض سيمتهم سماحه

* وأما الامر الثانى الذى اقتضى التوكل على الله سبحانه وتعالى فى هذا الشأن فهو ما فى تركه من الخطر العظيم والامر الكبير * قلت أليس الله سبحانه قرن الرزق بالخلق فقال تعالى خلقكم ثم رزقكم فدل على ان الرزق من الله سبحانه لا غير كالخلق ثم لم يكتف بذلك الا حتى وعد فقال عز وجل ان الله هو الرزاق ثم لم يكتف بالوعد حتى ضمن فقال وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها ثم لم يكتف بالضمان حتى أقسم فقال فورب السماء والارض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون ثم لم يكتف بذلك كله حتى أمر بالتوكل وأبلغ

تنظيف بدنك بالحلق والقص والتقليم والسواك وسائر أنواع النظافة وتطييب الرائحة ثم بكر الى الجامع واسع اليها على الهينة والسكينة فقد قال صلى الله عليه وسلم من راح فى الساعة الاولى فكأنما قرب بدنة ومن راح فى الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا ومن راح فى الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ومن راح فى الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة قال فاذا خرج الامام طويت الصحف ورفعت الاقلام واجتمعت الملائكة عند المنبر يستمعون ويقال ان الناس فى قربهم عند النظر الى وجه الله تعالى على قدر بكورهم الى الجمعة ثم اذا دخلت الجامع فاطلب الصف الاول فان اجتمع الناس فلا تتخط رقابهم ولا تمر بين أيديهم وهم يصلون واجلس بقرب حائط أو اسطوانة حتى لا يمرون بين يديك ولا تقعد حتى تصلى التحية والاحسن أن تصلى أربع ركعات تقرأ فى كل ركعة خمسين مرة سورة الاخلاص فى خبر من فعل ذلك لم يمت حتى يرى

وانذر فقال وتوكل على الحى الذى لا يموت وقال سبحانه وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين فمن لم يعتبر قوله ولم يكتف بوعده ولم يطمئن الى ضمانه ولم يقنع بقسمه ثم لم يبال بامره ووعده ووعيده فانظر ماذا يكون حاله وأية محنة تجىء من هذا وهذه والله مصيبة شديدة ونحن منها فى غفلة عظيمة ولقد قال الصادق الامين صلى الله عليه وسلم لابن عمر كيف أنت اذا بقيت بين قوم يخبئون رزق سنتهم لضعف اليقين * وعن الحسن رحمه الله تعالى لعن الله أقواما أقسم لهم ربهم فلم يصدقوه * وقالت الملائكة عند نزول هذه الآية فورب السماء والارض هلكت بنو آدم أغضبوا الرب حتى أقسم لهم على أرزاقهم * وعن أويس القرنى رضى الله عنه أنه قال لو عبدت الله عبادة أهل السموات والارض لا يقبل منك حتى تصدقه قيل وكيف تصدقه قال تكون آمنا بما تكفل الله لك من أمر رزقك وترى جسدك فارغا بعبادته ولقد قال له هرم ابن حيان أين تأمرنى ان أقيم فأومأ بيده الى الشام قال هرم كيف المعيشة بها قال أف لهذه القلوب لقد خالطها الشك فما تنفعها المواعظ * وبلغنا ان نباشا تاب على يد أبى يزيد البسطامى رحمه الله تعالى فسأله أبو يزيد عن حاله فقال نبشت عن ألف قبر فلم أر وجوههم الى القبلة الا رجلين فقال أبو يزيد مساكين أولئك تهمة الرزق حولت وجوههم عن القبلة * وذكر لى بعض أصحابنا رحمه الله تعالى أنه رأى رجلا من أهل الصلاح فسأله عن حاله فقال هل سلمت بإيمانك فقال انما يسلم الايمان للمتوكلين نسأل الله تعالى أن يصلحنا بفضله وأن لا يؤاخذنا بما نحن أهله انه أرحم الراحمين فهذه هذه * فان قلت فاخبرنا ما حقيقة التوكل وحكمه وما يلزم العبد منه فى أمر الرزق * فاعلم انه انما يتبين لك هذا فى أربعة فصول بيان لفظ التوكل وموضعه وحده وحصته * فاما اللفظ فانما هو توكل تفعل من الوكالة فالمتوكل على أحد هو الذى يتخذه بمنزلة الوكيل القائم بامره الضامن لاصلاحه الكافى له من غير تكلف واهتمام فهذه جملته وأما الموضع فاعلم ان التوكل اسم مطلق فى ثلاثة مواضع أحدها فى موضع القسمة وهو الثقة بالله لانه لا يفوتك ما قسم لك فان حكمه لا يتبدل وهذا واجب بالسمع والثانى فى موضع النصرة وهو الاعتماد والوثاقة بنصر الله عز وجل لك اذا نصرته وجاهدت قال تعالى فاذا عزمت فتوكل على الله وقال ان تنصروا الله ينصركم وقال تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين وهذا واجب بالوعد والثالث فى موضع الرزق والحاجة فان الله تعالى متكفل بما يقيم بنيتك لخدمته وتتمكن به من عبادته وذلك قوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال الصادق الامين صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وهذا فرض لازم للعبد بدليل العقل والشرع جميعا وهذا هو الاشهر والابلغ منه أعنى التوكل فى موضع الرزق وهو المقصود من هذا الفصل فموضع التوكل اذن هو الرزق وهو الرزق المضمون فيما قاله العلماء رحمهم الله تعالى وانما يتضح لك هذا ببيان أقسام الرزق * فاعلم أن الرزق أربعة أقسام مضمون ومقسوم ومملوك وموعود * فالمضمون هو الغذاء وما به قوام البنية دون سائر الاسباب فالضمان من الله تعالى لهذا النوع والتوكل يجب بازائه بدليل العقل والشرع لان الله تعالى كلفنا خدمته وطاعته بابداننا فضمن ما يسد خلل البنية لتقوم بما كلفنا وقال بعض مشايخ الكرامية كلاما حسنا على أصله ضمان أرزاق العباد واجب فى حكمة الله تعالى لثلاثة أشياء أحدها أنه السيد ونحن العبيد وعلى السيد كفاية مؤنة العبيد كما أن على العبيد خدمة السيد والثانى انه خلقهم محتاجين الى الرزق ولم يجعل لهم سبيلا الى طلبه اذ لا يدرون ما هو رزقهم وأين هو ومتى هو ليطلبوه بعينه من مكانه وفى وقته ليصلوا اليه فوجب أن يكفيهم أمر ذلك ويوصلهم اليه والثالث أنه كلفهم الخدمة وطلب الرزق شاغل عنها فوجب أن يكفيهم المؤنة ليتفرغوا للخدمة وهذا كلام من لم يحط باسرار الربوبية والقائل بان الرزق على الله واجب تائه وقد أوضحنا فى فن الكلام فساده ولنرجع الى المقصود من غرضنا * وأما الرزق

المقسوم

مقعده من الجنة أو يرى له ولا تترك التحية وان كان الامام يخطب ومن السنة ان تقرأ فى أربع ركعات سورة الانعام والكهف وطه ويس فان لم تقدر فسورة يس والدخان وألم السجدة وسورة الملك ولا تدع قراءة هذه السورة ليلة الجمعة ففيها فضل كثير ومن لم يحسن ذلك فليكثر من قراءة سورة الاخلاص واكثار الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا اليوم خاصة * ومهما خرج الامام فاقطع الصلاة والكلام واشتغل بجواب المؤذن ثم باستماع الخطبة والاتعاظ بها ودع الكلام رأسا فى الخطبة ففى الخبر ان من قال لصاحبه والامام يخطب أنصت فقد لغا ومن لغا فلا جمعة له أى لان قوله أنصت كلام فينبغى أن ينهى غيره بالاشارة لا باللفظ * ثم اقتد بالامام كما سبق فاذا فرغت وسلمت فاقرأ الفاتحة قبل أن تتكلم سبع مرات والاخلاص سبعا والمعوذتين سبعا فذلك يعصمك من الجمعة الى الجمعة الاخرى ويكون حرزا لك من الشيطان وقل بعد ذلك اللهم يا غنى يا حميد يا مبدئ يا معيد يا رحيم يا ودود أغننى بحلالك

المقسوم فهو ما قسمه الله سبحانه وكتبه في اللوح المحفوظ مما يأكله ويشربه ويلبسه كل واحد بمقدار مقدر ووقت مؤقت لا يزيد ولا ينقص ولا يتقدم ولا يتأخر عما كتب بعينه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم الرزق مقسوم مفروغ منه ليس تقوى تقي زائدة ولا فجور فاجر بناقصة * وأما المملوك فما يملكه كل واحد من أموال الدنيا على حسب ما قدر الله تعالى وقسم له أن يملكه وهو من رزق الله تعالى قال تعالى أنفقوا مما رزقناكم أي مما ملكناكم * وأما الموعود فهو ما وعد الله به عباده المتقين بشرط التقوى حلالا من غير كد قال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب * فهذه أقسام الرزق والتوكل انما يجب بإزاء المضمون منها فاعلم ذلك * وأما حد التوكل فقد قال بعض شيوخنا انه اتكال القلب الى الله بالانقطاع اليه والاياس عما دونه وقال بعضهم حفظ القلب الى الله بموضع المصلحة بترك تعليقه على شيء دونه * وقال الشيخ الامام أبو عمرو رحمه الله تعالى التوكل ترك التعلق والتعلق ذكر قوام بنيتك عن شيء دون الله تعالى * قال شيخي الامام رحمه الله التوكل والتعلق ذكران فالتوكل هو ذكر قوام بنيتك من قبل الله تعالى والتعلق ذكر قوامها عمن دون الله والاقاويل عندي ترجع الى أصل واحد وهو أن توطن قلبك على أن قوام بنيتك وسد خلتك وكفايتك انما هو من الله عز وجل لا باحد دون الله ولا بحطام من الدنيا ولا بسبب من الاسباب ثم الله سبحانه ان شاء سبب له مخلوقا أو حطاما وان شاء كفاه بقدرته دون الاسباب والوسائط واذا ذكرت ذلك بقلبك وتوطنت عليه وانقطع القلب عن المخلوقين والاسباب بمرة الى الله سبحانه وحده فقد حصل التوكل حقه فهذا حده * وأما حسن التوكل الباعث عليه فهو ذكر ضمان الله وحسن حسنه ذكر جلال الله وكماله في علمه وقدرته ونزاهته عن الخلف والسهو والعجز والنقص فاذا واظب العبد على هذه الاذكار بعثه على التوكل على الله سبحانه في أمر الرزق * فان قيل هل يلزم العبد طلب الرزق بحال ما * فاعلم أن الرزق المضمون الذي هو الغذاء والقوام لا يمكننا طلبه اذ هو شيء من فعل الله سبحانه للعبد كالحياة والموت لا يقدر العبد على تحصيله ولا دفعه * وأما المقسوم من الاسباب فلا يلزم العبد طلبه اذ لا حاجة للعبد الى ذلك وانما حاجته الى المضمون وهو من الله تعالى وفي ضمان الله تعالى * وأما قوله تعالى وابتغوا من فضل الله فالمراد به العلم والثواب وقيل بل هو رخصة اذ هو أمر وارد بعد الحظر فيكون بمعنى الاباحة لا بمعنى الايجاب والالزام * فان قيل لكن لهذا الرزق المضمون أسباب هل يلزمنا طلب الاسباب * قيل له لا يلزمك ذلك اذ لا حاجة للعبد اليه اذ الله سبحانه يفعل بسبب وبغير سبب فمن أين يلزمنا طلب السبب ثم ان الله تعالى ضمن لك ضمانا مطلقا من غير شرط الطلب والكسب قال الله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ثم كيف يصح أن يأمر العبد بطلب ما لا يعرف مكانه فيطلبه اذ لا يعرف أي سبب منها رزقه الذي يتناوله لا غير والذي يصير سبب غذائه وتربيته لا غير فالواحد منا لا يعرف ذلك السبب بعينه من أين يحصل له فلا يصح تكليفه فتأمل راشدا فانه بين * ثم حسبك أن الانبياء صلوات الله عليهم والاولياء المتوكلين لم يطلبوا رزقا في الأكثر والاعم وتجردوا للعبادة وبالاجماع أنهم لم يكونوا تاركين لامر الله تعالى ولا عاصين له تعالى في ذلك فتبين لك أن طلب الرزق وأسبابه ليس بامر لازم للعبد * فان قلت هل يزيد الرزق بالطلب وهل ينقص بترك الطلب قلت كلا فانه مكتوب في اللوح المحفوظ مقدر ومؤقت ولا تبديل لحكم الله ولا تغيير لقسمته وكتابه هذا هو الصحيح عند علمائنا رضي الله عنهم خلاف ما ذهب اليه بعض أصحاب حاتم وشقيق قالوا ان الرزق لا يزيد ولا ينقص بفعل العبد لكن المال يزيد وينقص وهذا فاسد لان الدليل في الموضعين واحد وهو الكتابة والقسمة واليه الاشارة بقوله تعالى لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ولو كان بالطلب يزيد وبالترك ينقص لكان

عن حرامك وبطاعتك عن معصيتك وبفضلك عمن سواك ثم صل بعد الجمعة ركعتين أو أربعا أو ستا مثنى مثنى فكل ذلك مروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في أحوال مختلفة ثم لازم المسجد الى المغرب أو الى العصر وكن حسن المراقبة للساعة الشريفة فانها مبهمة في جميع اليوم فعساك أن تدركها وأنت خاشع لله متضرع * ولا تحضر في الجامع مجالس الحلق ولا مجالس القصاص بل مجلس العلم النافع وهو الذي يزيد في خوفك من الله تعالى وينقص من رغبتك في الدنيا فكل علم لا يدعوك من الدنيا الى الآخرة فالجهل أعود اليك منه فاستعذ بالله من علم لا ينفع وأكثر الدعاء عند طلوع الشمس وعند الزوال وعند الغروب وعند الاقامة وعند صعود الخطيب المنبر وعند قيام الناس الى الصلاة فيوشك أن تكون الساعة الشريفة في بعض هذه الاوقات واجتهد أن تتصدق في هذا اليوم بما تقدر عليه وان قل فتجمع بين الصلاة والصوم والصدقة والقراءة والذكر والاعتكاف والرباط واجعل هذا اليوم

للامى والفرح موضع اذاهو قصروتوانى حتى فاته وجد وشمر حتى حصله وقال صلى الله عليه وسلم للسائل هالك لولم تأتها لأتتك ✱ فان قيل فالثواب والعقاب أيضا مكتوب فى اللوح المحفوظ ثم يلزمنا طلب الثواب وترك موجب العقاب فهل يزيد بالطلب أو ينقص بالترك ✱ فاعلم أن طلب الثواب انما وجب لان الله أمر به أمرا حتما وأوعد على تركه ولم يضمن الثواب على غير فعل منا وزيادة الثواب والعقاب بفعل العبد ✱ والفرق بينهما فى نكتة وهى ماقاله بعض علمائنا ان المكتوب فى اللوح قسمان قسم مكتوب مطلقا من غير شرط وتعليق بفعل العبد وهو الارزاق والآجال أماترى كيف ذكرهما الله تعالى مطلقا غير مشروط قال الله تعالى ومامن دابة فى الارض الا على الله رزقها وقال تعالى فاذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولايستقدمون وقال صاحب الشرع عليه السلام أربعة قد فرغ منهن الخلق الخلق والرزق والاجل وقسم مكتوب بشرط معلق مشروط بفعل العبد وهو الثواب والعقاب أماترى كيف ذكرهما الله تعالى فى كتابه معلقا بفعل العبد قال تعالى ولوأن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيآتهم ولأدخلناهم جنات النعيم وهذا بين فاعلمه ✱ فان قيل فنحن نجد الطالبين يجدون الارزاق والاموال والتاركين يعدمون ويفتقرون ✱ قيل له كأنك لاتجد مع ذلك طالبا محروما فقيرا وتاركا فارغا مرزوقا غنيا بلى ان هذا هو الاكثر لتعلم ان ذلك هو تقدير العزيز العليم وتدبير الملك الحكيم وأنشد أبو بكر محمد بن سابق الواعظ الصقلى بالشام رحمه الله

كم من قوى قوى فى تقلبه ✱ مهذب الرأى عنه الرزق منحرف ✱ وكم ضعيف ضعيف فى تقلبه كأنه من خليج البحر يغترف ✱ هذا دليل على أن الاله له ✱ فى الخلق سر خفى ليس ينكشف

✱ فان قلت هل تدخل البادية بلازاد ✱ فاعلم أنه ان كان لك قوة قلب بالله تعالى والثقة البالغة بوعد الله فادخل والا فكن كالعوام بعلائقهم ✱ ولقد سمعت الامام أبا المعالى رحمه الله يقول ان من جرى مع الله تعالى على عادة الناس جرى الله معه على ماهو عادة الناس فى كفاية المؤنة وهذا كلام حسن جدا وفيه فوائد جمة لمن تأملها ✱ فان قلت أليس الله تعالى يقول وتزودوا فان خير الزاد التقوى ✱ فاعلم أن فيه قولين أحدهما أنه زاد الآخرة ولذلك قال خير الزاد التقوى ولم يقل حطام الدنيا وأسبابها والثانى أنه كان قوم لايأخذون زادا فى طريق الحج لانفسهم اتكالا على الناس ويسألون الناس ويشكون ويلحون ويؤذون الناس فأمروا بالزاد أمر تنبيه على أن أخذ الزاد من مالك خير من أخذ مال الناس والاتكال عليهم وكذلك نقول ✱ فان قلت فالمتوكل هل يحمل الزاد معه فى الاسفار ✱ فاعلم أنه ربما يحمل الزاد ولايعلق القلب به بانه لامحالة رزقه وفيه قوامه وانما يعلق القلب بالله تعالى ويتوكل عليه ويقول ان الرزق مقسوم مفروغ منه والله تعالى ان شاء أقام بنيتى بهذا أو بغيره وربما يحمل بنية أخرى بان يعين مسلما أونحو ذلك وليس الشأن فى أخذ الزاد وتركه وانما الشأن فى القلب لاتعلق قلبك الا بوعد الله تعالى وحسن كفايته وضمانه فكم من حامل للزاد وقلبه مع الله دون الزاد وكم من تارك الزاد وقلبه مع الزاد دون الله تعالى فالشأن اذن للقلب فافهم هذه الاصول تكف المؤنة ان شاء الله تعالى ✱ فان قيل فالنبى صلى الله عليه وسلم كان يحمل الزاد وكذلك الصحابة والسلف الصالح ✱ يقال له لاجرم ان ذلك مباح غير حرام وانما الحرام تعليق القلب بالزاد وترك التوكل على الله سبحانه فافهم ذلك ثم ماظنك برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال الله تعالى له وتوكل على الحى الذى لايموت أعصاه فى ذلك وعلق قلبه بطعام وشراب أودرهم أودينار كلا وحاشا أن يكون ذلك بل كان قلبه مع الله تعالى وتوكله على الله تعالى كما أمره فانه الذى لم يلتفت الى الدنيا باسرها ولم يمد يده الى مفاتيح خزائن الارض كلها وانما كان أخذ الزاد منه ومن السلف الصالح لنيات الخير لالميل قلوبهم عن الله تعالى الى الزاد

والمعتبر

من الاسبوع خاصة لآخرتك فعساه أن يكون كفارة لبقية الاسبوع

﴿ آداب الصيام ﴾

لاينبغى ان تقتصر على صوم رمضان فتترك التجارة بالنوافل وكسب الدرجات العالية فى الفراديس فتتحسر اذا نظرت الى الصائمين كما تنظر الى الكوكب الدرى وهم فى أعلى عليين والايام الفاضلة التى شهدت الأخبار بفضلها وبشرفها وبجزالة الثواب فى صيامها يوم عرفة لغير الحاج ويوم عاشوراء والعشر الاول من ذى الحجة والعشر الاول من المحرم ورجب وشعبان وصوم الاشهر الحرم من الفضائل وهى ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب واحد فرد وثلاثة سرد وهذه فى السنة وأما فى الشهر فاول الشهر وأوسطه وآخره والايام البيض وهى الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر وأما فى الاسبوع فيوم الاثنين والخميس والجمعة فتكفر ذنوب الاسبوع بصوم الاثنين والخميس والجمعة وذنوب الشهر تكفر باليوم الاول من الشهر واليوم الاوسط واليوم الآخر والايام البيض وتكفر ذنوب السنة بصيام

والمعتبر القصد على ما أعلمناك فافهم وانقبه من قدرتك وأفق من غفلتك وتفهم يرشدك الله * فان قلت أيهما أفضل أخذ الزاد أم تركه * فاعلم أن هذا يختلف باختلاف الحال ان كان مقتدى به يريد أن يبين ان أخذ الزاد مباح أو ينوى به عون مسلم أو اغاثة ملهوف ونحو ذلك فالاخذ أفضل وان كان منفردا قوى القلب بالله سبحانه يشغله الزاد عن عبادة الله سبحانه وتعالى فالترك أفضل فتفهم هذه الجملة واحتفظ بها راشدا و بالله التوفيق (العارض الثاني الاخطار والمراد بها وقصودها) وانما كفايتها في التفويض فعليك بتفويض الامر كله الى الله سبحانه وذلك لامرين أحدهما طمأنينة القلب في الحال فان الامور اذا كانت خطيرة مبهمة لا يدرى صلاحها من فسادها تكون بها مضطرب القلب هائم النفس لا تدرى تقع في صلاح أو فساد فاذا فوضت الامر كله الى الله تعالى علمت انك لا تقع الا في صلاح وخير فتكون آمنا من الخطر والآفة والمخالفة مطمئن القلب في الحال وهذه الطمأنينة والامن والراحة في القلب غنيمة عظيمة * وكان شيخنا رحمه الله يقول في مجالسه كثيرا دع التدبير الى من خلقك تسترح وقد أنشد في ذلك

ان من كان ليس يدرى أفي المحبوب تقع له أو المكروه * لحرى بان يفوض ما يعـ
ـجز عنه الى الذى يكفيه * الاله البر الذى هو بالرأ * فة أحنى من أمه وأبيه

والثاني من الامرين حصول الصلاح والخير في الاستقبال وذلك لان الامور بالعواقب مبهمة فكم من شر في صورة خير وكم من ضر في حلية نفع وكم من سم في حيئة شهد وأنت الجاهل بالعواقب والاسرار فاذا أردت الامور قطعا وأخذت فيها باختيارك متحكما فما أسرع ما تقع في هلاك وأنت لا تشعر * ولقد حكى أن بعض العباد كان يسأل الله أن يريه ابليس فقيل له سل العافية فابى الا ذلك فاظهره الله تعالى له فلما رآه العابد قصده بالضرب فقال له ابليس لولا أنك تعيش مائة سنة لاهلكتك وعاقبتك فاغتر بقوله وقال في نفسه ان عمرى بعيد طويل فافعل ما أريد ثم أتوب فوقع في الفسق وترك العبادة فهلك ففي هذه ما ينبهك على ترك الحكم في ارادتك والتجاج في مطلوبك ويحذرك طول الامل أيضا فانه الآفة العظيمة ولقد صدق القائل واياك المطامع والامانى * فكم أمنية جلبت منيه
* وأما اذا فوضت أمرك الى الله سبحانه وسألته أن يختار لك ما هو صلاحك لم تلق الا الخير والسداد ولا تقع الا على الصلاح قال الله تعالى حكاية عن العبد الصالح وأفوض أمرى الى الله ان الله بصير بالعباد فوقاه الله سيآت ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب أما ترى كيف أعقب تفويضه الوقاية من الاسواء والنصر على الاعداء و بلوغ المراد فتأمل موفقا ان شاء الله تعالى * فان قلت بين لنا معنى التفويض وحكمه * فاعلم أن ههنا فصلين بهما يتضح الكلام أحدهما موضع التفويض وحكمه والثاني معناه وحده وضده أما موضعه فاعلم ان المرادات ثلاثة مراد تعلم يقينا أنه فساد وشر لا شك فيه ألبتة كالنار والعذاب وفي الافعال كالكفر والبدعة والمعصية فلا سبيل الى ارادة ذلك والثاني مراد تعلم قطعا أنه صلاح كالجنة والايمان والسنة ونحو ذلك فلك ارادتها بالحكم لا موضع للتفويض فيه اذ لا خطر فيه ولا شك انه خير وصلاح والثالث مراد ولا تعلم يقينا أن لك فيه صلاحا أو فسادا ونحو ذلك النوافل والمباحات فههنا موضع التفويض فليس لك أن تريدها قطعا بل بالاستثناء وشرط الخير والصلاح فان قيدت ارادتك بالاستثناء فهو تفويض وان اردت دون الاستثناء فهو طمع مذموم منهى عنه فموضع التفويض اذن كل مراد فيه الخطر وهو ان لا تستيقن صلاحك فيه * وأما معنى التفويض فقد قال بعض شيوخنا رحمهم الله هو ترك اختيار ما فيه مخاطرة الى المختار المدبر العالم بمصلحة الخلق لا اله الا هو وعبارة الشيخ أبى محمد السجزى رحمه الله هو ترك اختيارك المخاطرة على المختار

هـــذه الايام والاشهر المذكورة ولا تظن اذا صمت أن الصوم هو ترك الطعام والشراب والوقاع فقط فقد قال صلى الله عليه وسلم كم من صائم ليس له من صيامه الا الجوع والعطش بل تمام الصيام بكف الجوارح كلها عما يكره الله تعالى بل ينبغى أن تحفظ العين عن النظر الى المكاره واللسان عن النطق بما لا يعنيك والاذن عن الاستماع الى ما حرم الله فان المستمع شريك القائل وهو أحد المغتابين وكذلك تكف جميع الجوارح كما تكف البطن والفرج ففي الخبر خمس يفطرن الصائم الكذب والغيبة والنميمة والنظر بشهوة واليمين الكاذبة وقال صلى الله عليه وسلم انما الصوم جنة فاذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ولا يفسق ولا يجهل فان امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل انى صائم * ثم اجتهد أن تفطر على طعام حلال ولا تستكثر فتزيد على ما تأكله كل ليلة لاجل صيامك فلا فرق اذا استوفيت ما تعتاد أن تأكله دفعة أو دفعتين واعلم المقصود كسر شهوتك وتضعيف قوتك لتقوى بها على التقوى فاذا

ليختارلك ماهوخيرلك وقال الشيخ أبو عمر رحمه الله هو ترك الطمع والطمع هو ارادة الشئ الخاطر بالحكم فهذه عبارات المشايخ * والذى نقول لك ان التفويض ارادة أن يحفظ الله عليك مصالحك فيما لاتأمن فيه الخطر * وضد التفويض الطمع والطمع فى الجملة يجرى على وجهين أحدهما فى معنى الرجاء تريد شيأ لاخطر فيه أو مخاطرة بالاستثناء وذلك ممدوح غير مذموم كما قال الله تعالى والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين وقال انا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا وهذا القسم ليس مما نحن فيه بسبيل ههنا والثانى طمع مذموم قال النبى صلى الله عليه وسلم اياكم والطمع فانه فقر حاضر * وقيل ملاك الدين وفساده الطمع وملاكه الورع * قال شيخنا رحمه الله الطمع المذموم شيآن سكون القلب الى منفعة مشكوكة والثانى ارادة الشئ الخاطر بالحكم وهذه الارادة تقابل التفويض لاغير فاعلم ذلك * وأما حصن التفويض فهو ذكر خطر الامور وامكان الهلاك والفساد فيها وحصن حصنه ذكر عجزك عن الاعتصام عن ضروب الخطر والامتناع عن الوقوع فيها بجهلك وغفلتك وضعفك والمواظبة على هذين الذكرين تحملك على تفويض الامور كلها الى الله سبحانه والتحفظ عن الحكم فيها والامتناع عن ارادتها الا بشرط الخير والصلاح فهذه هذه وبالله التوفيق * فان قيل لك ماهذا الخطر الذى يوجبون التفويض لاجله فى الامور * فاعلم ان الخطر فى الجملة خطران خطر الشك بانه يكون أولا يكون وانك تصل اليه أولا تصل اليه وهذا يحتاج الى الاستثناء ويقع فى باب النية والامل والثانى خطر الفساد بان لاتستيقن فيه الصلاح لنفسك وهذا الذى يحتاج فيه الى التفويض * ثم اختلفت عبارات الائمة فى الخطر فعن بعضهم ان الخطر فى الفعل هو أن تكون دونه نجاة ويمكن أن يجامعه ذنب فالايمان والاستقامة والسنة لاخطر فيها اذلا يمكن دون الايمان نجاة البتة والاستقامة لايجامعها ذنب فاذن تصح ارادة الايمان والاستقامة بالحكم * وقال الاستاذ رحمه الله الخطر فى الفعل مايمكن أن يعترض فيه مايكون الاشتغال بالعارض أولى من الاقدام على ذلك الفعل وذلك يقع فى المباحات والسنن والفرائض ألاترى أن من تضيق عليه وقت الصلاة وقصد أداءها فعرض له حريق أوغريق يمكنه انقاذه فالاشتغال بانقاذه أولى من الاقبال على صلاته فلاتصح اذن ارادة المباحات والنوافل والكثير من الفرائض بالحكم * فان قيل كيف يصح أن يفترض الله على عبده شيأ أو يوعده على تركه ثم لايكون له صلاح فى فعله * فاعلم أن شيخنا رحمه الله قال ان الله تعالى لايأمر العبد بشئ الا وفيه صلاحه اذا تجرد عن العوارض ولا يضيق عليه فعلا فرضا بحيث لامعدل له عن ذلك الا وله فيه صلاح وانما بما يسبب الله تعالى له عذرا لاجله يكون العدول عن أحد المأمورين أولى من الاشتغال بالآخر كماذكرنا فيكون العبد فى ذلك معذورا بل مأجورا لابترك هذا الفرض بل بفعل الفرض الثانى الذى هو أولى * ولقد سمعت الامام رحمه الله فى هذه المسئلة يقول ان كل ماافترض الله على عباده من الصلاة والصوم والحج ونحوه ففيها صلاح لامحالة للعبد وصحت ارادتها بالحكم قال فاتفق رأينا على ذلك فبقى المباحات والنوافل اذن فى هذا الحكم فاعلم ذلك فانه من غوامض الباب وبالله التوفيق * فان قيل هل يأمن المفوض الهلاك والفساد والدار دار محنة * فاعلم ان فى الاغلب لايفعل بالمفوض الا الصلاح وقد يفعل به فى النادر غير الصلاح ولذلك ربما يخذله فيقع عن منزلة التفويض ولاصلاح للعبد فى الخذلان والوقوع عن منزلة التفويض وبه قال الشيخ أبو عمرو رحمه الله * وقيل لايفعل بالمفوض الا مافيه صلاحه فيما فوض الى الله سبحانه والخذلان والقصور عن منزلة التفويض مما لايقع فيه التفويض اذ لاشك فى فساد ذلك والتفويض انما يقع فيما يشك فى فساده وصلاحه وهذا أولى القولين عند شيخنا رحمه الله اذ لولا ذلك لما قويت الباعثة على التفويض * فان قيل هل يجب أن يفعل

أكلت عيش مافاتك فقد تداركت به مافاتك فلا فائدة فى صومك وقد ثقلت عليك معدتك ومامن وعاء أبغض الى الله من بطن ملئ من حلال فكيف اذا كان من حرام فاذا عرفت معنى الصوم فاستكثر منه مااستطعت فانه أساس العبادات ومفتاح القربات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى كل حسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف الا الصوم فانه لى وأنا أجزى به وقال صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك يقول الله عز وجل انما يذر شهوته وطعامه وشرابه من أجلى فالصوم لى وأنا أجزى به وقال صلى الله عليه وسلم للجنة باب يقال له الريان لايدخله الا الصائمون فهذا القدر يكفيك من شرح الطاعات من بداية الهداية فاذا احتجت الى الزكاة والى الحج أوالى مزيد شرح الصلاة والصيام فاطلبه مما أوردناه فى كتاب احياء علوم الدين

(القسم الثانى القول فى اجتناب المعاصى) اعلم ان الدين شطران أحدهما

بالمفوض ماهو الافضل * فاعلم أن الايجاب مستحيل فى حق الله تعالى فلا يجب لعباده عليه شئ وقد يفعل بالعبد الاصلح دون الافضل حكمة من فعله ألا ترى أنه قدر للنبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ان يناموا طول الليل الى طلوع الشمس فى بعض الاسفار حتى فاتتهم صلاة الليل وصلاة الفجر والصلاة أفضل من النوم ورب مايقدر للعبد الغنى والنعمة من الدنيا وان كان الفقر أفضل ورب مايقدر له الاشتغال بالازواج والاولاد وان كان التجرد لعبادة الله عزوجل أفضل فانه بعباده خبير بصير وهذا كما أن الطبيب الحاذق الناصح يختار للمريض ماء الشعير وان كان ماء السكر أفضل وأنفس لما علم ان صلاح علته فى ماء الشعير والمقصود للعبد النجاة من الهلاك لا الفضل والشرف مع الفساد والهلاك * فان قيل فهل يكون المفوض مختارا * فاعلم أن الصحيح عند علمائنا أنه يكون مختارا ولا يقدح فى تفويضه وذلك أن المعنى فيما اذا كان له صلاح فى المفضول والافضل فهو يريد من الله تعالى أن يسبب له الافضل كأن المريض يقول للطبيب اجعل دوائى ماء السكر دون ماء الشعير اذا كان لى صلاح فى كليهما ليحصل لى الفضل والصلاح جميعا فكذلك العبد اذا سأل الله تعالى أن يجعل صلاحه فيما هو الافضل ويسبب له ذلك ليجمع له الفضل والصلاح جميعا ولكن بشرط انه ان اختار الله له الصلاح فى غير الافضل أن يكون راضيا بذلك * فان قيل فلماذا كان للعبد أن يختار الافضل وليس له أن يختار الاصلح * فاعلم ان الفرق بينهما ان العبد يعرف الافضل من المفضول ولا يعرف الصلاح من الفساد الا بريده بالحكم ثم ان معنى اختياره الافضل أن يريد من الله تعالى أن يجعل صلاحه فيما هو الافضل ويختار له ذلك ويقدر لا أن للعبد تحكما فى شئ من ذلك فاعلمه * فهذه جملة من دقيق هذا العلم وأسراره ولولا أن الحاجة مست اليه لما تعرضنا لايراده لانه تلاطم بحار علوم المكاشفة مع انى اقتصرت على النكتة المقنعة فى هذا الكتاب وقصدت الايضاح لينتفع به فحول العلماء والمبتدئون ان شاء الله تعالى وبالله التوفيق

(العارض الثالث القضاء وورود أنواعه) وانما كفايته فى الرضا به فعليك أن ترضى بقضاء الله عزوجل وذلك لامرين * أحدهما للتفرغ للعبادة لانك اذا لم ترض بالقضاء فتكون مهموما مشغول القلب أبدا بانه لم كان كذا ولم ذا يكون كذا فاذا اشتغل القلب بشئ من هذه الهموم كيف يتفرغ للعبادة اذ ليس لك الا قلب واحد وقد ملأته من الهموم وما كان وما يكون من أمر الدنيا فأى موضع بقى فيه لذكر الله ولعبادته وفكر الآخرة * ولقد صدق شقيق رحمه الله حيث قال ان حسرة الامور الماضية وتدبير الآتية قد ذهبت ببركة ساعتك هذه * والثانى من الامرين خطر ما فى السخط من غضب الله تعالى ولقد روينا فى الاخبار أن نبيا من الانبياء شكا بعض ما ناله من المكروه الى الله تعالى فأوحى الله تعالى اليه أتشكونى ولست بأهل ذم ولا شكوى هكذا بدا شأنك فى علم الغيب فلم تسخط قضائى عليك أتريد أن أغير الدنيا لاجلك أو أبدل اللوح المحفوظ بسببك فأقضى ما تريد دون ما أريد ويكون ما تحب دون ما أحب فبعزتى حلفت لئن تلجلج هذا فى صدرك مرة أخرى لاسلبنك ثوب النبوة ولأوردنك النار ولا أبالى * قلت فليستمع العاقل هذه السياسة العظيمة والوعيد الهائل مع أنبيائه وأصفيائه فكيف مع غيرهم ثم استمع قوله عزوجل لئن تلجلج هذا فى صدرك مرة أخرى فهذا فى حديث النفس وتردد القلب فكيف بمن يصرخ ويستغيث ويشكو وينادى بالويل والصراخ من ربه الكريم المحسن على رؤس الملأ ويتخذ له أعوانا وأصحابا وهذا لمن سخط مرة فكيف بمن هو فى السخط على الله تعالى جميع عمره وهذا لمن شكا اليه فكيف بمن شكا الى غيره نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيآت أعمالنا ونسأله أن يعفو عنا ويغفر لنا سوء آدابنا ويصلحنا بحسن نظره انه أرحم الراحمين * فان قيل فما معنى الرضا بالقضاء وحقيقة ذلك وحكمه * فاعلم ان علماءنا قالوا ان الرضا ترك السخط والسخط

وترك المناهى والآخر فعل الطاعات وترك المناهى هو الاشد فان الطاعات يقدر عليها كل أحد وترك الشهوات لا يقدر عليها الا الصديقون ولذلك قال صلى الله عليه وسلم المهاجر من هجر السوء والمجاهد من جاهد هواه * واعلم انك انما تعصى الله بجوارحك وانما هى نعمة من الله عليك وأمانة لديك فاستعانتك بنعمة الله على معصيته غاية الكفران وخيانتك فى أمانة أودعكها الله غاية الطغيان فأعضاؤك رعاؤك فانظر كيف ترعاها فكلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته * واعلم أن جميع أعضائك ستشهد عليك فى عرصات القيامة بلسان طلق ذلق أى فصيح تفضحك به على رؤس الخلائق قال الله تعالى يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون وقال تعالى اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون فاحفظ جميع بدنك وخصوصا أعضاءك السبعة فان جهنم لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم ولا يتعين لتلك الابواب الا من عصى الله بهذه الاعضاء السبعة وهى

ذكر غير ما قضى الله تعالى بانه أولى به وأصلح له فيما لا يستيقن فساده وصلاحه فهذا شرط فيه فاعلم ذلك * فان قلت أليس الشرور والمعاصي بقضاء الله تعالى وقدره فكيف يرضى العبد بالشر ويلزمه ذلك * فاعلم ان الرضا انما يلزم بالقضاء وقضاء الشر ليس بشر وانما الشر هو المقضى فلا يكون رضا بالشر * وقد قال شيوخنا رحمهم الله تعالى ان المقضيات أربعة نعمة وشدة وخير وشر * فالنعمة يجب الرضا فيها بالقاضي والقضاء والمقضى ويجب عليه الشكر من حيث انها نعمة واظهار النعمة عليه بابداء أثر النعمة * والشدة يجب أيضا الرضا فيها بالقاضي والقضاء والمقضى ويجب عليه الصبر من حيث انها شدة * والخير يجب فيه الرضا بالقاضي والقضاء والمقضى ويجب عليه ذكر المنة من حيث انه خير وفق له * والشر يجب عليه فيه الرضا بالقاضي والقضاء والمقضى من حيث انه مقضى لا من حيث انه شر وكونه مقضيا يرجع الى القضاء والقاضي بالحقيقة وهذا كما أنك ترضى مذهب المخالف أن يكون معلوما لك لا أن يكون مذهبا لك ثم كونه معلوما يرجع الى العلم فالرضا والمحبة انما يكونان بالحقيقة للعلم بمذهب المخالف لا بمذهبه فكذلك الرضا بالمقضى * فان قيل فالراضي هل يكون مستزيدا * قيل له نعم بشرط الخير والصلاح دون الحكم فلا يخرجه ذلك عن الرضا بل يدل على الرضا فهو أولى لان من أعجبه شيء ورضى ذلك استزاد منه * وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا حضر اللبن يقول اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه وفي غيره يقول وزدنا خيرا منه وفي موضع من الموضعين لم يدل على أنه غير راض بما قدر الله تعالى له من ذلك * فان قلت فلم يذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم الاستثناء وشرط الخير والصلاح * فاعلم ان هذه الامور انما تكون بالقلب وأن ما يقال باللسان عبارة عن ذلك فلا معتبر بترك عبارته مع حصوله بالقلب فاعلم ذلك موفقا (العارض الرابع الشدائد والمصائب) وانما كفايتها بالصبر * فعليك بالصبر في المواطن كلها وانما ذلك لامرين أحدهما الوصول الى العبادة وحصول المقصود منها فان مبنى أمر العبادة كلها على الصبر واحتمال المشقات فمن لم يكن صبورا لم يصل الى شيء منها بالحقيقة وذلك أن من قصد عبادة الله تعالى وتجرد لها محققا استقبلته شدائد ومحن ومصائب من وجوه * أحدها انه لا عبادة الا وفي نفسها مشقة وذلك كان كل هذا الترغيب فيه ووعد الثواب عليه اذ لا يتأتى فعل العبادة الا بقمع الهوى وقهر النفس اذ هي زاجرة عن الخير ومخالفة الهوى وقهر النفس من أشد الامور على الانسان * وثانيها أن العبد اذا فعل الخير مع المشقة لزمه الاحتياط له حتى لا يفسد عليه والاتقاء على العمل أشد من العمل * وثالثها أن الدار دار محنة فمن كان فيها فلا بد له من الابتلاء بشدائدها ومصائبها وذلك أقسام فمنها المصيبة في الاهل والقرابات والاخوان والاصحاب بالموت والفقد والفراق وفي النفس بانواع الامراض والاوجاع وفي العرض بقتال الناس اياه والطمع فيه والازدراء به والغيبة والكذب عليه وفي المال بالذهاب والزوال ولكل واحد من هذه المصائب لذعة وحرقة من نوع غير نوع الآخر فيحتاج الى الصبر عليها كلها والا فيمنعه الجزع والتلهف من التفرغ للعبادة * ورابعها ان طالب الآخرة أشد ابتلاء وأكثر محنة أبدا ومن كان الى الله أقرب فالمصائب في الدنيا أكثر والبلاء عليه أشد أما تسمع قوله صلى الله عليه وسلم أشد الناس بلاء الانبياء ثم العلماء ثم الامثل فالامثل فاذن من قصد الخير وتجرد لطريق الآخرة استقبلته هذه المحن فان لم يصبر عليها ولا يكون بحيث لا يلتفت اليها انقطع عن الطريق واشتغل عن العبادة فلا يصل الى شيء من ذلك * ولقد أعلمنا الله سبحانه وتعالى بالتقاء المحن والمصائب وابتلائنا بها وحقق ذلك وأكده فقال تعالى لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا ثم قال وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور فكأنه يقول وطنوا أنفسكم على أنه لا بد

لكم

العين والاذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل * أما العين فانما خلقت لك لتهتدى بها في الظلمات وتستعين بها في الحاجات وتنظر بها الى عجائب ملكوت الارض والسموات وتعتبر بما فيها من الآيات فاحفظها عن ثلاث أو أربع أن تنظر بها الى غير محرم أو الى صورة مليحة بشهوة نفس أو تنظر بها الى مسلم بعين الاحتقار أو تطلع بها على عيب مسلم * وأما الاذن فاحفظها عن أن تصغى بها الى البدعة أو الغيبة أو الفحش أو الخوض في الباطل أو ذكر مساوى الناس فانما خلقت لك لتسمع بها كلام الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكمة أوليائه وتتوصل باستفادة العلم بها الى الملك المقيم والنعيم الدائم فاذا أصغيت بها الى شيء من المكاره صار ما كان لك عليك وانقلب ما كان سبب فوزك سبب هلاكك فهذه غاية الخسران ولا تظنن أن الاثم يختص به القائل دون المستمع ففي الخبر ان المستمع شريك القائل وهو أحد المغتابين * وأما اللسان فانما خلق لك لتكثر به ذكر الله تعالى وتلاوة كتابه وترشد به

لكم من أنواع البلايا فان تصبروا فانتم الرجال وعزائمكم عزائم الرجال فاذن من عزم على عبادة الله سبحانه يجب أولا أن يعزم على الصبر الطويل ويوطن نفسه على احتمال المشاق العظيمة المتوالية الى الموت والافقد قصد الامر بغير آلته وأتاه من غير وجهه * ولقد ذكر عن الفضيل رحمه الله أنه قال من عزم على قطع الطريق للآخرة فليجعل فى نفسه أربعة ألوان من الموت الابيض والاحمر والاسود والاخضر فالموت الابيض الجوع والاسود ذم الناس والاحمر مخالفة الشيطان والاخضر الوقائع بعضها على بعض * والثانى من الامرين مافى الصبر من خير الدنيا والآخرة فمن ذلك النجاة والنجاح قال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب * معناه من يتق الله تعالى بالصبر يجعل له مخرجا من الشدائد * ومنها الظفر بالاعداء قال الله تعالى فاصبر ان العاقبة للمتقين * ومنها الظفر بالمراد قال الله تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا * وقيل كتب يوسف فى جواب يعقوب عليهما السلام ان آباءك صبروا فظفروا فاصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا وفى هذا المعنى قيل

لا تيأسن وان طالت مطالبة * اذا استعنت بصبر أن ترى فرجا
أخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته * ومدمن القرع للابواب ان يلجا

* ومنها التقدم على الناس والامامة قال تعالى وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا * ومنها الثناء من الله سبحانه وتعالى قال سبحانه وتعالى انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب * ومنها البشارة والصلاة والرحمة قال الله تعالى وبشر الصابرين الى قوله تعالى أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة الآية * ومنها المحبة من الله تعالى قال الله تعالى والله يحب الصابرين * ومنها الدرجات العلى فى الجنة قال الله تعالى أولئك يجزون الغرفة بما صبروا * ومنها الكرامة العظيمة قال تعالى سلام عليكم بما صبرتم * ومنها ثواب بلا غاية ولا نهاية خارجا عن أوهام الخلق واعدادهم وتحصيلهم قال تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب * فسبحانه من اله سيد ماجد ما أكرمه وكل هذه الكرامات فى الدنيا والآخرة يعطيها عبده على صبر ساعة فبان لك ان خير الدنيا والآخرة فى الصبر قال صلى الله عليه وسلم ما أعطى أحد من عطاء خيرا وأوسع من الصبر وعن عمر رضى الله عنه أنه قال جميع خير المؤمنين فى صبر ساعة واحدة ولقد أحسن القائل

الصبر مفتاح ما يرجى * وكل خير به يكون * فاصبر وان طالت الليالى
فربما أمكن الحرون * وربما نيل باصطبار * ما قيل هيهات لا يكون

* ولقائل آخر

صبرت وكان الصبر منى سجية * وحسبك أن الله أثنى على الصبر
سأصبر حتى يحكم الله بيننا * فاما الى يسر واما الى عسر

* فعليك باغتنام هذه الخصلة الشريفة المحمودة وبذل المجهود فيها لتكن من الفائزين والله تعالى ولى التوفيق * فان قلت فما حقيقة الصبر وحكمه * فاعلم ان لفظة الصبر من طريق اللغة الحبس قال الله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم الآية أى احبس نفسك معهم وانما يوصف الله تعالى بالصبر على معنى حبسه العذاب عن المجرمين فلا يعاجلهم به ثم المعنى الذى هو من مساعى القلب سمى صبرا لانه حبس النفس عن الجزع والجزع فيما قاله العلماء ذكر اضطرابك فى الشدة وقيل بل ارادة الخروج عن الشدة بالحكم والصبر تركه وحسن الصبر ذكر مقدار الشدة ووقتها وانها لا تزيد ولا تنقص ولا تتقدم ولا تتأخر ولا فائدة فى الجزع بل فيه الضرر والخطر وحسن هذا الحسن ذكر حسن عوض الله تعالى عليه وكريم الذخر فى ذلك لديه فهذه هذه وبالله التوفيق

(فصل) * فعليك بقطع هذه العقبة الشديدة المنيعة بدفع هذه العوارض الاربعة والمزاحة عنها

خلق الله تعالى الى طريقه وتظهر به ما فى ضميرك من حاجات دينك ودنياك فاذا استعملته فى غير ما خلق له فقد كفرت نعمة الله تعالى فيه وهو أغلب أعضائك عليك وعلى سائر الخلق ولا يكب الناس فى النار على مناخرهم الا حصائد ألسنتهم فاستظهر عليه بغاية قوتك حتى لا يكبك فى قعر جهنم ففى الخبر ان الرجل ليتكلم بالكلمة ليضحك بها أصحابه فيهوى بها فى قعر جهنم سبعين خريفا وقتل شهيد فى المعركة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قائل هنيئا له الجنة فقال صلى الله عليه وسلم ما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه فاحفظ لسانك من ثمانية (الاول) الكذب فاحفظ منه لسانك فى الجد والهزل ولا تعود نفسك الكذب هزلا فيدعوك الى الكذب فى الجد والكذب من أمهات الكبائر ثم انك اذا عرفت بذلك سقطت عدالتك واتقى قولك وتزدريك الاعين وتحتقرك واذا أردت أن تعرف قبح الكذب من نفسك فانظر الى كذب غيرك والى نفرة

وإلا فلا تدعك تذكر مقصودك من العبادة وتتفكر فيها فضلا على أن تدركها فتحصلها وإن لكل واحد منها شغلا شاغلا عاجلا وآجلا . ثم إن أعظمها وأعضلها أمر الرزق وتدبيره فانه البلية الكبرى لعامة الخلق أتعبت نفوسهم وشغلت قلوبهم وأكثرت همومهم وضيعت أعمارهم وأعظمت سيئاتهم وأوزارهم وعدلت بهم عن باب الله تعالى وخدمته إلى خدمة الدنيا وخدمة المخلوقين فعاشوا فى الدنيا فى غفلة وظلمة وتعب ونصب ومهانة وذل وقدموا إلى الآخرة مفاليس بين أيديهم الحساب والعذاب إن لم يرحم الله تعالى بفضله وانظر كم آية أنزل الله تعالى فى ذلك وكم ذكر من وعده وضمانه وقسمه على ذلك ولم تزل الأنبياء والعلماء يعظون الناس ويبينون لهم الطريق ويصنفون لهم الكتب ويضربون لهم الأمثال ويخوفونهم بالله تعالى وهم مع ذلك لايهتدون ولا يتقون ولا يطمئنون بل هم فى غمرة من ذلك لايزالون يخافون أن يفوتهم غداء أوعشاء وأصل ذلك كله قلة التدبر لآيات الله سبحانه وقلة التفكر فى صنائع الله وترك التذكر لكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك التأمل لأقوال الصالحين مع الاسترسال لوساوس الشيطان والاصغاء إلى كلام الجاهلين والاغترار بعادات الغافلين حتى تمكن الشيطان منهم ورسخت العادات فى قلوبهم فنادى بهم ذلك إلى ضعف القلب ورقة اليقين . وأما الأخيار الذين هم أولو الأبصار وأرباب الجد والاجتهاد فأبصروا طريق السماء فلم يعبئوا بأسباب الأرض واعتصموا بحبل الله فلم يكترثوا بعلائق الخلق وتيقنوا بآيات الله تعالى وأبصروا طريقه فلم يلتفتوا إلى وساوس الشيطان والخلق والنفس فاذا وسوس لهم شيطان أو نفس أو انسان بشىء قاموا معه بالمناقشة والمدافعة والمخالفة حتى ولى الخلق عنهم واعتزل عنهم الشيطان وانقادت لهم النفس واستقام لهم الطريق المستقيم على ماذكر عن إبراهيم بن أدهم رحمه الله أنه لما أراد أن يدخل البادية أتاه الشيطان فخوفه بأن هذه بادية مهلكة ولازاد معك ولاسبب فعزم على نفسه رحمه الله أن يقطع البادية على تجرده ذلك وأن لا يقطعها حتى يصلى تحت كل ميل من أميالها ألف ركعة وقام بما عزم عليه وبقى فى البادية اثنتى عشرة سنة حتى إن الرشيد حج فى بعض تلك السنين فرآه تحت ميل يصلى فقيل له هذا إبراهيم بن أدهم يصلى فأتاه فقال له كيف تجدك ياأبا اسحق ؟ فأنشأ إبراهيم يقول :

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا … فلا ديننا يبقى ولا مانرقع
فطوبى لعبد آثر الله ربه … وجاد بدنياه لما يتوقع

وعن بعض الصالحين رحمه الله أنه كان فى بعض البوادى فوسوس له الشيطان بأنك متجرد وهذه بادية مهلكة لاعمران فيها ولاناس فعزم على نفسه بأن يمضى على تجرده وأن لا يطرق الطريق حتى لايأخذ من الناس ولايأكل شيئا حتى يجعل فى فمه السمن والعسل ثم عدل عن الشارع ومر على وجهه قال رحمه الله فسرت ماشاء الله فاذا بقافلة قد أضلت الطريق وهم يسيرون فلما أبصرتهم رميت بنفسى إلى الأرض لعلهم لايبصروننى فسيرهم الله عزوجل حتى وقفوا على فغمضت عينى فدنوا منى وقالوا هذا منقطع غشى عليه من الجوع والعطش فهاتوا سمنا وعسلا نجعله فى فيه لعله يفيق فأتوا بسمن وعسل فسددت فمى وأسنانى فأتوا بسكين يعالجون فمى حتى يفتحوه فضحكت ففتحت فاى فلما رأوا ذلك منى قالوا أمجنون أنت قلت لا والحمد لله تعالى وأخبرتهم ببعض ماجرى لى مع الشيطان فتعجبوا من ذلك . وعن بعض مشايخنا رحمهم الله قال نزلت فى بعض أسفارى فى أيام التعليم مسجدا بعيدا عن الناس وكنت متجردا على عادة أوليائنا فوسوس إلى الشيطان بأن هذا مسجد بعيد عن الناس لو سرت إلى مسجد بين الناس لرآك أهله وقاموا بكفايتك فقلت لأبيت إلا ههنا وعلى عهد الله أن لا آكل شيئا إلا الحلواء ولا آكل حتى يوضع فى فمى لقمة لقمة فصليت العتمة وأغلقت الباب فلما مضى صدر من الليل إذا أنا

نفسك عنه واستحقارك لصاحبه واستقباحك لما جاء به وكذلك فافعل فى جميع عيوب نفسك فانك لاتدرى قبح عيوبك من نفسك بل من غيرك فما استقبحته من غيرك يستقبحه غيرك منك لامحالة فلا ترض لنفسك ذلك (الثانى) الخلف فى الوعد فاياك أن تعد بشىء ولاتفى به بل ينبغى أن يكون إحسانك إلى الناس فعلا بلاقول فان اضطررت إلى الوعد فاياك أن تخلف إلا لعجز أوضرورة فان ذلك من أمارات النفاق وخبائث الأخلاق قال عليه السلام ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى من إذاحدث كذب وإذاوعد أخلف وإذا ائتمن خان . (الثالث) حفظ اللسان من الغيبة والغيبة أشد من ثلاثين زنية فى الإسلام كذلك ورد فى الخبر ومعنى الغيبة أن تذكر إنسانا بما يكرهه لو سمعه فأنت مغتاب ظالم وإن كنت صادقا وإياك وغيبة القراء المرائين وهو أن تفهم المقصود من غير تصريح فتقول أصلحه الله فقد أساءنى وغمنى ماجرى عليه فنسأل الله أن يصلحنا وإياه فان هذا جمع بين

بانسان يدق الباب ومعه سراج فلما كثر الدق فتحت الباب فاذا أنا بعجوز معها شاب وقد دخلت فوضعت بين يدى طبقا من الخبيص وقالت هذا الشاب ولدى صنعت له هذا الخبيص وجرى بيننا كلام فحلف ان لا يأكل حتى يأكل معه رجل غريب أو قالت هذا الغريب الذى فى المسجد فكل رحمك الله فاخذت تضع فى فمى لقمة وفى فم ولدها لقمة حتى اكتفينا ثم انصرفا وأغلقت الباب على متعجبا مما جرى فهذه وأمثالها من مجاهدات الصالحين ومناقضتهم للشيطان فان لك فى ذلك فوائد ثلاثة احداها أن تعلم ان الرزق لا يفوت من قدر له بحال والثانية أن تعلم ان أمر الرزق والتوكل لمهم جدا وأن للشيطان فيه غوائل ووساوس عظيمة حتى ان مثل أولئك الائمة الزهاد لم يتخلصوا من ذلك ولم ييأس منهم الشيطان بعد طول تلك الرياضات وكثرة المجاهدات التى سبقت لهم حتى يحتاجوا الى دفعه بهذه المناقضات ولعمرى ان من جاهد النفس والشيطان سبعين سنة لا يأمن أن يوسوساه كما يوسوسان المبتدئ فى العبادة بل الغافل لم يجتهد ساعة فى الرياضة ولو ظفرا به لفضحاه وأهلكاه هلاك الغافلين المغترين وفى ذلك عبرة لاولى الابصار والثالثة أن تعلم أن الامر لا يتم الا بالجد المحض والمجاهدة البالغة فانهم كانوا لحا ودما وبدنا وروحا مثلك بل كانوا أنحف أبدانا وأضعف أركانا وأدق عظاما منك ولكن كانت لهم قوة العلم ونور اليقين وهمة أمر الدين حتى قووا على مثل تلك المجاهدات والقيام بحق تلك المقامات فانظر لنفسك رحمنا الله واياك وداوها من هذا الداء المعضل لعلك تفلح ان شاء الله تعالى

﴿فصل﴾ ثم اعلم بعد هذه الجملة أنى مجرد لك نكتا وجدتها بحيث تمكث فى القلب اذا تذكرتها وتكفيك مؤنة هذا الباب وتدعك على واضحة من الحق ان تأملتها وعملت بها والله سبحانه الموفق * الاولى أن تعلم أن الله تعالى ضمن الرزق لعباده فى كتابه فقد ضمن رزقك وتكفل لك به فما تقول لو وعدك ملك من ملوك الدنيا أنه يضيفك الليلة ويعشيك وأنت حسن الظن به أنه صادق ولا يكذب ولا يخلف الوعد بل لو وعدك بذلك سوقى أو يهودى أو نصرانى أو مجوسى مستور عندك بظاهره عفيف فى مقالته ألست تثق به وبوعده وتطمئن بقوله ولا تهتم لعشائك تلك الليلة اتكالا عليه فما بالك وقد وعدك الله تعالى وضمن لك رزقك وتكفل به بل أقسم عليه فى غير موضع وأنت لا تطمئن بوعده ولا تسكن الى قوله وضمانه ولا تنظر الى قسمه بل يضطرب قلبك ويهتم فيالها من فضيحة لو رأيتموها بالها من مصيبة لو علمت حالها * وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال

أتطلب رزق الله من عند غيره * وتصبح من خوف العواقب آمنا
وترضى بصراف وان كان مشركا * ضمينا ولا ترضى بربك ضامنا
كأنك لم تقرأ بما فى كتابه * فأصبحت منحول اليقين مباينا

ولهذا المعنى ينجر هذا الامر الى الشك والشبهة ويخاف على صاحبه والعياذ بالله سلب المعرفة والدين ولهذا المعنى قال سبحانه وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وعلى الله فليتوكل المؤمنون فحسب المؤمن المهتم لامر دينه هذه النكتة الواحدة ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم * والثانية أن تعلم أن الرزق مقسوم صح ذلك فى كتاب الله تعالى وأخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعلم ان قسمته لا تتبدل ولا تتغير فان أنكرت القسمة أو جوزت نقضها فذلك باب الكفر تقرعه نعوذ بالله وان علمت أنه حق لا يتغير فاى فائدة فى الاهتمام والطلب الا الذل والهوان فى الدنيا والشدة والخسران فى الآخرة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم مكتوب على ظهر الحوت والثور رزق فلان بن فلان فلا يزداد الحريص الا جهدا وفى ذلك يقول شيخنا رحمه الله ان ما قدر لماضغيك أن يمضغاه فلا يمضغه غيرك فكل رزقك ويحك بالعز ولا تأكله بالذل وهذه نكتة مقنعة للرجال * والثالثة ما سمعت من شيخى الامام رحمه الله يحكى عن

خبيثين أحدهما الغيبة اذ بها حصل التفهم والآخرة تزكية النفس والثناء عليها بالتحرج والصلاح ولكن ان كان مقصودك من قولك أصلحه الله الدعاء فادع له فى السر وان اغتممت بسببه فعلامته انك لا تريد فضيحته واظهار عيبه وفى اظهارك الغم بعيبه اظهار الغيبة ويكفيك زاجرا عن الغيبة قوله تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه فقد شبهك الله بآكل لحم الميتة فما أجدر أن تحترز منها ويمنعك عن غيبة المسلمين أمر لو تفكرت فيه وهو أن تنظر فى نفسك هل فيك عيب ظاهر أو باطن وهل أنت مقارف معصية سرا أو جهرا فاذا عرفت ذلك من نفسك فاعلم أن عجزه عن التنزه عما نسبته اليه كعجزك وعذره كعذرك وكما تكره أن تفتضح وتذكر عيوبك فهو أيضا يكرهه فان سترته ستر الله عيبك وان فضحته سلط الله عليك ألسنة حدادا يمزقون عرضك فى الدنيا ثم يفضحك الله فى الآخرة على رؤس الخلائق يوم القيامة وان نظرت الى ظاهرك وباطنك فلم تطلع فيهما على عيب ونقص فـ

الاستاذ رحمه الله أنه كان يقول ان مما يقنعني في أمر الرزق أني تذكرت وقلت في نفسي أليس هذا الرزق للحياة والعيش والميت ما يصنع بالرزق فاذا كان حياة العبد في خزانة الله تعالى وبيده فكذلك الرزق ان شاء يعطيني وان شاء يمنعني وهو غيب عني موكول الى الله تعالى يدبره كيف يشاء وأنا ساكن النفس بذلك وهذه نكتة لطيفة مقنعة لاهل التحقيق * والرابعة مما ذكرنا في هذا الفصل أن الله تعالى ضمن رزق العباد ولم يضمن الا الرزق المضمون الذي هو الغذاء والتربية وفيه القوام والعدة ﴿وأما الاسباب﴾ من الطعام والشراب فالعبد اذا تجرد لعبادة الله تعالى وتوكل على الله فربما يحبس عنه الاسباب فلا يعبأ أن بذلك ولا يضجر لما علم من حقيقة الامر أن الضمان لقوام البنية والتوكل على الله سبحانه انما هو في هذا المعنى لاغير والمنتظر من الله تعالى هذا المعنى وأن الله تعالى لا محالة يمده بالقوة ليقوم بحق العبادة والخدمة مادام له أجل وتكليف بالعبادة وهذا هو المقصود والله سبحانه قادر على مايشاء ان شاء أن يقيم بنية عبده بطعام وشراب أو بطين وتراب أو بتسبيح وتهليل كالملائكة وان شاء بغير هذا كله فليس مطلوب العبد الا القوام والقوة للعبادة ليس الاكل والشرب وشدة الشهوة ونيل اللذة فلا اعتبار اذن بالاسباب ولهذا المعنى قويت العباد والزهاد على الاسفار وطي الليالي والايام فمنهم من لم يأكل عشرة أيام ومنهم من لم يأكل شهرا أو شهرين وهو على قوته ومنهم من كان يستف الرمل فيجعله الله تعالى له غذاء نحو ما ذكر عن سفيان الثوري رحمه الله أنه نفدت نفقته بمكة فمكث خمسة عشر يوما يستف الرمل وقال أبو معاوية الاسود رأيت ابراهيم بن أدهم يأكل الطين عشرين يوما وعن الاعمش قال قال لي ابراهيم التيمي رحمه الله تعالى ما أكلت منذ شهر قلت منذ شهر قال ولا شهرين الا أن انسانا ناشدني الله على عنقود من عنب فأكلته فانا أشتكي بطني * قلت أنا ولا تعجبن من ذلك فان لله تعالى القدرة على مايشاء مثل هذا المريض تراه لا يأكل شهرا وهو حي يعيش والمريض على كل حال أضعف نفسا وأرق طبعا من القوي * وأما الذي يموت جوعا فذلك أجل حضره كالذي يموت شبعا وتخمة ولقد بلغني عن أبي سعيد الخراز رحمه الله أنه قال كان حالي مع الله سبحانه أن يطعمني في كل ثلاثة أيام فدخلت البادية فمضت علي ثلاثة أيام ما طعمت فلما كان في اليوم الرابع وجدت ضعفا فجلست مكاني فاذا بهاتف يقول يا أبا سعيد أيما أحب اليك سبب أو قوى فقلت لا الا القوى فقمت من وقتي وقد استقللت فلقت اثني عشر يوما ما طعمت ولا وجدت ألما لذلك * فاما اذا رأى العبد احتباس الاسباب عنه وعلم من نفسه التوكل على الله فليستيقن أن يمده الله تعالى بالقوة فلا يضجرن لذلك بل حقه أن يشكر الله تعالى على ذلك شكرا كثيرا فان له المنة والصنع اللطيف اذ رفع عنه المؤنة وأعطاه المعونة وحصل له الاصل والمقصود ودفع عنه الثقل والواسطة وخرق له علائق العادة وأراه طريق القدرة وشبه حاله بحال الملائكة ورفعه عن حالة البهائم والعامة في تلك الكرامة فتأمل هذا الاصل الكبير تغنم الربح الكثير العظيم ان شاء الله تعالى * قلت أيضا ولعلك تقول انك أطنبت في هذا الفصل خلاف شرط الكتاب * فأقول لعمر الله انه لقليل في جنب ما يحتاج اليه في هذا المعنى اذ هو أهم شأنا في العبادة بل عليه مدار أمر الدنيا والعبودية فمن له همة في هذا الشأن فليستمسك بذلك وليرعه حقه والا فهو عن المقصود بمعزل والذي يدلك على بصيرة علماء الآخرة العارفين بالله أنهم بنوا أمرهم على التوكل على الله والتفرغ لعبادة الله وقطع العلائق كلها فكم صنفوا من كتاب وكم أوصوا بوصية وقيض الله لهم أعوانا من السادة وأصحابا حتى تمشى لهم من الخير المحض مالم يتمش لطائفة من طوائف الأئمة الازهاد الكرامية فانهم بنوا مذهبهم على أصول غير مستقيمة ومازلنا أعزة ما دمنا على منهاج أئمتنا نخرج من معابدنا ومدارسنا كل حين اماما في العلم كالاستاذ أبي اسحق وأبي حامد وأبي الطيب وابن فورك وشيخنا الامام وأمثالهم من السادة

دين ولا دنيا فاعلم أن جهلك بعيوب نفسك أقبح أنواع الحماقة ولا عيب أعظم من الحمق ولو أراد الله بك خيرا لبصرك بعيوب نفسك فرؤيتك نفسك بعين الرضا غاية غباوتك وجهلك ثم ان كنت صادقا في ظنك فاشكر الله تعالى عليه ولا تفسده بسبب الناس والتمضمض في اعراضهم فان ذلك من أعظم العيوب (الرابع) المراء والجدال ومناقشة الناس في الكلام فذلك فيه ايذاء للمخاطب وتجهيل له وطعن فيه وفيه ثناء على النفس وتزكية لها بمزيد الفطنة والعلم ثم هو مشوش للعيش فانك لا تماري سفيها الا ويؤذيك ولا تماري حليما الا ويقليك ويحقد عليك وقد قال صلى الله عليه وسلم من ترك المراء وهو مبطل بنى الله له بيتا في ربض الجنة ومن ترك المراء وهو محق بنى الله له بيتا في أعلى الجنة ولا ينبغي أن يخدعك الشيطان ويقول لك أظهر الحق ولا تداهن فيه فان الشيطان أبدا يستجر الحق الى الشر في معرض الخير فلا تكن ضحكة الشيطان يسخر بك فاظهار الحق حسن مع من يقبله منك وذلك بطريق النصيحة في الخفية

واماصديق فى العبادة كابى اسحق الشيرازى وأبى سعيد الصوفى ونصر المقدسى وغيرهم ممن فاق الامة علما وزهدا حتى ضعفت القلوب من بعضنا وتلطخنا بشئ من العلائق التى ضررها أكثر من نفعها فتراجعت الامور وتقاعدت الهمم وطارت البركات وزالت اللذات والحلاوات فلا يكاد يصنو لاحد عبادته أو يحصل له علم وحقيقة وان اللمعة التى تظهر منا الآن ليست الا ممن بقى على منهاج أسلافنا وشوخنا المتقدمين كالحرث المحاسى ومحمد بن ادريس الشافعى والمزنى وحرملة وغيرهم من أئمة الدين رحمهم الله أجمعين فهم كما قال القائل

وما صحبوا الايام الا تعففا * وما وجدوا من حب سيدهم بدا
أفاضل صديقون أهل ولاية * الى سيد السادات قد جعلوا القصدا
تحلل عقد الصبر من كل صابر * وما حلت الايام من عقدهم عقدا

وكنا فى الصدر الاول ملوكا فصرنا سوقة وكنا فرسانا فصرنا رجالة وليتنا لا ننقطع عن الطريق بمرة والله المستعان على المصائب وهو المسؤل أن لا يسلبنا هذا الرمق انه جواد كريم منان رحيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ﴿وأما التفويض﴾ فتأمل فيه أصلين احدهما أنك تعلم أن الاختيار لا يصلح الا لمن كان عالما بالامور بجميع جهاتها وظاهرها وباطنها وحالها وعاقبتها والا فلا يأمن أن يختار الفساد والهلاك على ما فيه الخير والصلاح ألا ترى أنك لو قلت لبدوى أو قروى أو راعى غنم انقد لى هذه الدراهم وميزلى بين جيدها ورديئها فانه لا يهتدى لذلك ولو قلت لسوقى غير صيرفى فربما يعسر أيضا فلا تأمن اذن الا بان تعرضها على الصيرفى الخبير بالذهب والفضة وما فيهما من الخواص والاسرار وهذا العلم المحيط بالامور من جميع الوجوه لا يصلح الا الله رب العالمين فلا يستحق اذن أحد أن يكون له الاختيار والتدبير الا الله وحده لا شريك له ولذلك يقول عز من قائل وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة ثم قال تعالى وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون * وحكى أن بعض الصالحين قيل له من قبل الله تعالى سل تعط وكان موفقا فقال ان عالما بجميع الوجوه يقول لجاهل من جميع الوجوه سل تعط أيش أعلم ماذا يصلح لى فاسأله ولكن اختر أنت لى فهذه هذه * والاصل الثانى ما تقول لو أن رجلا قال لك أنا أقوم بجميع أمورك وأدبر جميع ما تحتاج اليه من مصالحك ففوض الامر كله الى واشتغل أنت بشأنك الذى يعنيك وهو عندك أعلم أهل زمانك وأحكمهم وأقواهم وأرحمهم وأتقاهم وأصدقهم وأوفاهم ألست تغتنم ذلك وتعده أعظم نعمة وتمتن منه أكبر منة وتقدم له أوفر شكر وأجل ثناء ثم اذا اختار لك شيأ لا تعرف وجه الصلاح فيه فلا تضجر لذلك بل تثق وتطمئن الى تدبيره وتعلم أنه لا يختار لك الا ما هو الخير وما ينظر لك الا الصلاح كيفما كان الامر بعد ما وكلت الامر اليه وضمن ذلك فمالك اذن لا تفوض الامر الى الله رب العالمين سبحانه فهو الذى يدبر الامر كله من السماء الى الارض فهو أعلم كل عالم وأقدر كل قادر وأرحم كل راحم وأغنى كل غنى ليختار لك بلطيف علمه وحسن تدبيره ما لا يبلغه علمك ولا يدركه فهمك واشتغل أنت بشأنك الذى يعنيك فى عاقبتك واذا اختار لك أمرا لا تعلم وجه سره رضيت بذلك واطمأننت اليه كيفما كان فهو الصلاح والخير فتأمل راشدا ان شاء الله وبالله التوفيق * وأما الرضا بالقضاء فتأمل فيه أصلين مقنعين لا مزيد عليهما أحدهما ما فى الرضا من الفائدة فى الحال والمآل * أما الفائدة فى الحال ففراغ القلب وقلة الهم من غير فائدة ولذلك قال بعض الزهاد رحمه الله اذا كان القدر حقا فالهم فضل وأصله الخبر المأثور عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لابن مسعود رضى الله عنه ليقل همك وما قدر يكن وما لم يقدر لم يأتك هذا هو الكلام الجامع النبوى البالغ فى قلة لفظه وكثرة فائدة معناه وأما الفائدة فى المآل فثواب الله تعالى ورضوانه قال الله تعالى رضى الله عنهم ورضوا عنه وما فى

لابطال طريق المماراة والنصيحة صيغة وهيئة ويحتاج فيها الى تلطف والا صارت فضيحة وصار فسادها أكثر من صلاحها * ومن خالط متفقهة العصر غلب على طبعه المراء والجدال وعسر عليه الصمت اذ ألقى عليه علماء السوء أن ذلك هو الفضل والقدرة على المحاجة والمناقشة هو الذى يتمدح به ففر منهم فرارك من الاسد * واعلم ان المراء سبب المقت عند الله وعند الخلق * الخامس تزكية النفس قال الله تعالى فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى * وقيل لبعض الحكماء ما الصدق القبيح فقال ثناء المرء على نفسه فاياك أن تتعود ذلك واعلم أن ذلك ينقص من قدرك عند الناس ويوجب مقتك عند الله فاذا أردت أن تعرف أن ثناءك على نفسك لا يزيد فى قدرك عند غيرك فانظر الى أقرانك اذا أثنوا على أنفسهم بالفضل والجاه والمال وكيف يستنكره قلبك عليهم ويستثقله طبعك وكيف تذمهم عليه اذا فارقتهم فاعلم أنهم أيضا فى حال تزكيتك لنفسك يذمونك فى قلوبهم ناجزا وسيظهرونه بالسنتهم اذا فارقتهم * السادس اللعن فاياك

السخط من الهم والحزن والضجر فى الحال والوزر والعقوبة فى المآل بلا فائدة اذ القضاء نافذ فلا ينصرف بهمك وسخطك كما قيل

ماقد قضى يانفس فاصطبرى له * ولك الامان من الذى لم يقدر
وتحقق أن المقدر كائن * حتم عليك صبرت أم لم تصبرى

* والعاقل لايختار الهم بلا فائدة مع الوزر والعقوبة على راحة القلب وثواب الجنة * والاصل الثانى مافى السخط من عظم الخطر والضرر والكفر والنفاق الا أن يتداركه الله تعالى وتأمل قوله تعالى فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما فنفى الايمان وأقسم على فقد الايمان عمن سخط ووجد فى نفسه حرجا من قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف حال من سخط قضاءه تعالى وقدره وبنا أن الله تعالى يقول من لم يرض بقضائى ولم يصبر على بلائى ولم يشكر على نعمائى فليتخذ الها سوائى قيل كانه يقول هذا لايرضانى ربا حين يسخط فليتخذ ربا آخر يرضاه وهذا غاية الوعيد والتهديد لمن عقل ولقد صدق بعض السلف اذ قيل له ماالعبودية وماالربوبية فقال الرب أن يقضى وللعبد أن يرضى فاذا قضى الرب ولم يرض العبد فما هناك عبودية ولاربوبية فتأمل هذا الاصل وانظر لنفسك لعلك تسلم بعون الله وتوفيقه * وأما الصبر فانه دواء مر وشربة كريهة مباركة تجلب كل منفعة وتدفع عنك كل مضرة فاذا كان الدواء بهذه الصفة فالانسان العاقل يكره النفس على شربه ويتجرعه ويغص على مرارته وحدته ويقول مرارة ساعة وراحة سنة * وأما المنافع التى يجلبها الصبر فاعلم أن الصبر أربعة أقسام صبر على الطاعة وصبر عن المعصية وصبر عن فضول الدنيا وصبر على المحن والمصائب فاذا احتمل مرارة الصبر وصبر فى هذه المواطن الاربعة تحصل له الطاعات ومنازلها من الاستقامة وثوابها الجزيل فى العاقبة ثم لايقع فى المعاصى وبلياتها فى الدنيا وتبعاتها فى الآخرة ثم لايبتلى بطلب الدنيا ومالها من الشغل فى الحال والتبعة فى المآل ثم لايحبط أجره على ماابتلى به وذهب عنه فحصل اذن بسبب الصبر الطاعة ومنازلها الشريفة وثوابها والتقوى والزهد والعوض والثواب الجزيل من الله سبحانه وتفصيل ذلك أمر لايعلمه الا الله عزوجل * وأما دفع المضار فيريحه أولا من مؤنة الجزع ومقاساته فى الدنيا ثم وزره وعقوبته فى العقبى * وأما ان هو ضعف عن الصبر وسلك طريق الجزع فاته كل منفعة ولحقه كل مضرة اذ لايصبر على مشقة الطاعة فلا يفعل الطاعة ولايصبر على حفظها فيحبطها أو لايصبر على المواظبة عليها فلا يصل الى منزلة شريفة فيهما من درجات الاستقامة أو لايصبر عن معصية فيقع فيها أو عن فضول فيشتغل بها أو لايصبر على مصيبة فيحرم ثواب الصبور بما يكثر الجزع حتى يفوت العوض بسبب ذلك فتكون له مصيبتان احداهما فوت الشئ والاخرى فوت الاجر والعوض وحلول المكروه بحرمان الصبر ولقد قيل حرمان الصبر على المصيبة أشد من المصيبة فاى فائدة فى شئ يذهب بالحاصل الموجود ولايرد عليك الذاهب المفقود فليجتهد اذا فاتك أحدهما أن لايفوتك الآخر * ومن الكلام الجامع ماذكر أن عليا رضى الله عنه عزى رجلا فقال ان صبرت جرت عليك المقادير وأنت ماجور وان جزعت جرت عليك المقادير وأنت مأزور * ثم أقول لجملة الامر أن قطع القلب عن العلائق المالوفة ومنع النفس عن العادات الراسخة بالتوكل المحض على الله جل اسمه وترك التدبير فى الامور وتفويضها الى الله سبحانه من غير علم بما هو السر فيها وكبح النفس عن السخط والجزع مع تسارع النفس اليه واكراهها على لجام الرضا وتجرع شربة الصبر مع نفرتها عن ذلك الأمر مر وعلاج شديد وحمل ثقيل ولكنه تدبير سديد وطريق مستقيم وله عاقبة محمودة وأحوال سعيدة مسعودة وماتقول فى الوالد الشفق الغنى اذا منع ولده العزيز رطبة

أن تلعن شيأ مما خلق الله تعالى من حيوان أو طعام أو انسان بعينه ولا تقطع بشهادتك على أحد من أهل القبلة بشرك أو كفر أو نفاق فان المطلع على السرائر هو الله تعالى فلا تدخل بين العباد وبين الله تعالى واعلم أنك يوم القيامة لايقال لك لم لم تلعن فلانا ولم سكت عنه بل لولم تلعن ابليس طول عمرك ولم تشغل لسانك بذكره لم تسئل عنه ولم تطالب به يوم القيامة واذا لعنت أحدا من خلق الله تعالى طولبت ولاتذمن شيأ مما خلق الله تعالى فقد كان النبى صلى الله عليه وسلم لايذم الطعام الردىء قط بل كان اذا اشتهى شيأ أكله والاتركه

(السابع) الدعاء على الخلق احفظ لسانك عن الدعاء على أحد من خلق الله تعالى وان ظلمك فكل أمره الى الله تعالى فى الحديث ان المظلوم ليدعو على ظالمه حتى يكافئه ثم يكون للظالم فضل عنده يطالبه به يوم القيامة وطول بعض الناس لسانه على الحجاج فقال بعض السلف ان الله لينتقم للحجاج ممن يتعرض له بلسانه كما ينتقم من الحجاج لمن ظلمه

* الثامن المزاح والسخرية والاستهزاء بالناس فاحفظ

لو

أو تفاحة يأكلها وهو أرمد وسلمه الى المعلم الغليظ السائس ويحبسه طول النهار عنده ويضجره ويحمله الى الحجام ليحجمه فيوجعه ويقلقه أترى أنه منع ذلك من بخل فيه فكيف وهو يعطى الاجانب ويوسع عليهم أو هوان لهذا الولد عنده كيف وهو يكنزله جميع ما في يديه أو قصد بذلك اتعابه وايذاءه لبغض له كيف وهو قرة عينه وثمرة فؤاده ولو هبت عليه ريح لعز عليه ذلك كلا ولكن لما علم أن صلاحه في ذلك وان بهذا التعب القليل يصل الى خير كثير ونفع عظيم * وما تقول في الطبيب الحاذق الناصح المحب اذا منع المريض الدنف شربة ماء وهو ظمآن يتقلى كبده وسقاه شربة اهليلج كريهة تحزع عن ذلك نفسه وطبعه أترى ان ذلك منه معاداة وايذاء كلا بل هو نصح واحسان لما علم يقينا أن في اعطائه شهوته ساعة هلاكه وعطبه وأسارفي منع ذلك شفاءه وبقاءه فتأمل أيها الرجل اذا حبس الله عنك رغيفا أو درهما فتعلم يقينا أنه يملك ما تريد ويقدر على ايصاله اليك وله الجود والفضل ويعلم حالك فلا يخفى عليه شئ فلا عدم ولا عجز ولا خفاء ولا بخل تعالى عن ذلك وتقدس فانه أغنى الاغنياء وأقدر القادرين وأعلم العلماء وأجود الاجودين فتعلم اذن بالحقيقة انه لم يمنعك الا لصلاح واختيار كيف وهو الذى يقول خلق لكم ما في الارض جميعا كيف وهو الذى جاد عليك بمعرفته وهي التى تتلاشى في جنبها الدنيا بأمرها وفي الخبر المشهور لن الله تعالى يقول انى لاذود أوليائى عن نعيم الدنيا كما يذود الراعى الشفيق إبله عن مبارك العرة واذا ابتلاك بشدة فاعلم يقينا أنه غنى عن امتحانك وابتلائك عالم بحالك بصير بضعفك وهو بك رؤف رحيم أما تسمع قوله صلى الله عليه وسلم لله تعالى أرحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها فاذا علمت هذا علمت أنه لم ينزل بك هذا المكروه الا لصلاح لكن جهلته أنت وهو عليم بذلك ولهذا المعنى تراه يكثر ابتلاء أوليائه وأصفيائه الذين هم أعز عباده حتى يقول صلى الله عليه وسلم اذا أحب الله قوما ابتلاهم ويقول النبي ان أشد الناس بلاء الانبياء ثم الشهداء ثم الامثل فالامثل فاذا رأيت الله يحبس عنك الدنيا أو يكثر عليك الشدائد والبلوى فاعلم أنك عنده عزيز وأنك عنده بمكان على وأنه يسلك بك طريق أوليائه فانه يراك ولا يحتاج الى ذلك أما تسمع قوله تعالى واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا بل اعرف منته عليك فيما يحفظه عليك من صلاحك ويكثر من أجرك وثوابك وينزلك منازل الابرار والاعزة عنده فكم ترى من عواقب حميدة ومواهب كريمة والله ولى التوفيق بمنه وفضله

﴿فصل﴾ وبالجملة اذا علمت يقينا ان الله تعالى هو الملىء بضمان رزقك الذى لا بد لك منه في بقائك وقيامك بعبادته وأنه القادر على ما يشاء كيف شاء وهو البصير بحاجتك حالا فحالا ساعة فساعة اتكلت على ضمانه الحق ووعده الصدق وسكن قلبك بذلك وانصرفت عن ذكر العلائق والاسباب وتعلق قلبك بهاذ العلائق لا تغنيك ولا تكفيك دون الله عز وجل فانه تعالى ييسرا كلها وشربها ثم هو الذى يمرئها ويهنئها ثم هو الذى يلحقك قوتها ونفعها ويدفع عنك ثقلها وضرها وهو تعالى يغنيك ويكفيك دونها اذا شاء فالامر كله اليه وحده لا شريك له فتوكل عليه لا غير وكذلك تترك التدبير في أمورك الى من يدبر السماء والارض وتريح نفسك عن شئ لا يبلغه علمك وفكرك من أمر غد ونظرك في أمر يكون غدا أو لا يكون وأنه كيف يكون وتكف عن لعل ولو اذ ليس فيه الا شغل القلب وتضييع الوقت ولعله تكون أمور لم تخطر ببالك فيكون ما سبق في فكرك وتدبيرك وتضييعك الوقت العزيز فيه لغوا بلا فائدة بل خسرانا تندم عليه وتغبن فيه لمكان شغل القلب فيه وتضييع العمر في ذلك وفي هذا المعنى لبعض الزهاد رضى الله عنه

سبقت مقادير الاله وحكمه * فأرح فؤادك من لعل ومن لو

وقال آخر

سيكون ما هو كائن في وقته * وأخو الجهالة متعب محزون

لسانك منه في الجد والهزل فانه يريق ماء الوجه ويسقط المهابة ويستجر الوحشة ويؤذى القلوب وهو مبدأ اللجاج والغضب والتصارم ويغرس الحقد في القلوب فلا تمازح أحدا وان مازحوك فلا تجبهم وأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وكن من الذين اذا مروا باللغو مروا كراما فهذه في مجامع آفات اللسان ولا يعينك عليه الا العزلة وملازمة الصمت الا بقدر الضرورة فقد كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يضع حجرا في فيه ليمنعه ذلك من الكلام بغير ضرورة ويشير الى لسانه ويقول هذا الذى أوردنى الموارد كلها فاحترز منه فانه أقوى أسباب هلاكك في الدنيا والآخرة * وأما البطن فاحفظه من تناول الحرام والشبهة واحرص على طلب الحلال فاذا وجدته فاحرص على أن تقتصر منه على ما دون الشبع فان الشبع يقسى القلب ويفسد الذهن ويبطل الحفظ ويثقل الاعضاء عن العبادة والعلم ويقوى الشهوات وينصر جنود الشيطان والشبع من الحلال مبدأ كل شر فكيف من الحرام وطلب الحلال

فلعل ماتخشاه ليس بكائن * ولعل ماترجوه ليس يكون

وتقول لنفسك فى الجملة يانفس لن يصيبنا الاما كتب الله لنا هو مولانا وهو حسبنا ونعم الوكيل اذ هو قدير لانهاية لقدرته حكيم لانهاية لحكمته رحيم لانهاية لرحمته ومن كان بهذه الصفات حقيق أن يتوكل عليه ويفوض الامر كله اليه فعليك بالتفويض وكذلك توطن قلبك على أن ماقضى الله ويقضى لك فهو الاوفق والاصلح وان كان ذلك لايبلغ علمنا كيفيته وسره وتقول يانفس المقدور كائن لامحالة فلا فائدة فى السخط والخير فيما يصنع الله فلا وجه للسخط ألست تقولين رضيت بالله ربا فكيف لاترضين بقضائه والقضاء من شأن الربوبية وحقها فعليك بالرضا وكذلك اذا أصابتك مصيبة وحل بك مكروه فتراعى نفسك عند ذلك وتضبط قلبك حتى لاتجزع ولا تظهر منك شكاية وقلق لاسيما عند الصدمة الاولى فان الشأن هنالك والنفس متسارعة جدا الى عادة الجزع عند ذلك وتقول يانفس هذه قد وقعت فلا حيلة لدفعها وقد دفع الله تعالى ماهو أكبر منها فان أنواع البلاء فى خزائنه لكثيرة وان هذه ستنقضى فلا تبق وانها سحابة ستنقشع فتجلدى يانفس قليلا تجدى لذلك سرورا طويلا وثوابا جزيلا بعد أن لادفع للنازل ولا فائدة فى الجزع ولا مصيبة فى الحقيقة مع العزاء والصبر فتشغل لسانك بالاسترجاع وقلبك بذكر مايحصل لك عند الله تعالى من الاجر وتتذكر صبر أولى العزم على المصائب العظام من الانبياء والاولياء الأعزة على الله تعالى واذا حبس عنك الدنيا فى وقت فتقول يانفس هو أعلم بالحال وأرحم بك وأكرم وأنه الذى يطعم الكلب فى خسته ويطعم الكافر فى عداوته وأنا عبده العارف الموحد ألا أساوى عنده رغيفا هذا المحال أيضا فاعلمى بالحقيقة أنه لم يحبس ذلك عنك الالنفع عظيم وسيجعل الله بعد عسر يسرا فاصبرى قليلا ترى العجب من لطيف صنعه أماسمعت قول القائل

توقع صنع ربك سوف يأتى * بما تهواه من فرج قريب
ولا تيأس اذا مانابخطب * فكم فى الغيب من عجب عجيب

(وقول الآخر مثله)

ألا ياأيها المرء * الذى الهم به برح * اذا اشتدت بك العسرى * ففكر فى ألم نشرح
فعسر بين يسرين * اذا كرته فافرح

فاذا أجريت هذه الاذكار ونحوها وواظبت عليها بالتكرير والتمرين فان ذلك سيهون عليك اذا كانت لك همة واجتهاد زمانا غير طويل * ولقد دفعت هذه العوارض الاربعة عن نفسك وكفيت مؤنتها وصرت عند الله تعالى من المتوكلين المفوضين الراضين بقضائه الصابرين على بلائه وحصلت لنفسك راحة القلب والبدن فى الدنيا وعظيم الثواب والذخر فى العقبى وجليل القدر والمحبة عند رب العالمين فيجتمع لك خير الدارين وتستقيم لك طريق العبادة اذلا عائق ولاشاغل وكنت حينئذ قد قطعت هذه العقبة العسرة والله تعالى المسئول أن يمدك وايانا بحسن توفيقه فان الامر كله بيده وهو أرحم الراحمين ولاحول ولاقوة الابالله العلى العظيم

(الباب الخامس فى العقبة الخامسة وهى عقبة البواعث)

ثم عليك ياأخى بالسير اذا استقام لك الطريق وسهلت السبيل وارتفعت العوائق وزالت العوارض ولايحصل لك السير المستقيم الا باستشعار الخوف والرجاء والتزامهما حقهما على حدهما أما الخوف فانما يجب التزامه لامرين أحدهما الزجر عن المعاصى فان هذه النفس الامارة بالسوء ميالة الى الشر طماحة الى الفتنة فلا تنتهى عن ذلك الا بتخويف عظيم وتهديد بالغ وليس هى فى طبعها حرة يمنعها الوفاء ويمنعها الحياء عن الجفاء انماهى كما قال القائل

يجة على كل مسلم والعبادة والعلم مع أكل الحرام كالبناء على السرجين فاذا قنعت فى السنة بقميص خشن وفى اليوم والليل برغيفين من الخشكار وتركت التلذذ باطيب الأدم لم يعوزك من الحلال مايكفيك والحلال كثير وليس عليك أن تتيقن بواطن الامور بل عليك أن تحترز عما تعلم أنه حرام أوتظن أنه حرام ظنا حصل من علامة ناجزة مقترنة بالمال أما المعلوم فظاهر وأما المظنون بعلامة فهو مال السلطان وعماله ومال من لا كسب له الامن النياحة أو بيع الخمر أو الربا أو المزامير وغير ذلك من آلات اللهو الحرام حتى من علمت أن أكثر ماله حرام قطعا فما تأخذه من يده وان أمكن أن يكون حلالا نادرا فهو حرام لانه الغالب على الظن ومن الحرام المحض مايؤكل من الاوقاف من غير شرط الواقف فمن لم يشتغل بالتفقه فما يأخذه من المدارس حرام ومن ارتكب معصية ترد بها شهادته فما يأخذه باسم الصوفية من وقف أوغيره حرام وقد ذكرنا مداخل الشبهات والحلال والحرام

العبد يقرع بالعصا * والحر تكفيه الملامه

والتدبير فى أمرها أن تقرعها أبدا بسوط التخويف قولا وفعلا وفكرا نحو ما ذكر عن بعض الصالحين أن نفسه دعته الى معصية فانطلق ونزع ثيابه وجعل يتمرغ فى الرمضاء ويقول لنفسه ذوقى فنار جهنم أشد حرا من هذه أى جيفة بالليل بطالة بالنهار والثانى لا يعجب بالطاعات فيهلك بل يقمعها بالذم والعيب والنقص بما فيها من الاسواء والاوزار التى فيها ضروب الاخطار ونحو ذلك وذلك نحو ما ذكر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لو أنى وعيسى أوخذنا بما اكتسبت هاتان لعذبنا عذابا لم يعذبه أحد من العالمين وأشار باصبعيه وعن الحسن أنه كان يقول ما يأمن أحدنا أن يكون قد أصاب ذنبا فاطبق باب المغفرة دونه فهو يعمل فى غير معمل * وعن ابن المبارك فيما يعاتب نفسه تقولين قول الزاهدين وتعملين عمل المنافقين وفى الجنة تطمعين هيهات هيهات ان للجنة قوما آخرين ولهم أعمال غير ما تعملين فهذه وأمثالها مما يلزم العبد تذكيرها للنفس وتكريرها عليها لئلا تعجب بطاعة أو تقع فى معصية وبالله التوفيق * وأما الرجاء فانما يلزمك استشعاره لامرين أحدهما البعث على الطاعات وذلك أن الخير ثقيل والشيطان عنه زاجر والهوى الى ضده داع وحال أهل الغفلة من عامة الخلق فى النفس منطبع مشاهد والثواب الذى يطلب بالطاعات عن العين غائب وأمد الوصول اليه فيما يحسبه بعيد واذا كان الحال على هذه الحالة فلا تنبعث النفس للخير ولا ترغب فيه حقه ولا تهتز له الا بأمر يقابل كل هذه الموانع ويساويها بل يزيد عليها وذلك الامر هو الرجاء القوى فى رحمة الله والترغيب البالغ فى حسن ثوابه وكريم أجره ولقد قال شيخنا رحمه الله الحزن يمنع عن الطعام والخوف يمنع من الذنوب والرجاء يقوى على الطاعات وذكر الموت يزهد فى الفضول والثانى ليهون عليك احتمال الشدائد والمشقات * واعلم أن من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل ومن طاب له شئ ورغب فيه حق رغبته احتمل شدته ولم يبال بما يأتى من مؤنته ومن أحب أحدا حق محبته أحب أيضا احتمال محنته حتى انه ليجد بتلك المحنة ضروبا من اللذة ألا ترى مشتار العسل لا يبالى بلسع النحل لما يتذكر من حلاوة العسل والاجير لا يعبأ بارتقاء السلم الطويل مع الحمل الثقيل طول النهار الصائف المديد لما يتذكر من أخذ درهمين بالعشى وان الفلاح لا يتفكر بمقاسات الحر والبرد ومباشرة الشقاء والكد طول السنة لما يتذكر من البيدر أوان الغلة وكذلك يا أخى العباد الذين هم أهل الاجتهاد اذا ذكروا الجنة فى طيب مقيلها وأنواع نعيمها من حورها وقصورها وطعامها وشرابها وحليها وحللها وسائر ما أعد الله تعالى لاهلها هان عليهم ما احتملوه من تعب فى عبادة أو ما فاتهم فى الدنيا من لذة ونعمة أو نالهم من ضرر وقلة أو نقمة أو مشقة لاجلها * ولقد حكى أن أصحاب سفيان الثورى رحمه الله تعالى كلموه فيما كانوا يرون من خوفه واجتهاده ورثاثة حاله فقالوا يا أستاذ لو نقصت من هذا الجهد نلت مرادك أيضا ان شاء الله تعالى فقال سفيان كيف لا أجتهد وقد بلغنى ان أهل الجنة يكونون فى منازلهم فيتجلى لهم نور تضىء له الجنان الثمانية فيظنون ان ذلك نور من قبل الرب سبحانه فيخرون ساجدين فينادون أن ارفعوا رؤسكم ليس الذى تظنون انما هو نور جارية تبسمت فى وجه زوجها ثم أنشأ يقول

ما ضر من كانت الفردوس مسكنه * ماذا تحمل من بؤس واقتار
تراه يمشى كئيبا خائفا وجلا * الى المساجد يمشى بين اطمار
يا نفس مالك من صبر على لهب * قد حان أن تقبلى من بعد ادبار

* قلت أنا فاذا كان مدار أمر العبودية على الامرين القيام بالطاعة والانتهاء عن المعصية وذلك لا يتم مع هذه النفس الامارة بالسوء الا بترغيب وترهيب وترجية وتخويف فان الدابة الحرون تحتاج الى قائد يقودها والى سائق يسوقها واذا وقعت فى مهواة فربما تضرب بالسوط من جانب ويلوح لها الشعير من

فى كتاب مفرد من كتب احياء علوم الدين فعليك بطلبه فان معرفة الحلال وطلبه فريضة على كل مسلم كالصلوات الخمس (وأما الفرج) فاحفظه عن كل ما حرم الله تعالى وكن كما قال الله تعالى والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين ولا تصل الى حفظ الفرج الا بحفظ العين عن النظر وحفظ القلب عن الفكر وحفظ البطن عن الشبهة وعن الشبع فان هذه محركات للشهوة ومغارسها (وأما اليدان) فاحفظهما عن ان تضرب بهما مسلما أو تتناول بهما مالا حراما أو تؤذى بهما أحدا من الخلق أو تخون بهما فى أمانة أو وديعة أو تكتب بهما ما لا يجوز النطق به فان القلم أحد اللسانين فاحفظ القلم عما يجب حفظ اللسان عنه (وأما الرجلان) فاحفظهما عن أن تمشى بهما الى حرام أو تسعى بهما الى باب سلطان ظالم فالمشى الى السلاطين الظلمة من غير ضرورة ولا رهاق معصية كبيرة فانه تواضع لهم واكرام لهم على ظلمهم وقد أمر الله تعالى بالاعراض عنهم فى قوله تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار الآية

جانب آخر حتى تنهض وتتخلص مما وقعت فيه وان الصبي العرم لا يمر الى الكتاب الا بترجية من الوالدين وتخويف من المعلم فكذلك هذه النفس دابة حرون وقعت في مهواة الدنيا فالخوف سوطها وسائقها والرجاء شعيرها وقائدها وأنها الصبي العرم يحمل الى كتاب العبادة والتقوى فذكر النار والعقاب تخويفه وذكر الجنة وثوابها ترجيته وترغيبه فكذلك يلزم العبد الطالب للعبادة والرياضة أن يشعر النفس بالامرين اللذين هما الخوف والرجاء والا فلا تساعد النفس الجموح على ذلك وبهذا المعنى ورد الذكر الحكيم بمجموع الامرين الوعد والوعيد والترغيب والتهديد وبالغ في كل واحد منهما فذكر من الثواب الكريم ما لا صبر عنه وذكر من العقاب الاليم ما لا صبر عليه فعليك اذا بالتزام هذين المعنيين يحصل لك مرادك من العبادة ويسهل عليك احتمال المشقة والله تعالى ولي التوفيق بفضله ورحمته * فان قلت فما حقيقة الرجاء والخوف وحكمهما فاعلم ان الخوف والرجاء عند علمائنا رحمهم الله تعالى يرجعان الى قبيل الخواطر وانما المقدور للعبد مقدماتهما قالوا فالخوف رعدة تحدث في القلب عن ظن مكروه يناله والخشية نحوه لكن الخشية تقتضي ضربا من الاستعظام والمهابة وضد الخوف الجراءة ولكن قد يقابل بالأمن يقال خائف وآمن وخوف وأمن لان الآمن الذي يجترئ على الله سبحانه والحقيقة أن الجراءة تضاده ومقدمات الخوف أربع الاول ذكر الذنوب الكثيرة التي سبقت وكثرة الخصوم الذين مضوا الى الظالم وأنت مرتهن لم يتبين لك الخلاص بعد والثانية ذكر شدة عقوبة الله سبحانه التي لا طاقة لك بها والثالثة ذكر ضعف نفسك عن احتمال العقوبة والرابعة ذكر قدرة الله تعالى عليك متى شاء وكيف شاء * وأما الرجاء فهو ابتهاج القلب بمعرفة فضل الله سبحانه واسترواحه الى سعة رحمة الله تعالى ومنهم من جعله من جملة الخواطر غير مقدور للعبد ورجاء هو مقدور للعبد وهو تذكر فضل الله وسعة رحمته وقد سمي أيضا ارادة المخاطرة بالاستثناء رجاء والمراد من هذا الباب هو الاول وهو التذكر على حسب الابتهاج والاسترواح وضده اليأس وهو تذكر فوات رحمة الله وفضله وقطع القلب عن ذلك وهو معصية محضة وهذا الرجاء فرض اذ لم يكن للعبد سبيل الى الامتناع عن اليأس الا به والا فهو نفل بعد اعتقاد الجملة في فضل الله وسعة رحمته ومقدمات الرجاء أربع الاولى ذكر سوابق فضله اليك من غير قدم أو شفيع والثانية ذكر ما وعد الله من جزيل ثوابه وعظيم كرامته على حسب فضله وكرمه دون استحقاقك اياه بالفعل اذ لو كان على حسب الفعل لكان أقل شيء وأصغر أمر والثالثة ذكر كثرة نعمة الله عليك في أمر دينك ودنياك في الحال من أنواع الامداد والالطاف من غير استحقاق أو سؤال والرابعة ذكر سعة رحمة الله تعالى وسبقها غضبه وأنه الرحمن الرحيم الغني الكريم الرؤف بعباده المؤمنين فاذا واظبت على هذين النوعين من الاذكار أفضى بك الى استشعار الخوف والرجاء بكل حال والله تعالى ولي التوفيق بمنه وفضله

﴿فصل﴾ فعليك أيها الرجل بقطع هذه العقبة في تمام الاحتياط والتحرز وحد الرعاية فانها عقبة دقيقة المسلك خطرة الطريق وذلك أن طريقها بين طريقين مخوفين مهلكين أحدهما طريق الامن والثاني طريق اليأس وطريق الرجاء والخوف هو الطريق العدل بين الطريقين الجائرين فان غلب الرجاء عليك حتى فقدت الخوف ألبتة وقعت في طريق الامن ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون وان غلب عليك الخوف حتى فقدت الرجاء ألبتة وقعت في طريق اليأس ولا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون فان كنت ركبت بين الخوف والرجاء واعتصمت بهما جميعا فهو الطريق العدل المستقيم التي هي سبيل أولياء الله وأصفيائه الذين وصفهم الله تعالى بقوله انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين فاذا ظهرت لك في هذه العقبة طرق ثلاثة طريق الأمن

ولو كان ذلك لسبب طلب العلم فهو سعي الى الحرام وقد قال صلى الله عليه وسلم من تواضع لغني صالح ذهب ثلثا دينه هذا في غني صالح فما ظنك بالغني الظالم وعلى الجملة فحركاتك وسكناتك باعضائك نعمة من نعم الله تعالى عليك فلا تحرك شيأ منها في معصية الله تعالى أصلا واستعملها في طاعة الله تعالى (واعلم) انك ان قصرت فعليك يرجع وباله وان شمرت فاليك ترجع ثمرته والله غني عنك وعن عملك وانما كل نفس بما كسبت رهينة واياك أن تقول ان الله كريم رحيم يغفر الذنوب للعصاة فان هذه كلمة حق أريد بها باطل وصاحبها ملقب بالحماقة بتلقيب رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني (واعلم) ان قولك هذا يضا هو قول من يريد أن يصير فقيها في علوم الدين واشتغل بالبطالة وقال ان الله كريم رحيم قادر على أن يفيض على قلبي من العلوم ما أفاضه على قلوب أنبيائه وأوليائه من غير جهد وتكرار وتعلم وهو كقول من يريد

والجراءة

والجراءة وطريق اليأس والقنوط وطريق الخوف والرجاء ممتدا بينهما فان ملت عنه بقدم إلى يمينك أو يسارك وقعت فى المهلكين وهلكت مع الهالكين ثم الشأن أن الطريقين الجائرين المهلكين أوسع مجالا وأكثر داعيا وأسهل سلوكا من الطريق العدل لأنك إذا نظرت من جانب الأمن رأيت من سعة رحمة الله وكثرة فضله وغاية جوده مالا يبقى لك معه خوف فتتكل على ذلك بمرة وتأمن وإن نظرت من جانب الخوف رأيت من عظيم قدرة الله تعالى وسياسته وكثرة هيبته ودقة أمره وغاية مناقشته مع أوليائه وأصفيائه مالا يكاد يبقى معه رجاء فتيأس بمرة وتقنط فتحتاج إذن أن لا تنظر إلى سعة رحمة الله فقط حتى تتكل وتأمن ولا إلى عظيم الهيبة والمناقشة فقط حتى تقنط وتيأس بل تنظر إلى هذا وإلى هذا جميعا وتأخذ من هذا بعضا ومن هذا بعضا فتركب بينهما طريقا دقيقا وتسلك ذلك لتسلم فان طريق الرجاء المحض سهل واسع عريض وعاقبته تؤديك إلى الأمن والخسران وطريق الخوف المحض واسع عريض وعاقبته تؤديك إلى الضلال وطريق العدل بينهما أعنى طريق الخوف والرجاء وذلك وإن كان طريقا دقيقا عسرا فانه سبيل سالم ومنهج بين يؤدى إلى الغفران والإحسان ثم إلى الجنان والرضوان ولقاء الملك الرحمن سبحانه أما تسمع قوله تعالى فى أبناء هذا السبيل يدعون ربهم خوفا وطمعا ثم قال فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون فتأمل هذه الجملة جدا وتشمر وتنبه للأمر فانه لا يجىء بالهوينا والله ولى التوفيق . ثم اعلم أنه لا يتأتى لك سلوك هذه الطريق وحمل هذه النفس الجموح الكسلى عن الخير باجتناب المحبوب عندها واكتساب الطاعات الثقيلة عليها إلا بالتحفظ بثلاثة أصول والتذكر لها على سبيل الدوام من غير فترة ولا غفلة أحدها ذكر أقواله تعالى سبحانه فى الترغيب والترهيب والثانى ذكر أفعاله سبحانه فى الأخذ والعفو والثالث ذكر جزائه للعباد فى المعاد من الثواب والعقاب وتفصيل كل فصل منها يحتاج إلى صحف كثيرة ولأجلها صنفنا كتاب تنبيه الغافلين ونحن نشير فى هذا الكتاب إلى كلمات توقفك على المقصود إن شاء الله عز وجل والله ولى التوفيق ﴿الأصل الأول أقواله سبحانه وتعالى﴾ تدبر أيها الرجل ما فى الكتاب العزيز من آيات الترغيب والترهيب والترجية والتخويف فمن آيات الرجاء قوله تعالى لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا ومن يغفر الذنوب إلا الله غافر الذنب وقابل التوب وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات كتب ربكم على نفسه الرحمة ورحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقون إن الله بالناس لرؤف رحيم وكان بالمؤمنين رحيما . فهذه ونحوها آيات الرجاء . ومن آيات الخوف والسياسة قوله تعالى يا عباد فاتقون أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون أيحسب الانسان أن يترك سدى ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا نسأل الله تعالى أن يسلمنا برحمته . ومن الآيات اللطيفة الجامعة بين الخوف والرجاء قوله تعالى نبىء عبادى أنى أنا الغفور الرحيم ثم قال فى عقبه وأن عذابى هو العذاب الأليم لئلا يستولى عليك الرجاء بمرة وقوله تعالى شديد العقاب ثم قال فى عقبه ذى الطول لا إله إلا هو لئلا يستولى عليك الخوف بمرة وأعجب منه قوله سبحانه وتعالى ويحذركم الله نفسه ثم قال فى عقبه والله رؤف بالعباد وأعجب منه قوله سبحانه وتعالى من خشى الرحمن بالغيب علق الخشية باسم الرحمن دون اسم الجبار والمنتقم والمتكبر ونحوه لتكون الخشية مع ذكر الرحمة فلا تكون الخشية تطير قلبك بمرة فيكون تخويفا فى تأمين وتحريكا فى تسكين كما تقول أما تخشى الوالدة الرحيمة أما تخاف الوالد المشفق أما تحذر الأمير الكريم والمراد من ذلك أن يكون الطريق عدلا فلا تذهب إلى أمن وقنوط جعلنا الله وإياكم من المتدبرين لهذا الذكر الحكيم والعاملين بما فيه

مالا فترك الحراثة والتجارة والكسب وتعطل وقال إن الله كريم رحيم وله خزائن السموات والأرض وهو قادر على أن يطلعنى على كنز من الكنوز أستغنى به عن الكسب فقد فعل ذلك لبعض عباده فأنت إذا سمعت كلام هذين الرجلين استحمقتهما وسخرت منهما وإن كان ما وصفاه من كرم الله تعالى وقدرته صدقا حقا فكذلك يضحك عليك أرباب البصائر فى الدين إذا طلبت المغفرة بغير سعى لها والله تعالى يقول وأن ليس للانسان إلا ما سعى ويقول إنما تجزون ما كنتم تعملون ويقول إن الأبرار لفى نعيم وإن الفجار لفى جحيم فاذا لم تترك السعى فى طلب العلم والمال اعتمادا على كرمه فكذلك لا تترك التزود للآخرة ولا تغتر فإن رب الدنيا والآخرة واحد وهو فيهما كريم ورحيم ليس يزيد له كرم بطاعتك وإنما كرمه فى أن ييسر لك طريق الوصول إلى الملك المقيم المخلد بالصبر على ترك الشهوات أياما قلائل وهذه نهاية الكرم فلا تحدث نفسك بتهويسات البطالين واقتد بأولى العزم والنهى من الأنبياء والصالحين ولا تطمع فى أن تحصد ما

برحمته انه هو الجواد الكريم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ﴿ الاصل الثانى فى أفعاله عز وجل ومعاملاته ﴾ أما من جانب الخوف فاعلم أن ابليس عبده ثمانين ألف سنة فلم يترك فيما قيل موضع قدم الا وسجد لله تعالى فيه سجدة ثم ترك أمرا واحدا فطرده عن بابه وضرب بوجهه عبادة ثمانين ألف سنة ولعنه الى يوم الدين وأعدّ له عذابا أليما الى أبد الآبدين * حتى روى أن الصادق الامين صلوات الله عليه وسلامه رأى جبريل عليه السلام متعلقا بأستار الكعبة وهو يصرخ وينادى الهى وسيدى لا تغير اسمي ولا تبدّل جسمي * ثم آدم صلى الله عليه وسلم صفيه ونبيه الذى خلقه بيده وأسجد له ملائكته وحمله على أعناقهم الى جواره انبسط فأكل أكلة واحدة لم يؤذن له فيها فنودى ألا لا يجاورنى من عصانى وأمر الملائكة الذين حملوا سريره يزجونه من سماء الى سماء حتى أوقعوه بالارض ولم يقبل توبته فيما روى حتى بكى على ذلك مائتى سنة ولحقه من الهوان والبلاء ما لحقه وبقيت ذريته فى تبعات ذلك على الابد * ثم ان نوحا عليه السلام شيخ المرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين الذى احتمل فى أمر دينه ما احتمل لم يقل الا كلمة واحدة على غير وجهها اذ نودى فلا تسألن ما ليس لك به علم انى أعظك أن تكون من الجاهلين حتى روى فى بعض الاخبار أنه لم يرفع رأسه الى السماء حياء من الله أربعين سنة * ثم ان ابراهيم خليل الله عليه السلام لم يكن منه الا هفوة واحدة فكم خاف وتضرع وقال والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين حتى روى أنه كان يبكى من شدة الخوف فيرسل الله تعالى اليه الامين جبريل عليه السلام فيقول يا ابراهيم هل رأيت خليلا يعذب خليله بالنار فيقول يا جبريل اذا ذكرت خطيئتى نسيت خلته * ثم موسى بن عمران صلى الله عليه وسلم لم يكن منه الا لطمة واحدة عن حدة فكم خاف وتضرع واستغفر وقال رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى ثم فى زمانه بلعم بن باعوراء كان بحيث اذا نظر الى السماء يرى العرش وهو المعنى بقوله تعالى واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها ولم يكن منه الا أنه مال الى الدنيا وأهلها ميلة واحدة وترك لولى من أوليائه حرمة واحدة فسلبه الله معرفته وجعله بمنزلة الكلب المطرود فقال فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث الآية فأوقعه فى بحر الضلال والهلاك الى آخر الابد حتى سمعت بعض العلماء يقول انه كان فى أول أمره بحيث يكون فى مجلسه اثنا عشر ألف محبرة للمتعلمين الذين يكتبون عنه ثم صار بحيث كان أول من صنف كتابا وذكر فيه ان ليس للعالم صانع نعوذ بالله ثم نعوذ بالله من سخطه ومن عذابه الاليم وفظيع خذلانه الذى لا طاقة لنا به فانظر الى خبث الدنيا وشؤمها ماذا يجلب للعلماء خاصة فتنبه فان الامر خطير والعمر قصير وفى العمل تقصير والناقد بصير فان ختم بالخير أعمالنا وأقالنا عثراتنا فذلك عليه يسير * ثم ان داود عليه السلام خليفته فى أرضه أذنب ذنبا واحدا فبكى على ذلك حتى نبت العشب فى الارض من دموعه وقال الهى أما ترحم بكائى وتضرعى فاجيب يا داود نسيت ذنبك وذكرت بكاءك ولم تقبل توبته أربعين يوما وقيل أربعين سنة * ثم ان يونس نبيه عليه السلام غضب غضبة واحدة فى غير موضعها فسجنه فى بطن الحوت تحت قعر البحار أربعين يوما وهو ينادى أن لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين وسمعت الملائكة صوته فقالوا الهنا وسيدنا صوت معروف من موضع مجهول فقال الله تعالى ذاك صوت عبدى يونس فتشفعت فيه الملائكة ثم مع ذلك كله غير اسمه فقال وذا النون فنسبه الى سجنه ثم قال فالتقمه الحوت وهو مليم فلولا أنه كان من المسبحين للبث فى بطنه الى يوم يبعثون ثم ذكر نعمته ومنته فقال لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم فانظر الى هذه السياسة أيها المسكين * وكذلك هلم جرا الى سيد المرسلين أكرم خلقه عليه يقول له فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا انه بما تعملون بصير حتى كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول شيبتنى هود وأخواتها قيل عنى هذه الآية وأشكالها فى القرآن فقال الله تعالى

واستغفر

تورع وليت من صام وصلى وجاهد واتقى غفر له فهذه جمل ما ينبغى أن تحفظ عنه جوارحك الظاهرة وأعمال هذه الجوارح انما تترشح من صفات القلب فان أردت حفظ الجوارح فعليك بتطهير القلب وهو التقوى الباطن والقلب هو المضغة التى اذا صلحت صلح الجسد كله فاشتغل باصلاحه لتصلح به جوارحك ﴿ القول فى معاصى القلب ﴾ اعلم أن الصفات المذمومة فى القلب كثيرة وتطهير القلب من رذائلها طويل وسبيل العلاج فيها غامض وقد اندرس بالكلية علمه وعمله لغفلة الخلق عن أنفسهم واشتغالهم بزخارف الدنيا وقد استقصينا ذلك كله فى كتاب احياء علوم الدين فى ربع المهلكات وربع المنجيات ولكنا نحذرك الآن ثلاثا من خبائث القلب هى الغالبة على متفقهة العصر لتأخذ منها حذرك فانها مهلكات فى أنفسها وهى أمهات لجملة من الخبائث سواها وهى الحسد والرياء والعجب فاجتهد فى تطهير قلبك منها فان قدرت عليها فتعلم كيفية الحذر من بقيتها من ربع المهلكات فان عجزت عن هذا فأنت عن غيره

واستغفر لذنبك الى أن من الله عليه بالغفران فقال ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك وقال تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وكان بعد ذلك صلوات الله عليه يصلي الليل حتى تورمت قدماه فيقولون أتفعل هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فيقول أفلا أكون عبدا شكورا وكان عليه السلام يقول لو أني وعيسى أوخذنا بما كسبت هاتان لعذبنا عذابا لم يعذبه أحد من العالمين * وكان يصلي الليل ويبكي ويقول أعوذ بعفوك من عقابك وبرضاك من سخطك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك * ثم الصحابة الذين هم خير قرن في خير أمة كان يبدو منهم شئ من المزاح فنزل قوله تعالى ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله الآية * ثم وضع في هذه الامة مع كونها مرحومة الحدود والسياسات العظيمة والآداب حتى كان يونس بن عبيد يقول لا تأمن من قطع في خمسة دراهم خير عضو منك أن يكون غدا عذابه هكذا نسأل الله تعالى الرحيم الكريم سبحانه أن لا يعاملنا الا بمحض كرمه انه أرحم الراحمين وأما من جانب الرجاء فحدث عن رحمة الله الواسعة ولا حرج ومن الذي يعرف غايتها أو يعرف وصفها ونهايتها فانه الذي يهب كفر سبعين سنة بايمان ساعة قال الله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف * أما ترى في أمر سحرة فرعون الذين جاؤا الحربه وحلفوا بعزة فرعون عدوه فما كان الا أن رأوا آية موسى عليه السلام فعرفوا الحق فقالوا آمنا برب العالمين ولم يذكرانهم زادوا عليها عملا ثم انظر كم كرر ذكرهم في معنى المدح في كتابه العزيز وكم كبائر وصغائر غفرها لهم بايمان ساعة بل لحظة فما قالوا الا أن آمنا برب العالمين عن صدق القلوب كيف قبلهم ووهب لهم جميع ما سلف ثم كيف جعلهم رؤس الشهداء في الجنة أبد الآبدين فهذا حال من عرفه ووحده ساعة بعد كل ذلك السحر والكفر والضلال والفساد فكيف حال من أفنى عمره في توحيده ولا يرى لذلك أهلا في الدارين غيره * أما ترى أصحاب الكهف وما كانوا عليه من الكفر طول أعمارهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها والتجؤا اليه كيف قبلهم ووهب لهم ثم أعزهم وأكرمهم فقال ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكيف أعظم لهم الحرمة وألبسهم المهابة والخشية حتى يقول لأكرم الخلق عليه لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا بل كيف أكرم كلبا تبعهم حتى ذكره في كتابه العزيز مرات ثم جعله معهم في الدنيا محجورا ويدخله الجنة في الآخرة مكرما فهذا فضله مع كلب خطا خطوات مع قوم عرفوه ووحدوه أياما معدودة من غير عبادة أو خدمة فكيف فضله مع عبده المؤمن الذي خدمه ووحده وعبده سبعين سنة وكيف لو عاش سبعين ألف سنة لكان قاصدا للعبودية * أما ترى كيف عاتب ابراهيم عليه السلام في دعائه على المجرمين بالهلاك * وكيف عاتب موسى في أمر قارون فقال استغاث بك قارون فلم تغثه فوعزتي لو استغاث بي لأغثته وعفوت عنه * وكيف عاتب يونس عليه السلام في شأن قومه بانك تحزن على شجرة من يقطين أنبتها في ساعة وأيبستها في ساعة ولا تحزن على مائة ألف أو يزيدون ثم كيف قبل عذرهم وصرف عذابه العظيم عنهم بعدله أظلهم * ثم كيف عاتب سيد المرسلين صلى الله عليه وعلى آله أجمعين فيما روى أنه دخل من باب بني شيبة فرأى قوما يضحكون فقال لم تضحكون لا أراكم تضحكون حتى اذا كان عند الحجر الاسود رجع اليهم القهقرى وقال جاءني جبريل فقال يا محمد ان الله تعالى يقول لك لم تقنط عبادي من رحمتي نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لله أرحم بالعبد المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها وفي الخبر المشهور عن النبي صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى مائة رحمة فواحدة منها قسمها بين الجن والانس والبهائم فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وادخر منها تسعة وتسعين لنفسه ليرحم بها عباده يوم القيامة واذ قد أعطاك من الرحمة الواحدة

الحجز ولا تظن أنك تسلم بنية صالحة في تعلم العلم وفي قلبك شئ من الحسد والرياء والعجب وقد قال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه (أما الحسد) فهو متشعب من الشح فان البخيل هو الذي يبخل بما في يده على غيره والشحيح هو الذي يبخل بنعمة الله وهي في خزائن قدرته لا في خزائنه على عباد الله تعالى فشحه أعظم والحسود هو الذي يشق عليه انعام الله تعالى من خزائن قدرته على عبد من عباده بعلم أو مال أو محبة في قلوب الناس أو حظ من الحظوظ حتى انه ليحب زوالها عنه وان لم يحصل له من ذلك مصلحة وهذا منتهى الخبث فلذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب والحسود هو المعذب الذي لا يرحم ولا يزال في عذاب دائم في الدنيا فان الدنيا لا تخلو قط عن خلق كثير من أقرانه ومعارفه ممن أنعم الله عليهم بعلم أو مال أو جاه فلا يزال في عذاب دائم في الدنيا الى موته ولعذاب الآخرة أشد وأكبر بل لا يصل العبد الى حقيقة الايمان ما لم يحب لسائر

كل هذه العطايا الكريمة العزيزة من معرفته سبحانه والكون من هذه الأمة المرحومة مع معرفة السنة والجماعة إلى سائر ما لديك من النعم الظاهرة والباطنة فرجو من فضله العظيم أن يتم ذلك فان من بدأ بالإحسان فعليه الاتمام ويجعل من تسع وتسعين رحمة لك الحظ الوافر فنسأل الله سبحانه أن لا يخيب آمالنا من فضله العظيم بفضله إنه السيد الكريم الجواد الرحيم ﴿ وأما الأصل الثالث ﴾ في ذكر ما وعد وأوعد في المعاد فلنذكر في ذلك الأحوال الخمسة الموت والقبر والقيامة والجنة والنار وما في كل مقام منها من الخطر العظيم للمطيعين والعاصين والمقصرين والمجتهدين . أما الموت فأذكر فيه حال رجلين : أحدهما ما روى عن ابن شبرمة أنه قال دخلت مع الشعبي على مريض نعوده وهو بما به وعنده رجل آخر يلقنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له فقال له الشعبي ارفق به فتكلم المريض فقال إن تلقني أو لم تلقني فاني لا أدعها ثم قرأ وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها فقال الشعبي الحمد لله الذي نجى صاحبنا. والآخر ما حكي أن تلميذا للفضيل بن عياض حضرته الوفاة فدخل عليه الفضيل وجلس عند رأسه وقرأ سورة يس فقال يا أستاذ لا تقرأ هذا فسكت ثم لقنه فقال له قل لا إله إلا الله فقال لا أقولها لأني منها برىء ومات على ذلك فدخل الفضيل منزله وجعل يبكي أربعين يوما لم يخرج من البيت ثم رآه في النوم وهو يسحب إلى جهنم فقال بأي شيء نزع الله المعرفة منك وكنت أعلم تلامذتي فقال بثلاثة أشياء أولها بالنميمة فإني قلت لأصحابي بخلاف ما قلت لك والثاني بالحسد حسدت أصحابي والثالث كان بي علة فجئت إلى الطبيب فسألته عنها فقال تشرب في كل سنة قدحا من خمر فان لم تفعل تبقى بك العلة فكنت أشربه نعوذ بالله من سخطه الذي لا طاقة لنا به . ثم أذكر حال رجلين آخرين : أحدهما ما حكي عن عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى أنه لما احتضر نظر إلى السماء فضحك وقال لمثل هذا فليعمل العاملون . وسمعت إمام الحرمين رضي الله عنه يحكي عن الأستاذ أبي بكر رحمه الله أنه قال كان لي صاحب أيام التعليم وكان مبتدئا كثير الجهد في التعلم تقيا متعبدا وكان لا يحصل له مع الاجتهاد إلا القليل فكنا نتعجب من حاله فمرض فلزم مكانه بين الأولياء في الرباط ولم يدخل إلى بيت المرضى وكان يجتهد مع مرضه فاشتد به الحال وأنا إلى جانبه فبينما هو كذلك إذ شخص ببصره إلى السماء ثم قال لي يا ابن فورك لمثل هذا فليعمل العاملون وتوفي عند ذلك رحمة الله عليه . وأما الآخر فنحو ما روى عن مالك بن دينار رحمه الله أنه دخل على جار له احتضر فقال له يا مالك جبلان من نار بين يدي أكلف الصعود عليهما قال فسألت أهله فقالوا كان له مكيالان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر فدعوت بهما فضربت أحدهما بالآخر حتى كسرتهما ثم سألت الرجل فقال ما يزداد الأمر علي إلا عظما . وأما القبر والحال بعد الموت فأذكر فيه حال رجلين : أحدهما ما ذكر عن بعض الصالحين قال رأيت سفيان الثوري في النوم بعد مماته فقلت كيف حالك يا أبا عبد الله فأعرض عني وقال ليس هذا زمان الكنى فقلت كيف حالك يا سفيان فأنشأ يقول :

نظرت إلى ربي عيانا فقال لي ... هنيئا رضائي عنك يا ابن سعيد
لقد كنت قواما إذا الليل قد دجا ... بعبرة مشتاق وقلب عميد
فدونك فاختر أي قصر تريده ... وزرني فإني عنك غير بعيد

والرجل الثاني ما ذكر أن بعضهم رؤي في النوم شاحب اللون مغلولة يداه إلى عنقه فقيل له ما فعل الله بك فأنشد يقول : تولى زمان لعبنا به ... وهذا زمان بنا يلعب

وحال رجلين آخرين : أحدهما ما روى عن بعض الصالحين أنه قال كان لي ابن استشهد ولم أره في المنام إلى ليلة توفي فيها عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إذ رأيته تلك الليلة فقلت يا بني ألم تكن ميتا فقال لا

ولكن

المسلمين ما يحب لنفسه بل ينبغي أن يساويهم في السراء والضراء فالمسلمون كالبنيان الواحد يشد بعضه بعضا وكالجسد الواحد إذا شكا منه عضو اشتكى سائر الجسد فإن كنت لا تصادف هذا من قلبك فاشتغالك بطلب التخلص من الهلاك أهم من اشتغالك بنوادر الفروع وعلم الخصومات . (وأما الرياء) فهو الشرك الخفي وهو أحد الشركين وذلك طلبك منزلة في قلوب الخلق لتنال بها الجاه والحشمة وحب الجاه من الهوى المتبع وفيه هلك أكثر الناس فما أهلك الناس إلا الناس فلو أنصف الناس حقيقة لعلموا أن أكثر ما هم فيه من العلوم والعبادات فضلا عن أعمال العادات ليس يحملهم عليها إلا مراءاة الناس وهي محبطة للأعمال كما ورد في الخبر أن الشهيد يؤمر به يوم القيامة إلى النار فيقول يا رب استشهدت في سبيلك فيقول الله تعالى أردت أن يقال فلان شجاع وقد قيل ذلك وذلك أجرك وكذا يقال للعالم والحاج والقارئ (وأما العجب والتكبر والفخر) فهو الداء العضال وهو نظر العبد إلى نفسه بعين العزة والاستعظام وإلى غيره

ولكني استشهدت وأناحي عند الله تعالى أرزق فقلت ماجاء بك قال نودي في أهل السماء ألا لا يبقى نبي ولا صديق ولا شهيد الا وحضر الصلاة على عمر بن عبد العزيز فجئت لاشهد الصلاة عليه ثم جئتكم لأسلم عليكم * والآخر ماروى عن هشام بن حسان أنه قال مات لى ابن حدث فرأيته في النوم فاذا هو أشيب فقلت يابنى ماهذا الشيب قال لما قدم علينا فلان زفرت جهنم لقدومه زفرة لم يبق منا أحد الاشاب نعوذ بالله الرحيم من العذاب الاليم * وأما القيامة فتأمل قول الله تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا فواحد يخرج من قبره فاذا البراق على رأس القبر والتاج والحلل فيلبس ويركب الى جنات النعيم لا يخلى من عزته أن يمشي الى الجنة برجليه وآخر يخرج من قبره فاذا الزبانية والاغلال والأنكال لا يخلون الشقي يمشي الى النار برجليه بل يسحب به الى سواء الجحيم على وجهه نعوذ بالله من سخطه ولقد سمعت بعض العلماء يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا كان يوم القيامة يخرج قوم من قبورهم لهم نجب يركبونها لها أجنحة خضر فتطير بهم في عرصات القيامة حتى اذا أتوا على حيطان الجنة فاذا رأتهم الملائكة قال بعضهم لبعض من هؤلاء فيقولون ماندرى لعلهم من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فيأتيهم بعض الملائكة فيقول من أنتم ومن أى الامم أنتم فيقولون نحن من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فتقول لهم الملائكة هل حوسبتم فيقولون لا فتقول الملائكة هل وزنتم فيقولون لا فتقول الملائكة هل قرأتم كتبكم فيقولون لا فتقول الملائكة ارجعوا فكل ذلك وراءكم فيقولون هل أعطيتمونا شيأ فنحاسب عليه وفى خبر آخر ماملكنا شيأ فنعدل أو نجور ولكن عبدنا ربنا حتى دعانا فاجبناه فينادى مناد صدق عبادى ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم أما تسمع قوله تعالى أفمن يلقى في النار خير أم من يأتى آمنا يوم القيامة فأعظم برجل يشاهد تلك الاهوال والزلازل والوقائع وهو آمن لا يدخل قلبه فزع ولا يكون على قلبه ثقل نسأل الله العظيم أن يجعلنا وايا كم من أولئك السعداء وما ذلك على الله جل جلاله بعزيز * وأما الجنة والنار فتأمل فيهما آيتين من كتاب الله تعالى احداهما قوله تعالى وسقاهم ربهم شرابا طهورا ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا وقال تعالى حكاية عن آخرين ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال اخسؤا فيها ولا تكلمون * وروى أنهم يصيرون عند ذلك كلابا يتعاوون في النار نعوذ بالله الرؤف الرحيم من عذابه الاليم فان الأمر كما قال يحيى بن معاذ الرازى رحمه الله لا ندرى أى المصيبتين أعظم فوت الجنان أم دخول النيران أما الجنة فلاصبر عنها وأما النار فلاصبر عليها وعلى كل حال ففوت النعيم أيسر من مقاسات الجحيم ثم الطامة الكبرى والمصيبة العظمى هى الخلود اذ لو كان الامر على كل حال منقطعا لكان هينا ولكن الشأن فى أبد بلا آخر فاى قلب يحتمل ذلك وأى نفس تصبر على ذلك ولذلك قال عيسى عليه السلام ذكر خلود الخالدين يقطع قلوب الخائفين * وذكر عند الحسن ان آخر من يخرج من النار رجل يقال له هناد عذب ألف عام ينادى ياحنان يامنان فبكى الحسن وقال ياليتنى كنت هنادا فتعجبوا منه فقال ويحكم أليس يوما يخرج * قلت فرجع الامر كله اذن الى أصل واحد وهى النكتة التى تقصم الظهور وتصفر الوجوه وتذيب الاكباد وتقطع القلوب وتدمى العيون من العباد وهى خوف نزع المعرفة فهذه الغاية التى ينتهى اليها خوف الخائفين وتبكى عليها أعين الباكين ولقد قال بعضهم ان الغموم ثلاثة غم الطاعة أن لا تقبل وغم المعصية أن لا تغفر وغم المعرفة أن تسلب وقال المخلصون بل الغم كله واحد بالحقيقة وهو غم سلب المعرفة وكل غم دونه جالل اذ له انقضاء * ولقد بلغنا عن يوسف بن اسبط رحمه الله تعالى أنه قال دخلت على سفيان رحمه الله تعالى فبكى ليلة أجمع فقلت بكاؤك هذا على الذنوب قال فحمل تبنا وقال الذنوب أهون على الله من هذا انما أخشى أن يسلبنى الله الاسلام نسأل الله ربنا المنان

بعين الاحتقار وقبيحه على اللسان أن يقول أنا وأنا كما قال ابليس اللعين أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين وثمرته فى المجالس الترفع والتقدم وطلب التصدر فى المحاورة والاستنكاف من أن يرد كلامه عليه والمتكبر هو الذى ان وعظ أنف وان وعظ عنف وكل من رأى نفسه خيرا من أحد من خلق الله تعالى فهو متكبر بل ينبغى لك أن تعلم أن الخير من هو خير عند الله فى دار الآخرة وذلك غيب وهو موقوف على الخاتمة فاعتقادك فى نفسك أنك خير من غيرك جهل محض بل ينبغى أن لا تنظر الى أحد الا وترى أنه خير منك وان الفضل له على نفسك فان رأيت صغيرا قلت هذا لم يعص الله وأنا عصيته فلا شك أنه خير منى وان رأيت كبيرا قلت هذا قد عبد الله قبلى فلاشك أنه خير منى وان كان عالما قلت هذا قد أعطى مالم أعط وبلغ مالم أبلغ وعلم ماجهلت فكيف أكون مثله وان كان جاهلا قلت هذا عصى الله بجهل وأنا عصيته بعلم فحجة الله علىّ آكد وما أدرى بم يختم لى وبم يختم له وان كان كافرا قلت لا أدرى عسى

سبحانه أن لا يبتلينا بمصيبة وأن يتم علينا بفضله كثير نعمته وأن يتوفانا على ملة الاسلام انه أرحم الراحمين وقد ذكرنا سبب سوء الخاتمة ومعناها فى كتاب احياء علوم الدين فتأمله هناك فان الخوض فيه ههنا خروج الى الاكثار فتأمل هذه الجمل راشدا فان التفصيل أكثر مما يأتى عليه الوهم والذكر لعلك تفلح بعون الله وحسن توفيقه * فان قلت فاى الطريقين أسلك طريق الخوف أو طريق الرجاء * يقال لك بل المركب بينهما فلقد قيل من غلب عليه الرجاء صار مرجئا وربما يخاف عليه أن يصير حروميا ومن غلب عليه الخوف صار حروريا والمراد أن لا ينفرد باحدهما دون الآخر فان بالحقيقة الرجاء الحقيقى لا ينفك عن الخوف الحقيقى والخوف الحقيقى لا ينفك عن الرجاء الحقيقى ولذلك قيل الرجاء كله لاهل الخوف لا الامن والخوف كله لاهل الرجاء لا اليأس * فان قلت فهل يكون أحدهما أرجح من الآخر أو أكثر ذكرا بحال * فاعلم أن العبد اذا كان صحيحا قويا فالخوف أولى به واذا مرض وضعف لاسيما اذا أشرف على الآخرة فالرجاء أولى كذا سمعت العلماء يقولون * قلت وذلك لما روى أن الله سبحانه وتعالى يقول أنا عند المنكسرة قلوبهم من مخافتى فيصير رجاؤه أولى فى ذلك الوقت لانكسار قلبه وخوفه المتقدم زمان الصحة والقوة والامكان ولذلك يقال لهم لا تخافوا ولا تحزنوا * فان قلت أليس قد جاءت الأخبار الكثيرة فى حسن الظن بالله والترغيب فى ذلك * فاعلم أن من حسن الظن بالله تعالى الحذر من معصيته والخوف من عقابه والاجتهاد فى خدمته * واعلم أن ههنا أصلا أصيلا ونكتة عزيزة يغلط فيها الكثير من الناس وهو أن الفرق بين الرجاء والامنية أن الرجاء يكون على أصل والتمنى لا يكون على أصل مثاله من زرع زرعا واجتهد وجمع بيدرا ثم يقول أرجو أن يحصل لى منه مائة قفيز فذلك منه رجاء وآخر لا يزرع زرعا ولا يعمل يوما عملا فذهب ونام وأغفل سنته فاذا جاء وقت البيادر يقول أرجو أن يحصل لى منه مائة قفيز فيقال له من أين لك هذا الرجاء وانما ذلك أمنية بلا أصل فكذلك العبد اذا اجتهد فى عبادة الله وانتهى عن معصية الله تعالى يقول أرجو أن يتقبل الله منى هذا اليسير ويتم هذا التقصير ويعظم هذا الثواب ويعفو عن الزلل وأحسن الظن فهذا منه رجاء * وأما اذا غفل عن ذلك وترك الطاعات وارتكب المعاصى ولم يبال بسخط الله تعالى ولا رضاه ولا وعده ووعيده ثم أخذ يقول أرجو من الله الجنة والنجاة من النار فذلك منه أمنية لا حاصل تحتها سماها رجاء وحسن ظن وذلك منه خطأ وضلال وقد نظم المعنى القائل

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها * ان السفينة لا تجرى على اليبس

* قلت ومما يبين هذا الاصل ما روينا عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله عز وجل الامانى وفى ذلك قال الحسن البصرى رحمه الله ان أقواما ألهتهم أمانى المغفرة حتى خرجوا من الدنيا مفاليس وليست لهم حسنة فيقول أحدهم انى أحسن الظن بربى وكذب لو أحسن الظن بربه لاحسن العمل له ثم تلا قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا الآية وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين وعن جعفر الضبعى رحمه الله أنه قال رأيت أبا ميسرة العابد وقد بدت أضلاعه من الاجتهاد قلت يرحمك الله ان رحمة الله واسعة فغضب وقال هل رأيتمنى ما يدل على القنوط ان رحمة الله قريب من المحسنين قال جعفر فابكانى قوله فاذا كان كل الرسل والابدال والاولياء مع كل هذا الاجتهاد فى الطاعة والحذر عن المعصية مرتبطين فايش تقول أما كان لهم حسن ظن بالله بلى فانهم كانوا أعلم بسعة رحمته وأحسن ظنا بجوده ولكن علموا ان ذلك دون الاجتهاد أمنية وغرور فاعتبر بهذه النكتة وتأمل حالهم وانتبه من رقدتك والله تعالى ولى التوفيق

ان يسلم ويختم له بخير العمل وينسل باسلامه من الذنوب كما تنسل الشعرة من العجين وأما أنا والعياذ بالله فعسى أن يضلنى الله فأكفر فيختم لى بشر العمل فيكون غدا هو من المقربين وأنا أكون من المعذبين فلا يخرج الكبر من قلبك الا بان تعرف ان الكبير من هو كبير عند الله تعالى وذلك موقوف على الخاتمة وهى مشكوك فيها فيشغلك خوف الخاتمة عن أن تتكبر مع الشك فيها على عباد الله تعالى فيقينك وايمانك فى الحال لا يناقض تجويزك التغير فى الاستقبال فان الله مقلب القلوب يهدى من يشاء ويضل من يشاء والأخبار فى الحسد والكبر والرياء والعجب كثيرة ويكفيك فيها حديث واحد جامع فقد روى ابن المبارك باسناده عن رجل أنه قال لمعاذ يا معاذ حدثنى حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبكى معاذ حتى ظننت أنه لا يسكت ثم سكت ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لى يا معاذ انى محدثك بحديث ان أنت حفظته نفعك عند الله وان أنت ضيعته ولم تحفظه انقطعت حجتك عند الله

(فصل) وجملة الامر انك اذا تذكرت سعة رحمة الله تعالى التى سبقت غضبه ووسعت كل شئ ثم أن كنت من هذه الامة المرحومة الكريمة على الله تعالى ثم غاية فضله العظيم وكمال جوده الكريم وجعل عنوان كتابه اليك بسم الله الرحمن الرحيم ثم كثرة أياديه اليك ونعمته عليك ظاهرة وباطنة من غير شفيع أو قدم سابقة لك وتذكرت من جانب آخر كمال جلاله وعظمته وعظم سلطانه وهيبته ثم شدة غضبه الذى لا تقوم له السموات والارض ثم غاية غفلتك وكثرة ذنوبك وجفواتك مع دقة أمره وخطر معاملته فى احاطة علمه وبصره بالعيوب والغيوب ثم حسن وعده وثوابه الذى لا يبلغ كنهه الاوهام وشدة وعيده وأليم عقابه الذى لا يحتمل ذكره القلوب تارة تنظر الى فضله وتارة تنظر الى عذابه وتارة تنظر الى رأفته ورحمته وتارة تنظر الى نفسك فى جفواتها وجناياتها فاذا فعلت أدى بك جميع ذلك الى الخوف والرجاء وكنت قد سلكت السبيل الشارع القصد وعدلت عن الجانبين المهلكين الامن واليأس ولا تتيه فيهما مع التائهين ولا تهلك مع الهالكين وشربت الشراب الممزوج العدل فلا تهلك ببرودة الرجاء الصرف ولا بحرارة الخوف الصرف وكانى بك قد وصلت الى المقصود غانما وشفيت من العلتين سالما ووجدت النفس قد انبعثت للطاعة ودانت فى الخدمة ليلا ونهارا من غير فترة ولا غفلة واجتنبت المعاصى والمخازى وهجرتها بمرة * كما قال نوف البكالى ان نوفا اذا ذكر الجنة طال شوقه واذا ذكر النار طار نومه وصرت حينئذ من الاصفياء الخواص العابدين الذين وصفهم الله تعالى بقوله انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين وكنت قد خلفت هذه العقبة الخطيرة وراءك باذن الله تعالى وحسن توفيقه فكم لك من حلاوة وصفوة فى الدنيا وكم لك من ذخر كريم وأجر عظيم فى العقبى والله سبحانه وتعالى مسؤل أن يمدك وايانا بحسن توفيقه وتسديده انه أرحم الراحمين وأجود الاجودين ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

(الباب السادس فى العقبة السادسة وهى عقبة القوادح)

ثم عليك يا أخى أيدك الله وايانا بحسن توفيقه بعد ما استبان لك السبيل واستقام لك المسير تمييز سعيك وصيانته عما يفسده ويضيعه عليك واعظم ما يلزمك ذلك باقامة الاخلاص وذكر المنة والاجتناب عن ضده لامرين * أحدهما لما فى فعله من الفائدة وهى حسن القبول من الله تعالى وفوز الثواب عليه والا فيكون مردودا ذاهب الثواب كلا أو بعضا على ماروى فى الحديث المشهور عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه وتعالى يقول أنا أغنى الاغنياء من الشرك من عمل عملا فأشرك فيه غيرى فنصيبى له فانى لا أقبل الا ما كان لى خالصا * وقيل ان الله تعالى يقول لعبده يوم القيامة اذا التمس ثواب عمله ألم يوسع لك فى المجالس ألم تكن الرأس فى الدنيا ألم يرخص بيعك وشراؤك ألم تكرم هذا وأشباهه من الخطر والضرر * قلت ومن خطر الرياء فضيحتان ومصيبتان * أما الفضيحتان فاحداهما فضيحة السر وهى اللوم على رؤس الملائكة وذلك لما روى أن الملائكة تصعد بعمل العبد مبتهجين به فيقول الله تعالى ردوه الى سجين فانه لم يرد بى به فيفتضح ذلك العمل والعبد عند الملائكة والثانية فضيحة العلانية وهى يوم القيامة على رؤس الخلائق روى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان المرائى ينادى يوم القيامة بأربعة أسماء يا كافر يا فاجر يا غادر يا خاسر ضل سعيك وبطل أجرك فلا خلاق لك اليوم التمس الاجر ممن كنت تعمل له يا مخادع وروى أنه ينادى مناد يوم القيامة يسمع الخلائق أين الذين كانوا يعبدون الناس قوموا خذوا أجوركم ممن عملتم له فانى لا أقبل عملا خالطه شئ * وأما المصيبتان فاحداهما فوت الجنة وذلك ماروى عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الجنة تكلمت وقالت أنا حرام على كل بخيل ومراء والخبر يحتمل معنيين أحدهما ان هذا البخيل من يبخل باحسن قول وهو قول

يوم القيامة يا معاذ أن الله تبارك وتعالى خلق سبعة أملاك قبل أن يخلق السموات والارض فجعل لكل سماء من السبع ملكا بوابا عليها فتصعد الحفظة بعمل العبد من حين أصبح الى حين أمسى له نور كنور الشمس حتى اذا طلعت به الى سماء الدنيا زكته فكثرته فيقول الملك للحفظة اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا صاحب الغيبة أمرنى ربى أن لا أدع عمل من اغتاب الناس يجاوزنى الى غيرى قال ثم تأتى الحفظة بعمل صالح من أعمال العبد فتزكيه وتكثره حتى تبلغ به الى السماء الثانية فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه أراد بعمله عرض الدنيا أمرنى ربى أن لا أدع عمله يجاوزنى الى غيرى انه كان يفتخر على الناس فى مجالسهم أنا ملك الفخر قال وتصعد الحفظة بعمل العبد يبتهج نورا من صدقة وصلاة وصيام قد أعجب الحفظة فيجاوزون به الى السماء الثالثة فيقول لهم الملك الموكل قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا ملك الكبر أمرنى ربى أن لا أدع عمله

لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا المرائي من يرائي بأقبح رياء وهو المنافق الذي يرائي بايمانه وتوحيده وفي هذا القول ترجية والمعنى الثاني ان من لم ينته عن البخل والرياء ولم يراع نفسه ففيه خطر ان أحدهما أن يلفحه شؤم ذلك فيقع في الكفر فتفوته الجنة رأسا والعياذ بالله والآخر سلب الايمان الذي يستحق به النار نعوذ بالله من سخطه وشديد غضبه والمصيبة الثانية دخول النار وذلك لما روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أول من يدعى يوم القيامة رجل قد جمع القرآن ورجل قد قاتل في سبيل الله ورجل كثير المال فيقول الله تعالى للقارئ ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي فيقول بلى يا رب فيقول ماذا عملت فيما علمت فيقول يا رب قمت به آناء الليل وأطراف النهار فيقول الله كذبت وتقول الملائكة كذبت فيقول الله سبحانه بل أردت أن يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك ويؤتى بصاحب المال فيقول له ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج الى أحد فيقول بلى يا رب فيقول فما عملت فيما آتيتك فيقول كنت أصل الرحم وأتصدق فيقول الله كذبت وتقول الملائكة كذبت فيقول الله سبحانه بل أردت أن يقال انك جواد فقد قيل ذلك ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله فيقول الله ما فعلت فيقول أمرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت فيقول الله تعالى كذبت وتقول الملائكة كذبت ويقول الله بل أردت أن يقال فلان جريء وشجاع فقد قيل ذلك قال ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على ركبتي وقال يا أبا هريرة أولئك أول خلق الله يسعر بهم نار جهنم * وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان النار وأهلها يعجون من أهل الرياء قيل يا رسول الله وكيف تعج النار قال من حر النار التي يعذبون بها وفي هذه الفضائح عبرة لأولي الابصار والله سبحانه ولي الهداية بفضله * فان قلت فأخبرنا عن حقيقة الاخلاص والرياء وحكمهما وتأثيرهما في العمل فاعلم ان الاخلاص عند علمائنا اخلاصان اخلاص العمل واخلاص طلب الاجر * فأما اخلاص العمل فهو ارادة التقرب الى الله عز وجل وتعظيم أمره واجابة دعوته والباعث عليه الاعتقاد الصحيح وضد هذا الاخلاص النفاق وهو التقرب الى ما دون الله سبحانه وقال شيخنا رحمه الله النفاق هو الاعتقاد الفاسد الذي هو للمنافق في الله عز وجل وليس هو من قبيل الارادات لعلة ذكرناها في موضعها * وأما الاخلاص في طلب الاجر فهو ارادة نفع الآخرة بعمل الخير وكان شيخنا رحمه الله يقول انه ارادة نفع الآخرة بخير لم يرد ردا يتعذر عليه خيره بحيث ترجى به تلك المنفعة وقد شرحنا هذه الشرائط وقال الحواريون لعيسى ابن مريم عليه السلام ما الخالص من الاعمال قال الذي يعمل لله لا يحب أن يحمده عليه أحد وهذا تعرض لترك الرياء وانما خصه بالذكر لانه أقوى الاسباب المشوشة للاخلاص وقال الجنيد الاخلاص تصفية الاعمال من الكدرات وقال الفضيل الاخلاص دوام المراقبة ونسيان الحظوظ كلها وهذا هو البيان الكامل والاقاويل في هذا كثيرة فلا فائدة في تكثير النقل بعد انكشاف الحقائق وقد قال سيد الاولين والآخرين صلى الله عليه وسلم اذ سئل عن الاخلاص فقال تقول ربي الله تعالى ثم تستقيم كما أمرت أي لا تعبد هواك ونفسك ولا تعبد الا ربك وتستقيم في عبادته كما أمرت وهذه اشارة الى قطع كل ما سوى الله عن مجرى النظر وهو الاخلاص حقا وضد الاخلاص الرياء وهو ارادة نفع الدنيا بعمل الآخرة ثم الرياء ضربان رياء محض ورياء تخليط فالمحض أن تريد به نفع الدنيا لا غير والتخليط أن تريدهما جميعا نفع الدنيا ونفع الآخرة هذا حدهما وأما تأثيرهما فان اخلاص العمل أن تجعل الفعل قربة وأما اخلاص طلب الاجر فان تجعله مقبولا وافر الاجر والتعظيم والنفاق يحبط العمل ويخرجه عن كونه قربة مستحقا عليه الثواب بالوعد من الله تعالى فالرياء المحض لا يكون من العارف عند بعض العلماء وان كان أبطل نصف الثواب وعند آخرين قد يكون الرياء المحض من العارف

ولنه

يجاوزني الى غيري إنه كان يتكبر على الناس في مجالسهم قال وتصعد الحفظة بعمل العبد يزهو كما يزهو الكوكب الدري له دوي من تسبيح وصلاة وصيام وحج وعمرة حتى يجاوزون به الى السماء الرابعة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه وظهره وبطنه أنا صاحب العجب أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني الى غيري انه كان اذا عمل عملا أدخل العجب فيه قال وتصعد الحفظة بعمل العبد حتى يجاوزون الى السماء الخامسة كأنه العروس المزفوفة الى بعلها فيقول لهم الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واحملوه واجعلوه على عاتقه أنا ملك الحسد انه كان يحسد من يتعلم ويعمل بمثل عمله وكل من كان يأخذ فضلا على العباد كان يحسدهم ويقع فيهم أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني الى غيري قال وتصعد الحفظة بعمل العبد له ضوء كضوء القمر من صلاة وزكاة وحج وعمرة وجهاد وصيام فيجاوزون به الى السماء السادسة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه

وانه يذهب بنصف الاضعاف والتخليط يذهب بربع الاضعاف والصحيح عند شيخنا رحمه الله أن الرياء المحض لا يكون من العارف عند تذكر الآخرة ويكون مع السهو والمختار ان من تأثير الرياء رفع القبول والنقصان فى الثواب ولا تقدير له بنصف ولا ربع وشرح هذه المسائل يطول وقد شرحناها فى كتاب احياء علوم الدين شرحا مستقصيا وأشبعنا القول فى أسرار معاملات الدين ✻ فان قلت فما موضع الاخلاص وفى أى طاعة يقع ويجب ✻ فاعلم أن الاعمال عند بعض العلماء ثلاثة أقسام قسم يقع فيه الاخلاصان جميعا وهو العبادة الظاهرة الاصلية وقسم لا يقع فيه شئ منهما وهو العبادات الباطنة الاصلية وقسم يقع فيه اخلاص طلب الاجر دون اخلاص العمل وهو المباحات المأخوذة للعدة قال شيخنا رحمه الله ان كل عمل يحتمل الصرف الى غير الله تعالى من العبادات الاصلية يقع فيه اخلاص العمل فالعبادات الباطنة أكثرها يقع فيها اخلاص العمل ✻ وأما اخلاص طلب الاجر قال مشايخ الكرامية لا يقع فى العبادات الباطنة اذ لا يطلع عليها أحد الا الله سبحانه فامتنع فيها دواعى الرياء فلم يحتج الى اخلاص طلب الاجر وكان شيخنا رحمه الله يقول اذا أراد العبد المتقرب من الله بالعبادات الباطنة نفع الدنيا فهو أيضا رياء ✻ قلت أنا ولا يبعد اذن أن يقع فى كثير من العبادات الباطنة الاخلاصان وكذلك النوافل يجب فيها الاخلاصان جميعا عند الشروع وأما المباحات المأخوذة للعدة فانما يقع فيها اخلاص طلب الاجر دون اخلاص العمل اذ هى لا تصلح أن تكون بنفسها قربة بل هى عدة على القربة ✻ فان قلت هذا موضعهما فبين لنا وقتهما من العمل ✻ فاعلم ان اخلاص العمل مع الفعل يقارنه لا محالة ولا يتأخر عنه وأما اخلاص طلب الاجر فربما يتأخر عنه وعند بعض العلماء يعتبرون فيه وقت الفراغ من العمل فاذا فرغ على اخلاص أو رياء فقد انقضى الامر ولا يمكنه استدراكه بعد وعند غيرنا من مشايخ الكرامية ما لم ينل المنفعة المطلوبة بالرياء يمكنه اقامة الاخلاص فى ذلك العمل فاذا نال المطلوب فقد فات وقال بعض العلماء ان الفريضة يمكن اقامة الاخلاص فيها الى الموت ✻ وأما النوافل فلا سبيل الى ذلك ✻ قال والفرق بينهما أن الله تعالى أدخل العبد فى الفريضة فأمول منه التفضل والتيسير فيها وأما النفل فالعبد الذى أدخل نفسه فيه وتكلفه فطولب بحق ما تكلف ✻ قلت أنا وفى المسئلة فائدة وهى أن من سبق منه الرياء أو ترك الاخلاص فى عمل فيمكنه استدراك ذلك وتلافيه على أحد الوجوه التى ذكرناها قبل والمقصود من نقل مذاهب الناس فى هذه الدقائق علمنا الآن بقلة العاملين وقلة الرغبة فى سلوك هذه الطريق والتقريب على المبتدى فى العبادة فان لم يجد لعلته دواء فى هذا القول وجده فى الآخر لاختلاف الامراض والاغراض وعلل الاعمال وآفاتها فافهم راشدا ان شاء الله تعالى ✻ فان قلت أكل عمل يحتاج الى اخلاص مفرد فاعلم انهم قد اختلفوا فى ذلك فقيل انه يجب لكل عمل اخلاص مفرد وقيل انه يجوز تناول اخلاص واحد بجملة من العبادات أما العمل ذو الاركان كالصلاة والوضوء فيكفيهما اخلاص واحد لان بعضها متعلق ببعض صلاحا وفسادا فصارت كشئ واحد ✻ فان قلت ان أراد بعمله الخير نفعا من الله تعالى ولا يريد من الناس شيأ من مدحة أو سمعة أو منفعة أيكون ذلك رياء ✻ فاعلم ان ذلك محض الرياء قال علماؤنا رحمهم الله الاعتبار فى الرياء بالمراد لا بالذى يريد منه فان كان مرادك من عمل الخير نفعا دنيويا فانه رياء سواء أردته من الله أو من الناس قال الله تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله فى الآخرة من نصيب وليس الاعتبار بلفظة الرياء واشتقاقها من معنى الرؤية وانما سميت هذه الارادة الفاسدة بهذا الاسم لانها أكثر ما تقع وتكون من قبل الناس ورؤيتهم فافهم ✻ فان قلت اذا كان القصد من الدنيا التى يريدها من الله التعفف عن الناس والعدة على عبادة الله يكون ذلك رياء ✻ فاعلم ان التعفف ليس فى كثرة المال والجاه والحطام وانما هو فى

صاحبه انه كان لا يرحم انسانا قط من عباد الله أصابه بلاء أو مرض بل كان يشمت بهم أنا ملك الرحمة أمرنى ربى ان لا أدع عمله يجاوزنى الى غيرى قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وصيام ونفقة وجهاد وورع له دوى كدوى النحل وضوء كضوء الشمس معه ثلاثة آلاف ملك فيجاوزون به الى السماء السابعة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واضربوا جوارحه واقفلوا على قلبه أنا أحجب عن ربى كل عمل لم يرد به ربى انما أراد بعمله غير الله تعالى انه أراد به رفعة عند الفقهاء وذكرا عند العلماء وصيتا فى المدائن أمرنى ربى أن لا أدع عمله يجاوزنى الى غيرى وكل عمل لم يكن لله خالصا فهو رياء ولا يقبل الله عمل المرائى قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وصيام وحج وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر الله تعالى وتشيعه ملائكة السبع السموات حتى يقطعوا الحجب كلها الى الله تعالى فيقفون بين يديه يشهدون له بالعمل الصالح المخلص لله تعالى فيقولون

القناعة والثقة بكفاية الله سبحانه * وأما العدة على عبادة الله تعالى فاذا كان مراده ذلك فلا يكون رياء وذلك مايتصل بامر الآخرة وأسبابها ويصير قصده قطعا لذلك فان أريد بعمل الخير هذا النوع لاتكون تلك الارادة رياء لان هذه الامور تصير بتلك النية خيرا أو تصير في حكم أعمال الآخرة ولاتكون ارادة الخير رياء وكذلك ان أردت أن يكون لك تعظيم عند الناس أو محبة عند المشايخ والأئمة ويكون قصدك من ذلك التمكن من تأييد مذهب أهل الحق أو الرد على أهل البدع أو النشر العلم أو حض الناس على العبادة ونحو ذلك دون ان تقصد بذلك شرف نفسك من حيث هي أو دنياتنا لها فان هذه كلها ارادة شديدة ونيات محمودة لايدخل شئ منها في باب الرياء اذ المقصود منها أمر الآخرة بالحقيقة * واعلم انى سألت بعض مشايخنا عما يعتاده أولياؤنا من قراءة سورة الواقعة في أيام العسرة أليس المراد بذلك أن يدفع الله تلك الشدة عنهم ويوسع عليهم شيأ من الدنيا على ماجرت به العادة فكيف تصح ارادة متاع الدنيا بعمل الآخرة * فقال في جوابه رحمه الله كلاما معناه أن المراد منهم أن يرزقهم الله قناعة أو قوتا يكون لهم عدة على عبادة الله وقوة على درس العلم وهذه من جملة ارادات الخير دون الدنيا * واعلم أن هذه السيرة أعنى قراءة هذه السورة عند الشدة في أمر الرزق والخصاصة انما هو شئ ورد به الاخبار المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين حتى ان أبى مسعود حين عوتب في أمر ولده اذ لم يترك لهم من الدنيا شيأ قال لقد خلفت لهم سورة الواقعة ومن ذلك الاصل في السنة جرت هذه الخصلة في سير علمائنا رحمهم الله والا فلا مبالاة لهم بحمد الله تعالى بشدة في أمر الدنيا أو سعة وهم الذين يغتنمون ضيق الدنيا وعسرها ويتغالون في ذلك فيما بينهم ويعدونه من الله تعالى منة عظيمة ويخافون اذا بدا لهم من الله سعة من الدنيا التى لايعدها أكثر الناس الا الاحسان والنعمة أن يكون ذلك استدراجا من الله تعالى ومصيبة كيف وبطانتهم الاسفار والطى في عموم الاحوال ومقدموهم يقولون الجوع رأس مالنا فهذا أوضع مذهب أهل التصوف وهو مذهبي ومذهب أشياخي وبذلك جرت سيرة سلفنا وأما تقصير بعض المتأخرين فلا يعتبر به وانما ذكرنا هذا الفصل لئلا يغمز فيهم مخالف جهلا منه بمقاصد القوم في أمورهم أو يغلط فيهم مبتدئ سليم الصدر لم يأخذ من العلم حقه * فان قيل كيف يليق هذا بحال أهل العلم والتجرد والزهد وأرباب الصبر والرياضة * فاعلم ان هذا الشئ مأخوذ من السنة ثم المقصود حصول القناعة والعدة لا اتباع الشره والشهوة والضعف عن احتمال العسرة والشدة وأكثر ماترى في عقب ذلك قناعة القلب وفقد كلب الجوع وضعفه وسلوه عن الطعام ونهمته وقد علم ذلك من امتحنه فاعلم هذه الجملة موفقا ان شاء الله تعالى * القادح الثانى العجب وانما يلزمك اجتنابه لامرين أحدهما أنه يحجب عن التوفيق والتأييد من الله تعالى فان المعجب مخذول فاذا انقطع عن العبد التأييد والتوفيق من الله تعالى فما أسرع مايهلك ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه والثانى انه يفسد العمل الصالح ولذلك قال المسيح عليه الصلاة والسلام يامعشر الحواريين كم من سراج قد أطفأته الريح وكم من عابد قد أفسده العجب واذا كان المقصود والفائدة العبادة وهذه الخصلة تحرم العبد حتى لايحصل له خير فان حصل له خير فقليل من ذلك يفسده حتى لايبقى بيده شئ فحقيق ان يحذر من ذلك ويتحفظ والله تعالى ولى التوفيق والعصمة * فان قيل فما حقيقة العجب وما معناه وما تأثيره وما حكمه فبين لنا ذلك * فاعلم ان حقيقة العجب استعظام العمل الصالح وتفصيله عند علمائنا رحمهم الله ذكر العبد حصول شرف العمل الصالح بشئ دون الله عز وجل أو الناس أو النفس قالوا وقد يكون العجب مثلثا بان يذكر ذلك من هذه الثلاثة جميعا النفس والخلق والشئ ومثنى بان يذكره من اثنين وموحدا بأن يذكر من واحد وضد العجب ذكر المنة وهو أن يذكر أنه بتوفيق الله سبحانه وأنه

الله تعالى أنتم الحفظة على عمل عبدى وأنا الرقيب على قلبه انه لم يردنى بهذا العمل وأراد به غيرى فعليه لعنتى فتقول الملائكة كلها عليه لعنتك ولعنتنا وتلعنه السبع السموات ومن فيهن فبكى معاذ قال معاذ قلت يارسول الله أنت رسول الله وأنا معاذ فكيف لى بالخلاص والنجاة قال اقتد بى وان كان فى عملك نقص يامعاذ حافظ على لسانك من الوقيعة فى اخوانك من حملة القرآن واحمل ذنوبك عليك ولاتحملها عليهم ولاتزك نفسك وتذمهم ولاترفع نفسك عليهم ولا تدخل عمل الدنيا فى عمل الآخرة ولاتتكبر فى مجلسك لكى يحذر الناس من سوء خلقك ولاتناج رجلا وعندك آخر ولاتتعظم على الناس فتنقطع عنك خيرات الدنيا والآخرة ولاتمزق الناس فتمزقك كلاب النار يوم القيامة فى النار قال الله تعالى والناشطات نشطا هل تدرى ماهن يامعاذ قلت ماهى بأبى أنت وأمى يارسول الله قال كلاب فى النار تنشط اللحم من العظم قلت بأبى وأمى أنت يارسول الله من يطيق هذه

الذى شرفه وعظم ثوابه وقدره فهذا الذكر فرض عند دواعى العجب نفل فى سائر الاوقات * وأما تأثير العجب فى العمل قال بعض علمائنا للعجب ينتظر الاحباط فان تاب قبل موته سلم والا أحبط واليه ذهب محمد ابن صابر من شيوخ الكرامية والاحباط عندهما أن يذهب عن العمل جميع الاسماء الحسنة حتى لا يستحق بذلك ثوابا ولا مدحة ألبتة وفى قول غيره هو ذهاب الاضعاف لا غير * فان قلت كيف يلتبس على العبد العارف أن الله تعالى هو الذى وفق للعمل الصالح وعظم قدره وأكثر ثوابه بفضله ومنه فاعلم أن ههنا نكتة لطيفة وذخيرة شريفة وهو ان الناس فى العجب ثلاثة أصناف صنف هم المعجبون بكل حال وهم المعتزلة والقدرية الذين لا يرون لله عليهم منة فى أفعالهم و ينكرون العون والتوفيق الخاص واللطف وذلك لشبهة استولت عليهم وصنف هم الذاكرون لله المنة بكل حال وهم المستقيمون لا يعجبون بشئ من الاعمال وذلك لبصيرة أكرموا بها وتأييد خصوا به والثالث هم المخلطون وهم عامة أهل السنة تارة ينتبهون فيذكرون منة الله وتارة يغفلون فيعجبون بذلك لمكان الغفلة العارضة والفترة فى الاجتهاد والنقص فى البصيرة * فان قلت كيف حال القدرية والمعتزلة فى أفعالهم فاعلم أن فى ذلك اختلافات فقيل انه محبط لمكان اعتقادهم * وقيل لا يحبط عمل باعتقاد فى الجملة من فرق الاسلام حتى يخص كل عمل باعجاب كما ان اعتقاد أهل السنة لا يمنع العجب فى كل عمل حتى يخصه بذكر المنة * فان قيل فهل سوى العجب والرياء من قادح فى العمل * قيل له أجل ان فيه القوادح سواهما لكنا خصصناهما بالذكر لانهما الاصل الذى يدور عليهما معظم الابواب وقد قال بعض المشايخ ان حق العبد أن يتحفظ فى العمل من عشرة أشياء النفاق والرياء والتخليط والمن والاذى والندامة والعجب والحسرة والتهاون وخوف ملامة الناس ثم ذكر شيخنا رحمه الله ضد كل خصلة منها واضرارها بالعمل فضد النفاق اخلاص العمل وضد الرياء اخلاص طلب الاجر وضد التخليط التفريد وضد المن تسليم العمل الى الله وضد الاذى تحصين العمل وضد الندامة تثبيت النفس وضد العجب ذكر المنة وضد الحسرة اغتنام الخير وضد التهاون تعظيم التوفيق وضد خوف الملامة الخشية * واعلم ان النفاق يحبط العمل والرياء يوجب رده والمن والاذى يحبطان الصدقة أصلا فى الوقت وعند بعض المشايخ رحمهم الله يبطلان اضعافها * وأما الندامة فانها تحبط العمل فى قولهم جميعا والعجب يذهب أضعاف العمل والحسرة والتهاون وخوف الملامة تخفف العمل فتذهب رزانته * قلت فالقبول والرد عند أهل التحصيل يرجعان الى ضروب من التعظيم والاستخفاف والاحباط ابطال منافع تكون بالفعل و بسببه ثم تارة يكون بابطال الثواب وأخرى بابطال التضعيف والثواب منفعة يقتضيها العقل بعينه وقرائنه وأحواله والتضعيف زيادة على هذا والرزانة زيادة تحصل بمقتضى قرائن أحوال أخر كالاحسان الى أحد من أهل الخير ثم الى الوالدين ثم الى نبى من الانبياء ففى الشئ يكون رزانة ولا يكون تضعيف فهذا تهذيب ما تحققت فى هذه المعانى فاعلم ذلك وبالله التوفيق

﴿فصل﴾ فعليك بقطع هذه العقبة المخوفة ذات المقاطع والمتالف فى غاية التحرز فان صاحب بضاعة الطاعات قد قطع كل تلك العقبات وتحمل تلك المشقات حتى حصلت له بضاعة من العبادة عزيزة شريفة فانه لا يخاف على بضاعته تلك الا فى هذه العقبة فان فيها مقاطع يحذر أن تسلب فيها بضاعته ومتالف يحذر أن يبدو منها آفات تفسد عليه طاعته ثم أعظمها خطرا وأعمها وقوعا هذان القاطعان اللذان هما الرياء والعجب فلنذكر فى كل واحد منهما أصولا مقنعة تجردها لك لعلك تكفى مؤنتها باذن الله ان شاء الله * أما الرياء فاذكر فيه أولا قول الله سبحانه الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شئ قدير وأن الله قد أحاط بكل شئ علما كأن الله سبحانه يقول انى خلقت السموات والارض وما بينهما فى كل هذه الصنائع والبدائع وا كتفيت بنظرك لتعلم انى قادر عالم وأنت

الخصال ومن ينجو منها قال يا معاذ انه ليسير على من يسره الله عليه قال خالد بن معدان فما رأيت أحدا أكثر تلاوة للقرآن العظيم من معاذ لهذا الحديث العظيم فتأمل أيها الراغب فى العلم هذه الخصال واعلم ان أعظم الاسباب فى رسوخ هذه الخبائث فى القلب طلب العلم لاجل المباهاة والمناقشة فالعامى بمعزل عن أكثر هذه الخصال والمتفقه مستهدف لها وهو معرض للهلاك بسببها فانظر أى أمورك أهم أن تتعلم كيفية الحذر من هذه المهلكات وتشتغل باصلاح قلبك وعمارة آخرتك أم الاهم أن تخوض مع الخائضين فتطلب من العلم ما هو سبب زيادة الكبر والرياء والحسد والعجب حتى تهلك مع الهالكين * واعلم أن هذه الخصال الثلاث من أمهات خبائث القلب ولها مغرس واحد وهو حب الدنيا ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الدنيا رأس كل خطيئة ومع هذا فالدنيا مزرعة للآخرة فمن أخذ من الدنيا بقدر الضرورة يستعين به على الآخرة فالدنيا مزرعته ومن أراد الدنيا ليتنعم بها فالدنيا مهلكته فهذه نبذة يسيرة

تصلى ركعتين مع ما فيهما من المعايب والتقصير فلا تكتفى بنظرى اليك وبعلمى بك وثنائى عليك وشكرى لك حتى تحب أن يعلم الخلق ليحمدوك بذلك أ يكون ذلك وفاء أ يكون ذلك عقلا يرضاه أحد لنفسه ويحك أفلا تعقل ﴿الأصل الثانى﴾ ان من كان له جوهر نفيس يمكنه أن يأخذ فى ثمنه ألف ألف دينار فباعه بفلس أليس يكون ذلك خسرانا عظيما وغبنا فظيعا ودليلا بينا على خسة الهمة وقصور العلم وضعف الرأى وركة العقل فما يناله العبد بعمله من الخلق من مدحة وحطام بالاضافة الى رضا رب العالمين وشكره وثنائه وثوابه لأقل من فلس فى جنب ألف ألف دينار وأضعاف ذلك بل فى جنب الدنيا وما فيها وأكثر وأكبر ألا يكون من الخسران المبين ان تفوت نفسك تلك الكرامات العزيزة الشريفة بهذه الامور الحقيرة الدنية ثم ان كان ولا بد لك من هذه الهمة الخسيسة فاقصد أنت الآخرة تتبعك الدنيا بل اطلب الرب وحده يعطك الدارين اذ هو مالكهما جميعا وذلك قوله تعالى من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة وقال عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى ليعطى الدنيا بعمل الآخرة ولا يعطى الآخرة بعمل الدنيا فاذا أنت أخلصت النية وجردت الهمة للآخرة حصلت لك الآخرة والدنيا جميعا وان أنت أردت الدنيا ذهبت عنك الآخرة فى الوقت وربما لا تنال فى الدنيا كما تريد وان نلتها فلا تبقى لك فتكون قد خسرت الدنيا والآخرة فتأمل أيها العاقل ﴿الاصل الثالث﴾ أن المخلوق الذى لأجله تعمل ورضاه تطلب لو علم انك تعمل لاجله لأبغضك ولسخط عليك واستهان بك واستخف بك فكيف يعمل الرجل العاقل العمل لاجل من لو علم به أنه يطلب رضاه لسخط عليه وأهانه فاعمل يا مسكين لاجل من اذا عملت لاجله وقصدته بسعيك وطلبت رضاه بذلك أحبك وأعطاك وأكرمك حتى أرضاك وأغناك عن الكل وكفاك فهذه هذه فافعلن لها ان كنت تعقل ﴿الاصل الرابع﴾ أن من حصل له شئ مما يمكن أن يكتسب به رضا أعظم ملك فى الدنيا فطلب به رضا كناس خسيس بين الناس فيكون ذلك دليلا على السفه ورداءة الرأى منه وسوء الحظ له ويقال ما حاجتك الى رضا هذا الكناس مع امكانك من رضا الملك فكيف وقد سخط الكناس عليك بسبب سخط الملك ففاتك الكل فهذا حال المرائى فاى حاجة الى إرضاء مخلوق حقير ضعيف مهين وأنت متمكن من تحصيل رضوان الله رب العالمين الكافى عن الكل فان ضعفت الهمة وكلت البصيرة حتى طلبت رضا مخلوق لا محالة فسبيلك أن تجرد ارادتك وتخلص سعيك لله سبحانه فان القلوب والنواصى بيده فهو يميل اليك القلوب ويجمع لك النفوس ويشحن من حبك الصدور فتنال من ذلك ما لا تنال بجهدك وقصدك فان لم تفعل وقصدت بعملك رضا المخلوقين دونه سبحانه وتعالى فانه يصرف عنك القلوب وينفر عنك النفوس ويسخط عليك الخلق فيحصل لك بهذا الامر سخط الله وسخط الناس جميعا فياله من خسران وحرمان * ولقد ذكر عن الحسن أنه قال كان رجل يقول والله لأعبدن الله عبادة أذكر بها وكان أول داخل فى المسجد وآخر خارج منه لا يراه أحد حين الصلاة الا قائما يصلى وصائما لا يفطر ويجلس الى حلق الذكر فلبث كذا سبعة أشهر فكان لا يمر بقوم الا قالوا فعل الله بهذا المرائى وصنع فأقبل على نفسه باللوم وقال لها إنى أرانى فى غير شئ لأجعلن عملى كله لله فلم يزد على عمله الذى كان يعمل قبل ذلك شيأ الا أنه تغيرت نيته الى الخير فكان بعد ذلك يمر بالناس فيقولون رحم الله فلانا الآن قد أقبل على الخير ثم قرأ الحسن ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا قال يحبهم ويحببهم الى المؤمنين ولقد صدق القائل

يا مبتغى الحمد والثوابا * فى عمل تبتغى محالا * قد خيب الله ذا رياء * وأبطل السعى والكلالا
من كان يرجو لقاء رب * أخلص من خوفه الفعالا * الخلد والنار فى يديه * فرائه يعطك النوالا

ما لناس

من ظاهر علم التقوى وهى بداية الهداية فان جربت نفسك فيها وطاوعتك عليها فعليك بكتاب احياء علوم الدين لتعرف كيفية الوصول الى باطن التقوى فاذا عمرت بالتقوى باطن قلبك فعند ذلك ترتفع الحجب بينك وبين ربك وتنكشف لك أنوار المعارف وتنفجر من قلبك ينابيع الحكمة وتتضح لك أسرار الملك والملكوت ويتيسر لك من العلوم ما تستحقر به هذه العلوم المحدثة التى لم يكن لها ذكر فى زمن الصحابة رضى الله عنهم والتابعين وان كنت تطلب العلم من القيل والقال والمراء والجدال فما أعظم مصيبتك وما أطول تعبك وأعظم حرمانك وخسرانك فاعمل ما شئت فان الدنيا التى تطلبها بالدين لا تسلم لك والآخرة تسلب منك ومن طلب الدنيا بالدين خسرهما جميعا ومن ترك الدنيا للدين ربحهما جميعا فهذه جمل الهداية الى بداية الطريق فى معاملتك مع الله تعالى باداء أوامره واجتناب نواهيه وأشير عليك الآن بجمل من الآداب لتؤاخذ بها نفسك فى مخالطتك مع عباد الله تعالى وصحبتك معهم فى الدنيا

القول فى آداب الصحبة

والناس لايملكون شيأ * فكيف راءيتهم ضلالا

* - أما العجب فلنذكر فيه أصولا * أحدها ان فعل العبد انما صارت له قيمة لما وقع من الله موقع الرضا والقبول والافترى الاجير يعمل طول النهار بدرهمين والحارس يسهر طول الليل بدانقين وكذلك أصحاب الصناعات والحرف كل واحد يعمل فى الليل والنهار فيكون قيمة ذلك دراهم معدودة فان صرفت الفعل الى الله تعالى فصمت لله تعالى يوما فيكون صومك ذلك اليوم لاقيمة له اذا رضيه وتقبله قال الله تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وفى الخبر أعددت لعبادى الصائمين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فهذا يومك الذى قيمته درهمان مع احتمالك التعب العظيم صار كل له هذه القيمة بتأخير غداء الى عشاء ولو قمت ليلة لله تعالى وأخلصتها له كان قيامك لاقيمة له فى الشرف والنفاسة قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون فهذا الذى قيمته دانقان أو درهمان صار له كل هذه القيمة والقدر بل لو جعلت لله ساعة تصلى فيها ركعتين خفيفتين بل نفسا قلت فيه لا اله الا الله قال الله تعالى ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب فهذا نفس من أنفاسك التى لاقيمة لها عند أهل الدنيا ولا عندك فكم تضيع أمثال ذلك فى لاشىء وكم يمر عليك من الزمان بلا فائدة وصار له كل هذا القدر العظيم لما أنه وقع مرضيا لله تعالى فعظم قدره وكثرت قيمته بفضله فحق للعاقل اذن أن يرى حقارة عمله وقلة قدره من حيث هو وأن لا يرى الامنة الله تعالى عليه فيما شرف من قدر عمله وأعظم من جزائه وأن يحذر على فعله من أن يقع على وجه لا يصلح لله ولا يقع منه موقع الرضا فتذهب عنه القيمة التى حصلت له ويعود الى ما كان فى الاصل من الثمن الحقير من دراهم أو دوانق وأحقر وأخس من ذلك * ومثاله أن العنقود من العنب والاضبارة من الريحان يكون قيمته فى السوق دانقا فان أهداه واحد الى ملك مع خسته فوقع منه موقع الرضا يهب له على ذلك ألف دينار لما وقع منه موقع الرضا فصار ما قيمته حبة بألف دينار فاذا لم يرضه الملك ورده اليه رجع الى قيمته الخسيسة من حبة أو دانق فكذلك ما نحن فيه فتنبه وأبصر منة الله وصن فعلك عما يشينه عند الله عز وجل * والاصل الثانى ما تعلم أن الملك فى الدنيا اذا أجرى على أحد جراية من طعام أو شراب أو كسوة أو دراهم أو دنانير معدودة فانية فانه يستخدمه آناء الليل والنهار مع ما فى ذلك من الذل والصغار ويقوم على رأسه حتى تخدر رجلاه ويسعى بين يديه اذا ركب وربما يحتاج أن يكون على بابه طول الليل حارسا وربما يبدو له عدو فيحتاج أن يقاتل عدوه فيبذل روحه التى لاخلف عنها لاجله ويحتمل كل هذه الخدمة والكلفة والخطر والضرر لاجل تلك المنفعة النكدة الحقيرة مع أنها بالحقيقة من الله تعالى وانما هو بمنزلة سبب فى ذلك فربك الذى خلقك ولم تك شيأ ثم رباك فأحسن اليك التربية ثم أنعم عليك من النعم الظاهرة والباطنة فى دينك ونفسك ودنياك ما لا يبلغ كنهها فهمك ووهمك قال عز من قائل وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها الآية ثم انك تصلى ركعتين مع ما فيهما من المعايب والآفات ومع ما وعد عليهما فى المستقبل من حسن الثواب وضروب الكرامات حتى تستعظم ذلك وتعجب به فليس ذلك من شأن عاقل اذا نظرت فهذه هذه * والاصل الثالث أن الملك الذى من شأنه أن يخدمه الملوك والامراء وتقوم على رأسه السادات والعظماء ويتولى خدمته الألباء والحكماء ويطلب مدحته العقلاء والعلماء ويمشى بين يديه الاكابر والرؤساء اذا أذن لسوقى أو قروى بمقتضى رأفة وعناية له فى بابه حتى زاحم أولئك الملوك والسادات والاكابر والافاضل فى خدمته ومدحته وجعل له مقاما من حضرته معلوما ونظر الى خدمه بعين الرضا وان كانت مشوشة معيبة أليس يقال له قد كبرت على هذا الحقير المنة من الملك وعظمت عنايته به فان أخذ هذا الحقير يمن على الملك بتلك الخدمة المعيبة

والمعاشرة مع الخالق سبحانه وتعالى ومع الخلق اعلم ان صاحبك الذى لا يفارقك فى حضرك وسفرك ونومك ويقظتك بل حياتك وموتك هو ربك وسيدك ومولاك وخالقك ومهما ذكرته فهو جليسك اذ قال الله تعالى أنا جليس من ذكرنى ومهما انكسر قلبك حزنا على تقصيرك فى حق دينك فهو صاحبك وملازمك اذ قال الله تعالى انا عند المنكسرة قلوبهم من أجلى فلو عرفته حق معرفته لاتخذته صاحبا وتركت الناس جانبا فان لم تقدر على ذلك فى جميع أوقاتك فاياك أن تخلى ليلك ونهارك عن وقت تخلو فيه لمولاك وتتلذذ معه بمناجاتك وعند ذلك فعليك أن تتعلم آداب الصحبة مع الله تعالى (وآدابها) اطراق الرأس وغض الطرف وجمع الهم ودوام الصمت وسكون الجوارح ومبادرة الامر واجتناب النهى وقلة الاعتراض على القدر ودوام الذكر وملازمة الفكر وايثار الحق على الباطل واليأس عن الخلق والخضوع تحت الهيبة والانكسار تحت الحياء والسكون عن حيل الكسب

و يستعظم ذلك ويعجب به ألا يقال ان ذلك لسفيه جدا أو مجنون لا يعقل شيأ ولما تقرر هذا فان الله سبحانه هو الملك الذى يسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شئ الا يسبح بحمده والمعبود الذى يسجد له من فى السموات والارض طوعا وكرها فمن الخدم على بابه جبريل الامين وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وحملة العرش والكروبيون والروحانيون وسائر الملائكة المقربين الذين لا يحصى عددهم الا الله رب العالمين فى منازلهم الرفيعة وأنفسهم الطاهرة وعباداتهم العظيمة ثم من الذين هم خدمة على بابه آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد خير العالمين مع سائر الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فى مراتبهم المنيفة ومناقبهم العزيزة الشريفة ومقاماتهم الكريمة وعاداتهم الجليلة الخطيرة ثم العلماء الائمة الابرار والزهاد فى مراتبهم العظيمة الفاخرة وأبدانهم النقية الطاهرة وعباداتهم الكثيرة الخالصة المتظاهرة وأذل الخدم على بابه ملوك الدنيا وجبابرتها يخرون له على الاذقان ساجدين صاغرين ويعفرون الوجوه فى التراب خاضعين ويرفعون حوائجهم اليه باكين باهلين ضارعين ويعترفون له بالعبودية ولأنفسهم بالنقص ساجدين صاغرين حتى ربما ينظر اليهم نظرة ويقضى لهم بفضله حاجة أو يتجاوز عنهم بكرمه زلة وانه مع هذه العظمة والجلال والملك والكمال قد أذن لك فى حقارتك وعيوبك وقذارتك وأنت الذى لو استأذنت على رأس بلدك فربما لا يأذن لك وان كلمت أمير ناحيتك فربما لا يكلمك وان سجدت لسلطان بلدك بالارض فربما لا يلتفت اليك وقد أذن لك جل جلاله حتى تعبده وتثنى عليه وتخاطبه بل تدلى عليه بالمسئلة وتباسطه فتستقضيه حاجتك وتستكفيه مهماتك ثم انه يرضى ركعتيك فى معايبهما بل يعدك عليهما من الثواب ما لا يخطر بقلب بشر وأنت مع ذلك تعجب بهاتين الركعتين وتستكثر ذلك وتستعظمه ولا ترى منة الله عليك فى ذلك فما أسوأك من عبد وما أجهلك من انسان * والله تعالى المستعان واليه المشتكى من هذه النفس الجاهلة وعليه التكلان فهذه هذه

﴿فصل﴾ وعلى وجه آخر ان الملك العظيم اذا أذن فى ادخال الهدايا اليه فتدخل بحضرته الامراء والكبراء والرؤساء والنبلاء والاغنياء بانواع الهدايا من الجواهر الثمينة والذخائر النفيسة والاموال الجليلة فان جاء بقال بباقة بقل أو قروى بسلة عنب تساوى دانقا أو حبة فيدخل فى حضرته ويزاحم أولئك الاكابر والاغنياء بهداياهم الكثيرة الشريفة وهذا الملك يقبل من هذا الفقير هديته وينظر اليه بنظر القبول والرضا ويأمر له بأنفس خلعة وكرامة ألا يكون ذلك منه غاية الفضل والكرم فان أخذ هذا الفقير يمن بذلك على الملك ويعجب به ويستعظمه وينسى ذكر منة الملك ألا يقال ان هذا لمجنون مضطرب العقل أو سفيه سيء الادب عظيم الجهل فالآن يجب أنك اذا قمت لله ليلة وصليت له ركعتين فاذا فرغت فتفكر كم قام لله سبحانه فى هذه الليلة من الخدم فى أقطار الارض برها وبحرها وجبالها وبلادها من أصناف المستقيمين والصديقين والخائفين والمشتاقين والمجتهدين والمتضرعين وكم حضرت فى هذه الساعة بباب الله سبحانه من عبادة صافية وخدمة خالصة عن أنفس خاشعة وألسن طاهرة وعيون باكية وقلوب عامرة وصدور نقية وأركان تقية وصلواتك ان كنت بذلت المجهود فى تحسينها واحكامها واخلاصها فلا تكاد تصلح لحضرة هذا الملك العظيم ولا تقبل فى جنب تلك العبادات التى تعرض هنالك كيف وقد كانت منك عن قلب غافل مختلط بانواع العيوب وبدن نجس باقذار الذنوب ولسان متلطخ بانواع المعصية والفضول فكيف يصلح هذا ان يحمل الى تلك الحضرة وكيف يستأهل أن يهدى الى رب العزة قال شيخنا رحمه الله انظر أيها العاقل هل وجهت قط صلاة من صلواتك الى السماء كأنك بعثتها الى بيوت الاغنياء وكان أبو بكر الوراق يقول ما فرغت من صلاة الا استحييت منها حين فرغت منها أشد حياء

ثقة بالضمان والتوكل على فضل الله معرفة بحسن الاختيار وهذا كله ينبغى أن يكون شعارك فى جميع ليلك ونهارك فانه آداب الصحبة مع صاحب لا يفارقك الخلق يفارقونك فى بعض أوقاتك وان كنت عالما فآداب العلم سبعة عشر الاحتمال ولزوم الحلم والجلوس بالهيبة على سمت الوقار مع اطراق الرأس وترك التكبر على جميع العباد الا على الظلمة زجرا لهم عن الظلم وايثار التواضع فى المحافل والمجالس وترك الهزل والدعابة والرفق بالمتعلم والتأنى بالمتعجرف واصلاح البليد بحسن الارشاد وترك الحرد عليه وترك الانفة من قول لا أدرى وصرف الهمة الى السائل وتفهم سؤاله وقبول الحجة والانقياد للحق بالرجوع اليه عن الهفوة ومنع المتعلم كل علم يضره وزجره عن أن يريد بالعلم النافع غير وجه الله تعالى وصد المتعلم عن أن يشغل نفسه بفرض الكفاية قبل الفراغ من فرض العين وفرض عينه اصلاح ظاهره وباطنه بالتقوى ومؤاخذته نفسه أولا بالتقوى ليقتدى المتعلم أولا باعماله ويستفيد ثانيا من أقواله وان كنت متعلما فآدب

من

من امرأة فرغت من الزنا * ثم ان الرب الكريم سبحانه بمحض كرمه وفضله عظم قدرهاتين الركعتين ووعد عليهما من جزيل الثواب ما وعد وأنت عبده وفي جرايته وعملت ما عملت بتوفيقه وتيسيره مع ذلك كله تعجب بذلك وتنسى منة الله عليك هذا والله أعجب العجب لا يكاد يصدر مثله الا عن جاهل لا فكر له وغافل لا ذهن له أو قلب ميت خال لا خير فيه فهذه هذه نسأل الله حسن الكفاية بمنه وفضله

﴿فصل﴾ ثم أقول بعد هذه الجملة تيقظ من رقدتك أيها الرجل في هذه العقبة والا كنت من الخاسرين فان هذه العقبة أشد وأشق وأمر وأضر عقبة استقبلتك في هذه الطريق اذ اليها تنتهي ثمرة كل ما مضى من العقبات فان سلمت غنمت وربحت وان كانت الأخرى فقد ضاع السعي كله وخاب الامل وبطل العمر ثم الشأن كله أنه قد اجتمع في هذه العقبة ههنا ثلاثة أمور الاول منها أن الامر دقيق جدا والغبن شديد والخطر عظيم أما دقة الامر فان مجاري الرياء والعجب في الاعمال دقيقة خفية بالغاية فلا يكاد يتنبه لذلك الا كل نحرير في أمر الدين بصير يقظان القلب متحرز وأنى يطلع عليه الجاهل اللعوب والغافل النؤم * ولقد سمعت بعض علمائنا رحمهم الله بنيسابور يحكي أن عطاء السلمي رحمة الله عليه ورضوانه نسج ثوبا فأحكمه وحسنه جدا ثم حمله الى السوق فعرضه فاسترخصه البزاز فقال ان فيه عيوبا كيت وكيت فأخذه عطاء وجلس يبكي بكاء شديدا فندم الرجل على ذلك وجعل يعتذر اليه ويبذل له في ثمنه ما يريد فقال له عطاء ليس ذلك كما تظن انما أنا عامل في هذه الصناعة وقد اجتهدت في إحكام هذا الثوب واصلاحه وتحسينه حتى لا يوجد به عيب فلما عرض على البصير بعيوبه أظهر فيه عيوبا كنت عنها غافلا فكيف أعمالنا هذه اذا عرضت غدا على الله كم يبدو فيها من العيوب والنقصان الذي نحن اليوم عنها غافلون * وعن بعض الصالحين قال كنت ليلة في وقت السحر في غرفة لي شارعة أقرأ سورة طه فلما أن ختمتها اغفوت غفوة فرأيت شخصا نزل من السماء بيده صحيفة فنشرها بين يدي فاذا فيها سورة طه واذا تحت كل كلمة عشر حسنات مثبتة الا كلمة واحدة فاني رأيت مكانها محوا ولم أر تحتها شيأ فقلت والله لقد قرأت هذه الكلمة ولا أرى لها ثوابا ولا أراها أثبتت فقال الشخص صدقت قد قرأتها وكتبناها الا أنا سمعنا مناديا ينادي من قبل العرش امحوها وأسقطوا ثوابها فمحوناها قال فبكيت في منامي وقلت لم فعلتم ذلك قال مر رجل فرفعت بها صوتك لاجله فذهب ثوابها فهذه هذه * وأما شدة الغبن فلان الرياء والعجب آفة عظيمة تقع في لحظة فربما تفسد عليك عبادة سبعين سنة * وحكى أن رجلا أضاف سفيان الثوري رحمه الله وأصحابه فقال لاهله هاتوا الطبق لا الذي أتيت به في الحجة الاولى بل الذي أتيت به في الحجة الثانية فنظر اليه سفيان وقال مسكين قد أفسد عليه بهذا حجتيه ووجه آخر في الغبن أن أقل طاعة سلمت عن هذا الرياء والعجب يكون لها من الله عز وجل من القيمة ما لا نهاية له وأكثر طاعة اذا أصابتها هذه الآفة بقيت لا قيمة لها الا أن يتداركها الله تعالى على ما روي عن علي رضي الله عنه أنه قال لا يقل عمل مقبول ألبتة وكيف يقل عمل مقبول * وسئل النخعي عن عمل كذا وكذا ما ثوابه فقال اذا قبل لا يحصى ثوابه * وعن وهب قال كان فيمن كان قبلكم رجل عبد الله سبعين عاما صائما ثم يفطر من سبت الى سبت فطلب الى الله حاجة فلم تقض له فاقبل على نفسه يلومها وقال من قبلك أتيت لو كان عندك خير لقضيت حاجتك فانزل الله تعالى ملكا فقال يا ابن آدم ساعتك التي ازدريت فيها نفسك خير من عبادتك التي مضت * قلت فلينظر العاقل الى هذا الكلام أليس من الغبن أن واحدا يكدح ويتعب سبعين سنة وآخر يتفكر ساعة واحدة فتكون فكرة ساعة أفضل عند الله من عبادة سبعين سنة أليس هذا من الغبن العظيم انك متمكن من ساعة خير من سبعين سنة وتترك ذلك من غير حاجة بلى والله انه لأعظم الغبن وان اغفاله لأشد خسرانا وان الخصلة التي لها هذه القيمة

المتعلم مع العالم أن يبدأه بالتحية والسلام وأن يقل بين يديه الكلام ولا يتكلم ما لم يسأله استاذه ولا يسأل أولا ما لم يستأذن ولا يقول في معارضة قوله قال فلان بخلاف ما قلت ولا يشير عليه بخلاف رأيه فيرى أنه أعلم بالصواب من أستاذه ولا يشاور جليسه في مجلسه ولا يلتفت الى الجوانب بل يجلس مطرقا ساكتا متأدبا كأنه في الصلاة ولا يكثر عليه عند ملله واذا قام قام له ولا يتعبه بكلامه وسؤاله ولا يسأله في طريقه الى أن يبلغ الى منزله ولا يسيء الظن به في أفعال ظاهرها منكرة عنده فهو أعلم بأسراره * وليذكر عند ذلك قول موسى للخضر عليهما السلام أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيأ إمرا وكونه مخطئا في انكاره اعتمادا على ظاهره وان كان له والدان فأدب الولد مع الوالدين أن يسمع كلامهما ويقوم لقيامهما ويمتثل أمرهما ولا يمشي أمامهما ولا يرفع صوته فوق أصواتهما ويلبي دعوتهما ويحرص على مرضاتهما ويخفض لهما الجناح ولا يمن عليهما بالبر لهما ولا بالقيام لامرهما ولا ينظر اليهما شزرا ولا يقطب وجهه في وجوههما ولا يسافر الا

والخطر يجب أن تحذر وتجتنب ولمثل هذا المعنى انما وقع نظر أولى الابصار من العباد فى مثل هذه الدقائق فاهتموا لمثل هذه الاسرار بمعرفتها أوّلا ثم رعايتها والتحفظ عنها ثانيا ولم تغنهم كثرة الاعمال بالظاهر وقالوا الشأن فى الصفوة لا فى الكثرة وقالوا جوهرة واحدة خير من ألف خرزة وأما الذين قلّ علمهم وكلّ فى هذا الباب نظرهم فجهلوا المعانى وأغفلوا ما فى القلوب من عيوب واشتغلوا باتعاب النفوس فى الركوع والسجود والامساك عن الطعام والشراب ونحوه فغرّهم العدد والكثرة ولم ينظروا ما فيها من المنح والصفوة وما يغنى عدد الجوز ولا لب فيه وما ينفع رفع السقوف ولم تحكم مبانيها وما يعقل هذه الحقائق الا العالمون بالله المكاشفون والله تعالى ولى الهداية بفضله ﴿وأما عظم الخطر فمن وجوه﴾ أحدها أن المعبود ملك لا نهاية لجلاله وعظمته وله عليك نعم لا تعد ولا تحصى ولك بدن معيب بعيوب خفية مؤف بآفات كثيرة وأمر مخوف ان وقع لك زلل مع تسارع النفس اليه فتحتاج أن تستخرج عملا صافيا سالما من بدن معيب ونفس ميالة الى الشر أمارة بالسوء على وجه يصلح لرب العالمين فى جلاله وعظمته وكثرة أياديه ومنته ويقع منه موقع الرضا والقبول والا فيفوتك الربح العظيم الذى لا تسمح النفس بفوته بل ربما يصيبك فيه مصيبة لا طاقة لك بها وهذا والله شأن عظيم وخطب جسيم وأما جلال الملك وعظمته بحيث ان الملائكة المقربين الابرار قائمون له بالخدمة آناء الليل والنهار حتى ان منهم من هو منذ خلقه الله تعالى فى قيام ومنهم من هو فى ركوع ومنهم من هو فى سجود ومنهم من هو فى تسبيح وتهليل فلا يتم القائم قيامه ولا الراكع ركوعه ولا الساجد سجوده ولا المسبح تسبيحه ولا المهلل تهليله مادّا به صوته الى نفخ الصور ثم لما فرغوا من هذه الخدمة العظيمة نادوا باجمعهم سبحانك ما عبدناك حق عبادتك وهذا سيد المرسلين وخير العالمين أعلم الخلق وأفضلهم محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله أجمعين يقول لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك يقول أنا لا أقدر أن أثنى عليك ثناء أنت له أهل فضلا عن أن أعبدك كما أنت له أهل وهو الذى يقول ليس أحد يدخل الجنة بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدنى الله برحمته ﴿وأما النعم والايادى﴾ فكما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وعلى ما روى أنه يحشر الناس على ثلاثة دواوين ديوان الحسنات وديوان السيآت وديوان النعم فتقابل الحسنات بالنعم فلا يؤتى بحسنة الا أتى بنعمة حتى تغمر الحسنات النعم وتبقى السيآت والذنوب فلله تعالى فيها المشيئة ☼ وأما عيوب النفس وآفاتها فقد قدمناها فى بابها والامر المخوف أن العبد يكدح فى العبادة ويدأب سبعين سنة غافلا عن عيوبه وآفاته فربما لا يكون واحد منها مقبولا وربما يتعب أعواما فتفسده ساعة واحدة وأعظم خطرا من ذلك كله انه ربما ينظر الله تعالى الى العبد وهو يرائى الناس بعبادته وخدمته حيث جعل ظاهره لله وباطنه للخلق فيطرده طرد الامر دله والعياذ بالله ☼ ولقد سمعت بعض العلماء يحكى عن الحسن البصرى رحمه الله أنه رؤى فى المنام بعد موته فسئل عن حاله فقال أقامنى الله بين يديه وقال يا حسن أتذكر يوم كنت تصلى فى المسجد اذ رمقك الناس بابصارهم فزدت حسنا لصلاتك فلولا أن أول صلاتك كان لى خالصا لطردتك اليوم عن بابى ولقطعتك عنى مرة واحدة ولما كان الامر فى الجملة من الدقة والصعوبة الى حد عظيم نظر أولو الابصار فيه فخافوا على أنفسهم حتى ان منهم من لا يلتفت الى جميع ما يظهر للناس عن أعماله حتى حكى عن رابعة أنها قالت ما ظهر لى من عملى لا أعده شيأ وقال آخر اكتم حسناتك كما تكتم سيآتك وآخر يقول ان أمكنك أن تجعل لك خبأ من الخير فافعل ولقد حكى انه قيل لرابعة بم ترتجين أكثر ما ترتجين قالت بيأسى من جل عملى ☼ وحكى انه اجتمع محمد بن واسع ومالك بن دينار فقال مالك اما طاعة الله أو النار فقال محمد بن واسع اما رحمة الله أو النار فقال مالك ما أحوجنى الى معلم مثلك ☼ وعن أبى يزيد البسطامى رحمه الله قال كابدت العبادة

بالحكمة ☼ واعلم أن الناس بعد هؤلاء فى حقك ثلاثة أصناف اما أصدقاء واما معاريف واما مجاهيل فان بليت بالعوام المجهولين فأدب مجالسة العامة ترك الخوض فى حديثهم وقلة الاصغاء الى أراجيفهم والتغافل عما يجرى من سوء ألفاظهم والاحتراز عن كثرة لقائهم والحاجة اليهم والتنبيه على منكراتهم باللطف والنصح عند رجاء القبول منهم ﴿وأما الاخوان والاصدقاء﴾ فعليك فيهم وظيفتان ☼ أحدهما أن تطلب أوّلا شروط الصحبة والصداقة فلا تؤاخ الا من يصلح للاخوة والصداقة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل فاذا طلبت رفيقا ليكون شريكك فى التعلم وصاحبك فى أمر دينك ودنياك فراع فيه خمس خصال ☼ الاولى العقل فلا خير فى صحبة الاحمق فالى الوحشة والقطيعة يرجع آخرها وأحسن أحواله أن يضرك وهو يريد أن ينفعك والعدو العاقل خير من الصديق الاحمق قال علىّ رضى الله عنه

ولا تصحب أخا الجهل

وإياك وإياه

ثلاثين سنة فرأيت قائلا يقول لى يا أبا يزيد خزائنه مملوأة من العبادة فان أردت الوصول اليه فعليك بالذلة والافتقار * وسمعت الاستاذ أبا الحسن يحكى عن الاستاذ أبى الفضل رحمهما الله أنه كان يقول انى أعلم أن ما أعمله من الطاعات غير مقبول عند الله تعالى فقيل له فى ذلك فأجاب انى أعلم ما يحتاج اليه الفعل حتى يكون مقبولا واعلم انى لست أقوم بذلك فعلمت انها غير مقبولة قيل له فلم تفعلها قال عسى أن يصلحنى الله تعالى يوما فتكون النفس متعودة لعمل الخير فلا أحتاج الى أن أعودها ذلك من الرأس فهذه حال هؤلاء الاعلام وذوى المجاهدات والاخطار والاقدام فكنت أنت كما قال الشاعر

فاطلب لنفسك صحبة مع غيرهم * وقع الاياس وخابت الآمال
هيهات تدرك بالتوانى سادة * كدوا النفوس وساعد الاقبال

ثم رأيت أنى أثبت ههنا الخبر المأثور عن الصادق المصدوق صلوات الله عليه وعلى آله وسلامه وقد ذكرناه فى غير كتاب واحد * روى عن ابن المبارك رحمه الله عن رجل وهو خالد ابن معدان أنه قال لمعاذ حدثنى حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظته وذكرته فى كل يوم من شدته ودقته قال نعم ثم بكى بكاء طويلا ثم قال واشوقاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى لقائه ثم قال بينا أنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ ركب وأردفنى خلفه ثم سرنا فرفع بصره الى السماء ثم قال الحمد لله الذى يقضى فى خلقه ما يشاء يا معاذ قلت لبيك يا سيد المرسلين قال أحدثك بحديث ان أنت حفظته نفعك وان ضيعته انقطعت حجتك عند الله عز وجل يا معاذ ان الله تبارك وتعالى خلق سبعة أملاك قبل أن يخلق السموات والارض لكل سماء ملكا بوابا خازنا وجعل على كل باب من أبواب السموات ملكا بوابا على قدر الباب وجلالته فتصعد الحفظة بعمل العبد وله نور وشعاع كالشمس حتى اذا بلغ السماء الدنيا والحفظة تستكثر عمله وتزكيه فاذا انتهى الى الباب قال الملك للحفظة اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا صاحب الغيبة أمرنى ربى أن لا أدع عمل من يغتاب الناس يتجاوزنى الى غيرى ثم تصعد الحفظة من الغد معهم عمل صالح له نور تستكثره الحفظة وتزكيه حتى اذا انتهوا به الى السماء الثانية قال الملك قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه فانه أراد به عرض الدنيا أمرنى ربى أن لا أدع عمله يتجاوزنى الى غيرى فتلعنه الملائكة حتى يمسى وتصعد الحفظة بعمل العبد مبتهجا به فيه صدقة وصيام وكثير من البر فتستكثره الحفظة وتزكيه فاذا انتهوا به الى السماء الثالثة قال الملك البواب قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا ملك صاحب الكبر أمرنى ربى أن لا أدع عمله يتجاوزنى الى غيرى انه كان يتكبر على الناس فى مجالسهم وتصعد الحفظة بعمل العبد وهو يزهو كما تزهو النجوم والكوكب الدرى له دوى وتسبيح بصوم وصلاة وحج وعمرة فاذا انتهوا الى السماء الرابعة قال الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا ملك صاحب الاعجاب أمرنى ربى أن لا أدع عمله يتجاوزنى الى غيرى انه كان اذا عمل عملا أدخل العجب فيه وتصعد الحفظة بعمل العبد يزف كما تزف العروس الى أهلها حتى اذا انتهوا الى السماء الخامسة بذلك العمل الحسن من جهاد وحج وعمرة له ضوء كضوء الشمس فيقول الملك أنا ملك صاحب الحسد انه كان يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد سخط ما أرضى الله أمرنى ربى أن لا أدع عمله يتجاوزنى الى غيرى وتصعد الحفظة بعمل العبد بوضوء تام وصلاة كثيرة وصيام وحج وعمرة حتى يتجاوزوا به الى السماء السادسة فيقول الملك الموكل بالباب أنا صاحب الرحمة اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه كان لم يرحم قط انسانا وان أصيب عبد شمت به أمرنى ربى أن لا أدع عمله يتجاوزنى الى غيرى وتصعد الحفظة بعمل العبد بنفقة كثيرة وصوم وصلاة وجهاد وورع له صوت كصوت الرعد وضوء كضوء البرق فاذا انتهوا به الى السماء السابعة فيقول الملك الموكل بالسماء أنا صاحب الذكر يعنى السمعة

فكم من جاهل أردى
حليما حين واخاه
يقاس المرء بالمرء
اذا ما هو ماشاه
وللشئ على الشئ
مقاييس وأشباه
وللقلب على القلب
دليل حين يلقاه

* الثانية حسن الخلق فلا تصحب من ساء خلقه وهو الذى لا يملك نفسه عند الغضب والشهوة وقد جمعه علقمة العطاردى رحمه الله فى وصيته لابنه لما حضرته الوفاة فقال يا بنى اذا أردت صحبة انسان فاصحب من اذا خدمته صانك وان صحبته زانك واذا قعدت بك مؤنة مانك اصحب من اذا مددت يدك للخير مدها وان رأى منك حسنة عدها وان رأى منك سيئة سدها اصحب من اذا قلت صدق قولك وان حاولت أمرا أعانك ونصرك وان تنازعتما فى شئ آثرك * وقال على رضى الله عنه رجزا

ان أخاك الحق من كان معك
ومن يضر نفسه لينفعك
ومن اذا ريب الزمان صدعك
شتت فيك شمله ليجمعك

* الثالثة الصلاح فلا

والصيت فى الناس ان صاحب هذا العمل أراد به الذكر فى المجالس والرفعة عند القرناء والجاه عند الكبراء أمرنى ربى أن لا أدع عمله يتجاوزنى الى غيرى وكل عمل لم يكن لله تعالى خالصا فهو رياء ولا يقبل الله عز وجل عمل المرائى وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وصيام وحج وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر الله تعالى وتشيعه ملائكة السموات السبع حتى تقطع الحجب كلها الى الله سبحانه فيقفون بين يدى الرب جل جلاله ويشهدون له بالعمل الصالح الخالص لله تعالى فيقول الله تعالى أنتم الحفظة على عمل عبدى وأنا الرقيب على ما فى نفسه انه لم يردنى بهذا العمل وأراد به غيرى ولا أخلصه لى وأنا أعلم بما أراد من عمله عليه لعنتى غر الآدميين وغركم ولم يغرنى وأنا علام الغيوب المطلع على ما فى القلوب لا تخفى على خافية ولا تعزب عنى عازبة علمى بما كان كعلمى بما يكون وعلمى بما مضى كعلمى بما بقى وعلمى بالاولين كعلمى بالآخرين أعلم السر وأخفى فكيف يغرنى عبدى بعمله انما يغر المخلوقين الذين لا يعلمون وأنا علام الغيوب عليه لعنتى فتقول الملائكة السبعة والثلاثة الآلاف المشيعون يا ربنا عليه لعنتك ولعنتنا فتقول أهل السموات عليه لعنة الله ولعنة اللاعنين ثم بكى معاذ رحمه الله وانتحب انتحابا شديدا وقال يا رسول الله كيف النجاة مما ذكرت قال يا معاذ اقتد بنبيك فى اليقين قلت أنت رسول الله وأنا معاذ ابن جبل كيف لى بالنجاة والخلاص قال نعم يا معاذ ان كان فى عملك تقصير فاقطع لسانك عن الوقيعة فى الناس وعن اخوانك من حملة القرآن خاصة وليردك عن الوقيعة فى الناس ما تعلمه من عيب نفسك ولا تزك نفسك بذم اخوانك ولا ترفع نفسك بوضع اخوانك ولا تراء بعملك كى تعرف فى الناس ولا تدخل فى الدنيا دخولا ينسيك أمر الآخرة ولا تناج رجلا وعندك آخر ولا تعظم على الناس فتنقطع عنك خيرات الدنيا والآخرة ولا تفحش فى مجلسك حتى يحذروك من سوء خلقك ولا تمن على الناس ولا تمزق الناس بلسانك فتمزقك كلاب جهنم وهو قوله تعالى والناشطات نشطا يقول تنزع اللحم عن العظام قلت يا رسول الله ومن يطيق هذه الخصال قال يا معاذ ان الذى وصفت لك ليسير على من يسره الله تعالى عليه انما يكفيك من ذلك أن تحب للناس ما تحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك فاذن أنت قد سلمت ونجوت قال خالد بن معدان وكان معاذ لا يكثر من تلاوة القرآن كما يكثر من تلاوة هذا الحديث وذكره فى مجلسه فلما سمعت أيها الرجل وكذاكم ذاك الرجل بهذا الحديث العظيم نبؤه الكبير خطره الاليم أثره الذى تطير له القلوب وتحير له العقول وتضيق عن حمله الصدور وتجزع لهوله النفوس فاعتصم بمولاك اله العالمين والزم الباب بالتضرع والابتهال والبكاء آناء الليل وأطراف النهار مع المتضرعين المبتهلين فانه لا نجاة من هذا الامر الا برحمته ولا سلامة من هذا البحر الا بنظره وتوفيقه وعنايته فتنبه من رقدة الغافلين وأعط الامر حقه وجاهد نفسك فى هذه العقبة المخوفة لعلك لا تهلك مع الهالكين والمستعان بالله على كل حال فانه خير معين وهو تعالى أرحم الراحمين ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

﴿فصل﴾ وجملة الامر انك اذا أحسنت النظر فرأيت قدر طاعة الله تعالى ورأيت عجز الخلق وضعفهم وجهلهم فلا تلتفت اليهم بقلبك وكن زاهدا فى ثنائهم ومدحهم وتعظيمهم الذى لا فائدة تحته فلا ترد بطاعتك شيأ من ذلك واذا رأيت خسة الدنيا وحقارتها وسرعة زوالها فلا تردها أيضا بطاعتك من الله وقل يا نفس ثناء رب العالمين وشكره خير من ثناء المخلوقين العاجزين الجاهلين الذين لا يعرفون قدر عملك بالحقيقة وما تحملت فيه وما يبلغون حقك فيما عملت وتحملت بل ربما يفضلون عليك من هو أدون منك حالا بالا مدرجة ويضيعونك فى أحوج الاوقات وينسونك وان لم يفعلوا ذلك فماذا عسى أن يكون بأيديهم والى ماذا تبلغ قدرتهم ثم هم فى قبضة الله تعالى يصرفهم كيف يشاء والى ما يشاء فاعقلى أيتها النفس فلا تضيعى طاعتك العزيزة بهم ولا يفوتك ثناء من ثناؤه كل فخر وعطاء من عطاؤه كل ذخر

صحب فاسقا مصرا على معصية كبيرة لان من يخاف الله لا يصر على معصية كبيرة ومن لا يخاف الله لا تؤمن غوائله بل يتغير بتغير الأعراض والاحوال قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه فاحذر صحبة الفاسق فان مشاهدة الفسق والمعصية على الدوام تزيل عن قلبك كراهية المعصية وتهوّن عليك أمرها ولذلك هان على القلوب معصية الغيبة لالفهم لها ولو رأوا خاتما من ذهب أو ملبوسا من حرير على فقيه لاشتد انكارهم عليه والغيبة أشد من ذلك * الرابعة لا تصحب حريصا فصحبة الحريص على الدنيا سم قاتل لان الطباع مجبولة على التشبه والاقتداء بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدرى فمجالسة الحريص تزيد فى حرصك ومجالسة الزاهدين تزيد فى زهدك * الخامسة الصدق فلا تصحب كذابا فانك منه على غرور فانه مثل السراب يقرب منك البعيد ويبعد منك القريب ولعلك لا تعدم احتمال هذه الخصال فى سكان المدارس والمساجد فعليك

ولقد

ولقد صدق القائل   سهر العيون لغير وجهك باطل * و بكاؤهن لغير فقدك ضائع

وقل يانفس أجنة الخلد خير أم لطخة من حرام الدنيا وحطامها النكد الفاني وأنت متمكنة من أن يحصل لك بطاعتك هذا النعيم المقيم فلا تكوني خسيسة الهمة رديئة الارادة دنيئة الافعال أماترين الحمام اذا كان سماويا كيف تعلو قيمته ويزداد قدره فارفعي همتك كلها الى السماء وجردي قلبك لله تعالى الواحد الذي بيده الامر كله ولا تضيعي ماظفرت به من طاعتك بلاشئ وكذلك اذا أحسنت التأمل فرأيت أيادي الله تعالى ومننه العظام عليك في هذه الطاعة بان أمكنك منها وأعطاك الآلة أولا ثم أزاح عنك العوائق حتى تفرغت لهذه الطاعة ثانيا ثم خصك بالتوفيق والتأييد ويسرها عليك وزينها في قلبك حتى عملتها ثالثا ثم مع جلاله وعظمته واستغنائه عنك وعن طاعتك وكثرة نعمته عليك أعدلك على هذا العمل اليسير الثناء الجزيل والثواب العظيم الذي لا تستحقينه رابعا ثم شكرك على ذلك وأثنى عليك على هذا العمل اليسير الثناء الجزيل وأحبك بذلك خامسا فهذه كلها بفضله العظيم لا لغير والا فبأي استحقاق لك وأي قدر لعملك الحقير المعيب فاذكري أيتها النفس منة ربك الكريم الرحيم سبحانه فيما أحسن اليك في هذه الطاعة واستحي من ان تلتفتي الى عمل بل الفضل والمنة لله تعالى علينا بكل حال ولا يكون لك شغل بعد حصول هذه الطاعة الا التضرع والابتهال الى الله سبحانه بان يتقبلها أما تسمعين قول خليله ابراهيم عليه السلام لما فرغ من خدمته في بناء بيته كيف ابتهل الى الله في أن يتفضل عليه بالقبول فقال ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ولما فرغ من دعائه قال ربنا وتقبل دعاء فلئن من عليك بقبول هذه البضاعة المزجاة فلقد أكمل النعمة وأعظم المنة فيالها من سعادة ودولة وعز ورفعة وكم تزين اذذاك لك من خلعة ونعمة وذخر وكرامة وان تكن الاخرى فيالها من خسران وغبن وحرمان فاهتمي واشتغلي بهذا الشأن فاذا واظبت على مثل ذلك وكررته على قلبك عند الفراغ من طاعتك واستعنت بالله عز وجل صرفك عن الالتفات الى الخلق والنفس وشغلك عن مراآة والاعجاب وبعثك على محض الاخلاص لله تعالى في الطاعات والتمسك بذكر منة الله تعالى في جميع الحالات ويحصل لك أرجى طاعات ظاهرة لاعيب فيها وخيرات خالصة لاشوب فيها وعبادات مقبولة لانقص فيها بل مثل هذه الطاعة وان حصلت في العمر مثلا مرة واحدة لاغير فانها بالحقيقة لكثيرة ولعمري انها وان قل عددها فقد كثر معناها وعظم قدرها وكثر نفعها وطابت عقباها وان التوفيق لمثلها لعزيز والفضل به لله تعالى على العبد لكثير فأي هدية أجل من هدية يقبلها رب العالمين وأي سعي أكرم من سعي يشكره مجيب المضطرين ويثني عليه رب العالمين وأي بضاعة أعز من بضاعة اختارها ورضيها رب العالمين فتأمل أيها المسكين واياك أن تكون من المغبونين واذا اجرى الامر على هذه الجملة كنت من المخلصين لله سبحانه الخائفين الذاكرين لمنته المرضيين وكنت قد خلفت هذه العقبة المخوفة وراءك وسلمت من آفاتها وسبقت بخيراتها وثمراتها فائزا على الابد بكراماتها وسعادتها والله سبحانه ولي التوفيق والعصمة بمنه وكرمه ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

﴿ العقبة السابعة وهي عقبة الحمد والشكر ﴾

ثم عليك وفقك الله وايانا بحسن توفيقه بعد قطع هذه العقبات والظفر بالمقصود من هذه العبادة السالمة من الآفات بالحمد والشكر لله سبحانه على هذه النعمة العظيمة والمنة الكريمة وانما يلزمك ذلك لامرين أحدهما لدوام النعمة العظيمة والثاني لحصول الزيادة فامادوام النعمة فلان الشكر قيد النعم به تدوم وتبقى وبتركه تزول وتحول قال الله سبحانه ان الله لايغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم وقال عز من قائل فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون وقال سبحانه مايفعل الله

باحد أمرين اما العزلة والانفراد فان فيها سلامتك وأما أن تكون مخالطتك مع شركائك بقدر خصالهم بان تعلم ان الاخوة ثلاثة أخ لآخرتك فلانزاع فيه الا الدين وأخ لدنياك فلا نزاع فيه الا الخلق الحسن وأخ تستأنس به فلانزاع فيه الا السلامة من شره وفتنته وخبثه والناس ثلاثة أحدهم مثله مثل الغذا لايستغني عنه والآخر مثله مثل الدواء يحتاج اليه في وقت دون وقت والآخر مثله مثل الداء لايحتاج اليه قط ولكن العبد قديبتلى به وهو الذي لا أنس فيه ولانفع فتجب مداراته الى الخلاص منه وفي مشاهدته فائدة عظيمة ان وفقت لها وهو أن تشاهد من خبائث أحواله وأفعاله ماتستقبحه فتجتنبه فالسعيد من وعظ بغيره والمؤمن مرآة المؤمن * وقيل لعيسى عليه السلام من أدبك قال ما أدبني أحد ولكن رأيت جهل الجاهل فاجتنبته * ولقد قال صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم فلو اجتنب الناس مايكرهونه من غيرهم لكملت آدابهم واستغنوا عن المؤدبين ﴿الوظيفة الثانية﴾ حقوق

بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان للنعم أوابد كأوابد الوحش فقيدوها بالشكر وأما حصول الزيادة فلما كان الشكر هو قيد النعمة فهو يثمر الزيادة وقال الله سبحانه لئن شكرتم لازيدنكم والذين اهتدوا زادهم هدى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فالسيد الحكيم اذا رأى العبد قد قام بحق نعمة يمنّ عليه باخرى ويراه أهلا لها والا فيقطع ذلك عنه ثم النعم قسمان دنيوية ودينية فالدنيوية ضربان نعمة نفع ونعمة دفع فنعمة النفع أن أعطاك المصالح والمنافع فالمنافع ضربان الخلقة السوية في سلامتها وعافيتها واللذات الشهية من المطعم والمشرب والملبس والمنكح وغيرها من فوائدها ونعمة الدفع أن صرف عنك المفاسد والمضارّ وهي ضربان أحدهما في النفس بان سلمك من زماناتها وسائر آفاتها وعللها والثاني دفع ما يلحقك بضر من أنواع العوائق أو يقصدك به بشر من انس أوجن وسباع وهوام أونحوها * وأما النعم الدينية فضربان نعمة التوفيق ونعمة العصمة فنعمة التوفيق أن وفقك الله أوّلا للاسلام ثم للسنة ثم للطاعة ونعمة العصمة أن عصمك أوّلا عن الكفر والشرك ثم عن البدعة والضلالة ثم عن سائر المعاصي وتفصيل ذلك لا يحصيه الا السيد العالم الذي أنعم عليك كما قال جلّ وعلا وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وان دوام هذه النعم كلها بعد أن منّ عليك بها والزيادة عليها من كل باب منها مما لا يحصيه ولا يبلغه وهمك وكلها تتعلق بشيء واحد وهو الشكر والحمد لله وان خصلة تكون لها هذه القيمة وتكون فيها كل هذه الفائدة لحقيق بان يتمسك بها من غير اغفال بحال فانه جوهر ثمين وكيمياء عزيزة والله ولي التوفيق بفضله ورحمته * فان قيل فما حقيقة الحمد والشكر وما معناهما وحكمهما * فاعلم أن العلماء فرقوا بين الحمد والشكر عند التحصيل بان الحمد من أشكال التسبيح والتهليل فيكون من المساعي الظاهرة والشكر من أشكال الصبر والتفويض فيكون من المساعي الباطنة لان الشكر يقابل الكفر والحمد يقابل اللوم ولان الحمد أعم وأكثر والشكر أقل وأخص قال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور فثبت انهما معنيان متميزان ثم الحمد هو الثناء على أحد بالفعل الحسن هذا مقتضى كلام شيخنا رحمه الله وأما الشكر فتكلموا في معناه وأكثروا فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال الشكر هو الطاعة بجميع الجوارح لرب الخلائق في السر والعلانية والى نحوه ذهب بعض مشايخنا فقال الشكر هو أداء الطاعات في الظاهر والباطن ثم رجع الى أنه اجتناب المعاصي ظاهرا وباطنا وقال غيره الشكر الاحتراس عن اختيار معاصي الله تحترس على قلبك ولسانك وأركانك حتى لا تعصي الله عز وجل بشيء من هذه الثلاثة بوجه من الوجوه والفرق بين قوله وبين قول الشيخ الاول أنه رحمه الله تعالى جعل الاحتراس معنى مثبتا زائدا على الاجتناب عن المعاصي وأما الاجتناب عن المعصية فما هو الا أن لا يفعل المعصية عند دواعيها ولا يكون في نفسه معنى محصلا يكون العبد به مشتغلا وعن الكفران معتصما وقال شيخنا رحمه الله تعالى ان الشكر تعظيم المنعم على مقابلة نعمته على حد يمنعه عن جفاء المنعم وكفرانه ولو قلت تعظيم المحسن على مقابلة احسانه لصح أن يكون من الله الشكر للعبد فحسن وفيه تفاصيل قد شرحناها في كتاب احياء علوم الدين وغيره ولكن التحصيل أن الشكر من العبد تعظيم يمنع من جفاء من أحسن اليه وذلك بتذكر احسانه وحسن حال الشاكر في شكره وقبح حال الكافر في كفرانه * قلت ان أقل ما يستوجبه المنعم بنعمته أن لا يتوصل بها الى معصية وما أقبح حال من جعل نعمة المنعم سلاحا على عصيانه فعلى العبد اذن من فرض الشكر في حقيقته أن يكون له من تعظيم الله سبحانه ما يحول بينه وبين معاصيه على حسب تذكر نعمه فاذا أتى بذلك فقد أتى بما هو الاصل فيه ثم يقابل ذلك بجد في الطاعة وجهد في القيام بالخدمة اذ هو من حقوق النعمة فلا بد من الاحتراس عن المعصية وبالله التوفيق * فان قلت فما موضع الشكر فاعلم أن موضعه النعم الدينية

الصحبة فهما انعقدت الشركة وانتظمت بينك وشريكك الصحبة فعليك حقوق يوجبها عقد الصحبة وفي القيام بها آداب وقد قال صلى الله عليه وسلم مثل الاخوين مثل اليدين تغسل احداهما الاخرى ودخل صلى الله عليه وسلم أجمة فاجتنى منها سواكين أحدهما معوج والآخر مستقيم وكان معه بعض أصحابه فأعطاه المستقيم وأمسك لنفسه المعوج فقال يارسول الله انك أحق مني بالمستقيم فقال صلى الله عليه وسلم ما من صاحب يصحب صاحبا ولو ساعة من نهار الا سئل عن صحبته هل أقام فيها حق الله تعالى أو أضاعه * وقال صلى الله عليه وسلم ما اصطحب اثنان قط الا وكان أحبهما الى الله تعالى أرفقهما بصاحبه

﴿ وآداب الصحبة ﴾

الايثار بالمال فان لم يكن هذا فبذل الفضل من المال عند الحاجة والاعانة بالنفس في الحاجات على سبيل المبادرة من غير احواج الى التماس وكتمان السر وستر العيوب والسكوت عن تبليغ ما يسوءه من مذمة الناس اياه وابلاغ ما يسره

والدنيوية على اقدارهما وأما الشدائد والمصائب فى الدنيا فى نفس أو أهل أو مال فتكلموا فى ذلك هل يلزم العبد الشكر عليها قال بعضهم لا يلزم العبد الشكر عليها من حيث هى وانما يجب فيها الصبر وأما الشكر فهو على النعمة لا غير قالوا ولا شدة الا وفى جنبها نعم الله تعالى فلزم الشكر على تلك النعم المقترنة بها دون نفس الشدة وتلك النعم ماقاله ابن عمر رضى الله عنهما ما ابتليت ببلية الا كان لله تعالى على فيها أربع نعم اذ لم تكن فى دينى واذ لم تكن أعظم منها واذ لم أحرم الرضا بها واذ رجوت الثواب عليها وقد قيل أيضا من تلك النعم أن تلك الشدة زائلة غير دائمة وانها من الله تعالى دون غيره وان كانت بسبب مخلوق فانها لك عليه لا له عليك فاذن يلزم العبد الشكر على النعم المقترنة بالشدة وقال آخرون وهو الاولى عند شيخنا رحمه الله تعالى ان شدائد الدنيا مما يلزم العبد الشكر عليها لان تلك الشدائد نعم بالحقيقة بدليل أنها تعرض العبد لمنافع عظيمة ومثوبات جزيلة وأعواض كريمة فى العاقبة يتلاشى فى جنبها مشقة هذه الشدائد وأية نعمة تكون أكبر من هذه ومثال ذلك من يسقيك دواء كريها مرا الماء شديد أو يفصدك أو يحجمك لعلة عظيمة مخوفة الخطر فيؤدى ذلك الى صحة النفس وسلامة البدن وصفوة العيش فيكون ايلامه اياك بمرارة الدواء أو جراحة الفصد والحجامة نعمة بالغة بالحقيقة ومنة ظاهرة وان كان فى صورته مكروها ينفر عنه الطبع وتستوحش منه النفس وأنت تحمد الذى تولى منك هذا بل تحسن اليه بما أمكنك فكذلك حكم هذه الشدائد أما ترى أن النبى صلى الله عليه وسلم كيف حمد الله وشكره على الشدائد كشكره على المسار حيث قال الحمد لله على ماساء ومر أما ترى كيف يقول جل جلاله وعسى أن تكرهوا شيأ ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وما سماه الله خيرا فهو أكثر مما يبلغه وهمك ومما يؤكد هذا القول أن النعمة ليست خيرا عن اللذة وما تشتهيه النفس بمقتضى الطبع وانما هو ما يزيد فى رفعة الدرجات ولذلك تسمى نعمة بمعنى الزيادة واذا كانت الشدة مما تصير سببا فى زيادة شرف العبد ورفعة درجته فتكون نعما بالحقيقة وان كانت تعد فى الشدائد والمحن بظاهرها فاعلم بذلك موفقا

* فان قلت فالشاكر أفضل أم الصابر * فاعلم أنه قيل ان الشاكر أفضل بدليل قوله تعالى وقليل من عبادى الشكور فجعلهم أخص الخواص وقال فى مدح نوح عليه السلام انه كان عبدا شكورا وقال فى ابراهيم عليه السلام شاكرا لأنعمه ولانه فى منزلة الانعام والعافية ولذلك قيل لان أنعم فأشكر أحب الى من أن أبتلى فأصبر وقيل بل الصابر أفضل لانه أعظم مشقة فيكون أعظم ثوابا وأرفع منزلة قال الله تعالى انا وجدناه صابرا نعم العبد وقال تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وقال تعالى والله يحب الصابرين * قلت أنا الشاكر بالحقيقة لا يكون الا صابرا والصابر بالحقيقة لا يكون الا شاكرا لان الشاكر فى دار المحنة لا يخلو من محنة يصبر عليها لا محالة ولا يجزع فان الشكر تعظيم المنعم على حد يمنع من عصيانه والجزع عصيان والصابر لا يخلو من نعمة كما ذكرنا ان الشدائد نعم بالحقيقة على المعنى المتقدم فانه شكر بالحقيقة اذا صبر عليها لانه حبس نفسه عن الجزع تعظيما لله تعالى وهذا هو الشكر بعينه اذ هو تعظيم يمنع عن العصيان ولان الشاكر يمنع نفسه عن الكفران فصبر عن المعصية وحمل نفسه على الشكر وصبر على الطاعة فصار صابرا بالحقيقة والصابر عظم الله تعالى حتى منعه تعظيمه عن الجزع فيما أصابه وحمله على الصبر فقد شكر الله تعالى فصار شاكرا بالحقيقة ولان حبس النفس عن الكفران مع قصد النفس له شدة يصبر عليها الشاكر وتوفيق الصابر والعصمة نعمة يشكر عليها الصابر فاحدهما لا ينفك عن الآخر ولان البصيرة الباعثة عليهما واحدة وهى بصيرة الاستقامة فى قول بعض علمائنا فمن هذه الوجوه قلنا ان أحدهما لا ينفك عن الآخر فاعرف هذه الجملة وبالله التوفيق

(فصل) فعليك أيها الرجل ببذل المجهود فى قطع هذه العقبة اليسيرة المؤنة الكبيرة الجدوى العزيزة

من ثناء الناس عليه وحسن الاصغاء عند الحديث وترك المماراة فيه وأن يدعوه باحب أسمائه اليه وان يثنى عليه بما يعرف من محاسنه وأن يشكره على صنيعه فى وجهه وأن يذب عنه فى غيبته اذا تعرض لعرضه كما يذب عن نفسه وأن ينصحه باللطف والتعريض اذا احتاج اليه وأن يعفو عن زلته وهفوته فلا يعتب عليه وان يدعو له فى خلوته فى حياته وبعد مماته وأن يحسن الوفاء مع أهله وأقاربه بعد موته وأن يؤثر التخفيف عنه فلا يكلفه شيأ من حاجته ويروح قلبه من مهماته وأن يظهر الفرح بجميع مايتاح له من مساره والحزن بما يناله من مكارهه وأن يضمر مثل مايظهره فيكون صادقا فى وده سرا وعلانية وأن يبدأه بالسلام عند اقباله وان يوسع له فى المجلس ويخرج له من مكانه وأن يشيعه عند قيامه وأن يصمت عند كلامه حتى يفرغ من خطابه وترك المداخلة فى كلامه وعلى الجملة فيعامله بما يحب ان يعامل به فمن لا يحب لاخيه مثل مايحب لنفسه فاخوته نفاق وهى عليه فى الدنيا

العنصر العظيمة القدر وتأمل أصلين أحدهما ان النعمة انما تعطى من يعرف قدرها وانما يعرف قدرها الشاكر * ودليل ماقلناه قوله سبحانه فى الحكاية عن الكفار والرد عليهم أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين ظن أولئك الجهال ان النعمة العظيمة والمنة الكريمة انما تعطى من يكون أكثرهم مالا وأشرفهم حسبا ونسبا فقالوا مابال هؤلاء الفقراء بزعمهم من العبيد والاحرار أعطوا هذه النعمة العظيمة بزعمكم دوننا فقالوا على طريق الاستكبار ومجرى الاستهزاء أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا فاجابهم الله تعالى بهذه النكتة الزاهرة فقال أليس الله بأعلم بالشاكرين تقدير الكلام ان السيد الكريم انما يعطى نعمته من يعرف قدرها وانما يعرف قدرها من أقبل عليها بنفسه وقلبه فاختارها على غيرها ولا يعبأ بما تحمل من أعباء المؤنة فى تحصيلها ثم لا يزال قائما بالباب يؤدى شكرها وكان فى علمنا السابق أن هؤلاء الضعفاء يعرفون قدر هذه النعمة ويقومون بشكرها فكانوا أولى بهذه النعمة منكم فلا اعتبار بغناكم وثروتكم ولا جاهكم فى الدنيا وحشمتكم ولا نسبكم فى الانساب ولا حسبكم وانما تحسبون النعمة كلها الدنيا وحطامها والحسب والنسب وعلوه لا الدين والعلم والحق ومعرفته وانما تعظمون ذلك وتتفاخرون به أما ترون انكم لا تكادون تقبلون هذا الدين والعلم والحق الا بمنة على من أتاكم به وذلك لاستحقاركم ذلك وقلة مبالاتكم به وان هؤلاء الضعفاء يقتلون أنفسهم على ذلك ويبذلون فيه مهجتهم ولا يبالون بما فاتهم وبمن عاداهم مع ذلك لتعلموا أنهم هم الذين عرفوا قدر هذه النعمة ورسخ فى قلوبهم تعظيمها وهان عليهم فوت كل شئ دونها وطاب لهم احتمال كل شدة فيها فيستغرقون جميع العمر فى شكرها فلذلك استأهلوا هذه المنة الكريمة والنعمة العظيمة فى سابق علمنا وخصصناهم بها دونكم فهذه هذه * ثم أقول وكذلك كل فريق من الناس خصهم الله تعالى بنعمة من نعم الدين من علم أو عمل فانك تجدهم بالحقيقة أعرف الناس بقدرها وأشدهم تعظيما لها وأجدهم فى تحصيلها وأعظمهم فى اكرامها وأقومهم بشكرها والذين حرمهم الله ذلك فلقلة احتفالهم وتعظيمهم لحقها بعد القدر السابق فلو كان تعظيم العلم والعبادة فى قلوب العامة والسوقة مثل مافى قلوب العلماء والمتعبدين لما آثروا سوقهم عليه وهان عليهم تركها ألا ترى أن فقيها اذا ظفر بتعليم مسئلة كانت ملتبسة عليه ثم ظفر بها كيف يرتاح قلبه ويعظم سروره ويجل موقعها من قلبه حتى انه ربما لو وجد ألف دينار ما كان يعدل ذلك وربما يهمه أمر مسئلة فى باب الدين فيتفكر فيها سنة بل عشرا بل عشرين وأكثر لا يستكثر ذلك ولا يمل حتى ربما رزقه الله تعالى فهم ذلك فيعده أعظم منة وأكبر نعمة ويرى نفسه بذلك أغنى كل غنى وأشرف كل شريف بل ربما يتبين مثل هذه المسئلة لسوقى أو لمتعلم كسلان يرى من نفسه أنه مثله فى الرغبة فى العلم والمحبة له فلا يستمع اليه حقه وربما ان طال عليه الكلام مل أو ينام وان تبين ذلك له فلا يعده كبير أمر وكذلك المنيب الى الله تعالى كم يجتهد ويدأب بالرياضة وصيانة النفس عن الشهوات واللذات والجام الاركان فى الحركات والسكنات عسى أن يتم الله له ركعتين فى آداب وطهارة وكم يتضرع الى الله تعالى عسى أن يرزقه ساعة مناجاة بصفوة وحلاوة فلئن ظفر بذلك فى شهر مرة بل فى سنة مرة بل فى عمره كله مرة عدّ ذلك أكبر منة وأعظم نعمة وكم يسر وكم يشكر الله تعالى ولا يكترث بما قاساه من المشقات وكابده من الليالى وهجر من اللذات فيها ثم ترى الذى يزعم أنه راغب فى العبادات يحب أن يحصل منها شيأ لو احتاج أحدهم تحصيل مثل هذه العبادة الصافية الى نقصان لقمة من عشائهم أو ترك كلمة لا تعنيهم أو دفع نوم ساعة من أعينهم فلا تسمح أنفسهم بذلك ولا تطيب قلوبهم وان اتفق لهم فى النادر حصول عبادة فى صفوة فلا يعدونه خطير أمر ولا يقدمون فيه كثير شكر وانما يعظم سرورهم ويكثر بانظاهر حمدهم اذا حصل لهم درهم أو استقامت لهم كسرة وطابت لهم مرقة أو طالت لهم فى سلامة

والآخرة وبال فهذا أدبك فى حق العوام المجهولين وفى حق الاصدقاء المؤاخين * وأما القسم الثالث وهو المعارف فاحذر منهم فانك لا ترى الشر الا ممن تعرفه أما الصديق فيعينك وأما المجهول فلا يتعرض لك وانما الشر كله من المعارف الذين يظهرون الصداقة بالسنتهم فاقلل من المعارف ماقدرت فاذا بليت بهم فى مدرسة أو جامع أو مسجد أو بلد أو سوق فيجب أن لا تستحقر منهم أحدا فانك لا تدرى لعله خير منك ولا تنظر اليهم بعين التعظيم لهم فى حال دنياهم فتهلك لان الدنيا صغيرة عند الله صغير مافيها ومهما عظم أهل الدنيا فى قلبك فقد سقطت من عين الله تعالى واياك أن تبذل لهم دينك لتنال به من دنياهم فلم يفعل ذلك أحد الا صغر فى أعينهم ثم حرم ماعندهم وان عادوك فلا تقابلهم بالعداوة فانك لا تطيق الصبر على مكافأتها فيذهب دينك فى عداوتهم فيطول عناؤك معهم ولا تسكن اليهم فى حال اكرامهم اياك وثنائهم عليك فى وجهك واظهارهم المودة لك فانك ان طلبت حقيقة ذلك

البدن ورقة فيقولون عند ذلك الحمد لله هذا من فضل الله فأنى يساوى هؤلاء الغافلون العاجزون مع أولئك السعداء المجدين المجتهدين ولذلك صار هؤلاء المساكين عن هذا الخير محرومين وأولئك المؤيدون بمظافرين فائزين وكذلك قسم الامر أحكم الحاكمين سبحانه وهو أعلم العالمين فهذا تفصيل قوله تعالى أليس الله بأعلم بالشاكرين فتفهم وراعه حقه واعلم انك لم تحرم قط خيرا أنت تتمناه الا من قبل نفسك فابذل مجهودك لتعرف قدر نعمة الله تعالى وتعظمها حق تعظيمها فتكون أهلا لها ولاعطائها ثم يمن عليك بابقائها كما من عليك بابتدائها على ما نذكره فى الاصل الثانى انه الرؤف الرحيم * الاصل الثانى أن النعمة انما تسلب ممن لايعرف قدرها والذى لايعرف قدرها الكفور الذى كفرها ولا يؤدى شكرها * ودليل ذلك قوله تعالى واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها الآية تقدير الكلام أنا أنعمنا على هذا العبد بالنعم العظام والايادى الجسام فى باب الدين بما مكناه فى ذلك من تحصيل الرتبة الكبيرة والمنزلة الرفيعة على بابنا بصيرا رفيعا عندنا عظيم القدر كبير الجاه ولكنه جهل قدر نعمتنا فمال الى الدنيا الخسيسة الحقيرة وآثر شهوة نفسه الدنيئة الرديئة ولم يعلم أن الدنيا كلها لاتزن عند الله أدنى نعمة من نعم الدين ولا تساوى عنده جناح بعوضة فكان فى ذلك بمنزلة الكلب الذى لايعرف الاكرام والراحة من الاهانة والمشقة ولا الرفعة والشرف من الحقارة والخسة فهو فى الحالتين يلهث وانما الكرامة كلها عنده فى كسرة يطعمها أو عرق مائدة يرمى اليه سواء تقعده على سرير معك أو تقيمه فى التراب والقذر بين يديك فهمته وكرامته ونعمته كلها فى ذلك فهذا العبد السوء اذا جهل قدر نعمتنا ولم يعرف حق ما آتيناه من كرامتنا فكلت بصيرته وساء فى مقام القربة أدبه بالالتفات الى غيرنا والاشتغال عن ذكر نعمتنا بدنيا حقيرة ولذة خسيسة فنظرنا اليه نظر السياسة وأحضرناه ميدان العدل وأمرنا فيه بحكم الجبروت فسلبناه جميع خلعنا وكراماتنا ونزعنا من قلبه معرفتنا فانسلخ عاريا من جميع ما آتيناه من فضلنا فصار كلبا طريدا وشيطانا رجيما مريدا نعوذ بالله ثم نعوذ بالله من سخطه وأليم عقابه انه بنا رؤف رحيم ثم اقنع بمثال ملك يكرم عبدا له فيخلع عليه خاصة ثيابه ويقربه منه ويجعله فوق سائر خدامه وحجابه وأمره بملازمة بابه ثم أمر أن يبنى له فى موضع آخر القصور وترفع له الامرة وتنصب له الموائد وتزين له الجوارى وتقام له الغلمان حتى اذا رجع من الخدمة أجلس هنالك ملكا مخدوما مكرما وما بين حال خدمته الى ملكه وولايته الا ساعة من نهار أو أقل فان أبصر هذا العبد بجانب باب هذا الملك سائسا للدواب يأكل رغيفا أو كلبا يمضغ عظما فيشتغل عن خدمة الملك بنظره اليه واقباله عليه ولايلتفت الى ماله من الخلع والكرامة فيسعى الى ذلك السائس ويمد يده ويسأله كسرة من رغيف أو يزاحم الكلب على عظمة ويغبطهما ويعظم ما هما فيه أليس الملك اذا نظر اليه فى مثل هذه الحالة يقول هذا سفيه خسيس الهمة لم يعرف حق كرامتنا ولم يقدر اعزازنا اياه بخلعنا والتقريب الى حضرتنا ما صرفنا اليه من عنايتنا وأمرنا له من الذخائر وضروب الايادى ما هذا الا ساقط الهمة عظيم الجهل قليل التمييز اسلبوه الخلع واطردوه عن بابنا فهذا حال العالم اذا مال الى الدنيا والعابد اذا اتبع الهوى بعد ما أكرمه الله بعبادته ومعرفة أياديه وشريعته وأحكامه ثم انه لم يعرف قدر ذلك فيصير الى أحقر شئ عند الله عز وجل وأهونه عنده فيرغب فيه ويحرص عليه ويكون أعظم فى قلبه وأحب اليه من جميع ما أعطى من تلك النعم العزيزة من العلم والعبادة والحكم والحقائق وكذلك من خصه الله تعالى بأنواع توفيقه وعصمته وزينه بأنوار خدمته وعبادته ويديم النظر اليه بالرحمة فى أكثر أوقاته ويباهى به ملائكته وأعطاه على بابه القيادة والوجاهة وأحله محل الشفاعة وأنزله منزلة الاعزة حتى اذا صار بحيث لو دعاه لأجابه ولباه ولو سأله أعطاه وأغناه ولو شفع فى عالم لشفعه فيهم وأرضاه ولو أقسم

لم تجد فى المائة واحدا ولا تطمع أن يكون لك فى العلن والسر واحد ولا تتعجب ان يثلبوك فى غيبتك ولا تغضب منه فانك ان أنصفت وجدت فى نفسك مثل ذلك حتى فى أصدقائك وأقاربك بل فى أستاذك ووالديك فانك تذكرهم فى الغيبة بما لا تشافههم به فاقطع طمعك عن مالهم وجاههم ومعونتهم فان الطامع فى الاكثر خائب فى المآل وهو ذليل لا محالة فى الحال فاذا سألت واحدا حاجة فقضاها فاشكر الله تعالى واشكره وان قصر فلا تعاتبه ولا تشكه فتصير عداوة وكن كالمؤمن يطلب المعاذير ولا تكن كالمنافق يطلب العيوب وقل لعله قصر لعذر لم أطلع عليه ولا تعظن فى أحد منهم ما لم تتوسم فيه أولا مخايل القبول والا لم يستمع منك وصار خصما عليك فاذا أخطؤا فى مسئلة وكانوا يأنفون من التعليم من كل أحد فلا تعلمهم فانهم يستفيدون منك علما ويصبحون لك أعداء الا اذا تعلق ذلك بمعصية يقارفونها عن جهل منهم فاذكر الحق بلطف من غير عنف وانا

عليه لا بره وا وفاة ولو خطر بباله شئ لاعطاه قبل أن يسأله بلسانه فمن كانت هذه حاله ثم لم يعرف قدر هذه النعم اولم ينظر الى قدر هذه المنزلة فيعدل عن ذلك الى شهوة نفس رديئة لا حياء لها أو لعقة من الدنيا الدنيئة التى لا بقاء لها ولم ينظر الى تلك الكرامات والخلع والهدايا والتحف والعطايا ثم ماوعد وما أعده فى الآخرة من الثواب العظيم والنعيم السابغ المقيم فما أحقرها من نفس وما أسوأه من عبد وما أعظم خطره لو علم وما أفحش صنعه لو فهم نسأل الله البر الرحيم أن يصلحنا بعظيم فضله وسعة رحمته انه أرحم الراحمين فعليك أيها الرجل ببذل المجهود حتى تعرف قدر نعم الله تعالى عليك واذا نعم عليك بنعمة الدين فاياك أن تلتفت الى الدنيا وحطامها فان ذلك منك لا يكون الا بضرب من التهاون بما أولاك ربك من نعم الدين أما تسمع قوله تعالى لسيد المرسلين ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم لا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم الآية تقديره أن كل من أوتى القرآن العظيم حق له أن لا ينظر الى الدنيا الحقيرة نظرا باستحلاء واستحسان قط فضلا عن ان يكون له فيها رغبة فليدم الشكر لله على ذلك فانها الكرامة التى حرص خليله ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه أن يمن بها على أبيه فلم يفعل وحرص حبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم أن يمن بها على عمه أبى طالب فلم يفعل وأما حطام الدنيا فانه الذى يصبه على كل كافر وفرعون وملحد وزنديق وجاهل وفاسق الذين هم أهون خلقه عليه حتى يغرقوا فيه ويصرفه عن كل نبى وصفى وصديق وعالم وعابد الذين هم أعز خلقه عليه حتى انهم لا يكادون يصيبون كسرة وخرقة ويمن عليهم بان لا يلطخهم بقذرها حتى قال عز من قائل لموسى وهرون عليهما السلام ولو أشاء أن أزينكما بزينة ليعلم فرعون حين يراها ان مقدرته تعجز عنها لفعلت ولكنى أزوى عنكما الدنيا وأرغب بكما عنها وكذلك أفعل باوليائى وانى لاذودهم عن نعيمها كما يذود الراعى الشفيق ابله عن مبارك العرة وانى لأجنبهم سكونها وعيشها وليس ذلك لهوانهم على ولكن ليستكملوا حظهم من كرامتى وقال تعالى ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة الآيتين فانظر الفرق بين الامرين ان كنت مبصرا وقل الحمد لله الذى من علينا بمن أوليائه وأصفيائه وصرف عنا فتنة اعدائه لنحظى ولنخص بالشكر الاوفر والحمد الاكبر والمنة الكبرى والنعمة العظمى التى هى الاسلام فانها الاولى والاخرى بان لا تفتر ليلك ونهارك عن شكرها فان كنت عاجزا عن عرفان قدرها فاعلم بالحقيقة أنك لو خلقت من أول الدنيا وأخذت فى شكر نعمة الاسلام من أول الوقت الى الابد ما كنت تقوم بذلك ولما قضيت بعض الحق لما هنالك من الفضل العظيم * قلت واعلم أن الموضع لا يحتمل ذكر ما يبلغه علمى من قدر هذه النعمة ولو أمليت فيه ألف ألف ورقة لكان مبلغ علمى فوق ذلك مع اعترافى بان ما أعلمه فى جنب ما لا أعلمه كنفثة فى بحار الدنيا باسرها أما تسمع ويحك قوله تعالى لسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان الى ان قال له وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وقال تعالى لقوم بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان الآية أما تسمع قوله صلى الله عليه وسلم وقد سمع رجلا يقول الحمد لله على الاسلام فقال انك لتحمد الله على نعمة عظيمة ولما قدم البشير على يعقوب عليه السلام قال على أى دين تركته قال على دين الاسلام قال الآن تمت النعمة وقيل ما من كلمة أحب الى الله تعالى ولا أبلغ عنده فى الشكر من أن يقول العبد الحمد لله الذى أنعم علينا وهدانا الى دين الاسلام واياك أن تغفل الشكر للاسلام وتغتر بما أنت عليه فى الحال من الاسلام والمعرفة والتوفيق والعصمة فان مع ذلك لا موضع للامن والغفلة فان الامور بالعواقب وكان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول ما أمن أحد على دينه الا سلب وكان شيخنا رحمه الله تعالى يقول اذا سمعت بحال الكفار وخلودهم فى النار فلا تأمن على نفسك فان الامر على الخطر ولا تدرى ماذا يكون من العاقبة

وماذا

وأيت منهم كرامة وخيرا فاشكر الله الذى حببك اليهم واذا رأيت منهم شرا فكلهم الى الله تعالى واستعذ بالله من شرهم ولا تعاتبهم ولا تقل لهم لم لم تعرفوا حقى وأنا فلان ابن فلان وأنا الفاضل فى العلوم فان ذلك من كلام الحمقى وأشد الناس حماقة من يزكى نفسه ويثنى عليها واعلم ان الله تعالى لا يسلطهم عليك الا لذنب سبق منك فاستغفر الله من ذنبك واعلم أن ذلك عقوبة من الله تعالى لك وكن فيما بينهم سميعا لحقهم أصم عن باطلهم نطوقا بمحاسنهم صموتا عن مساويهم واحذر مخالطة متفقهة الزمان لاسيما المشتغلين بالخلاف والجدال واحذر منهم فانهم يتربصون بك بحسدهم ريب المنون ويقطعون عليك بالظنون ويتغامزون وراءك بالعيون يحصون عليك عثراتك فى عشرتهم حتى يجبهوك بها فى غيظهم ومناظراتهم لا يقبلون لك

وماداسبق لك فى حكم الغيب فلا تغتر بصفاء الاوقات فان تحتها غوامض الآفات وقال بعضهم يامعشر المغترين بالعصم ان تحتها أنواع النقم زين الله ابليس بانواع عصمته وهو عنده فى حقائق لعنته وزين بلعام بأنوار ولايته وهو عنده فى حقائق عداوته وعن على رضى الله عنه انه قال كم من مستدرج بالاحسان اليه وكم من مفتون بحسن القول فيه وكم من مغرور بالستر عليه وقيل لذى النون ما أقصى مايخدع به العبد قال بالالطاف والكرامات ولذلك قال سبحانه سنستدرجهم من حيث لا يعلمون قال أهل المعرفة نسبغ عليهم النعم وننسيهم الشكر كما قال الشاعر

أحسنت ظنك بالايام اذ حسنت ✽ ولم تخف سوء مايأتى به القدر

وسالمتك الليالى فاغتررت بها ✽ وعند صفو الليالى يحدث الكدر

واعلم انك كلما صرت أقرب فامرك أخوف وأصعب والمعاملة أشد وأدق والخطر عليك أعظم فان الشئ كلما كان أبلغ علوا اذا انقلب كان أصعب وقوعا كما قيل

ماطار طير فارتفع ✽ الا كما طار وقع

فاذن لا سبيل الى الامن واغفال الشكر وترك الابتهال فى الحفظ بحال ✽ وكان ابراهيم بن أدهم يقول كيف تأمن وابراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه يقول واجنبنى وبنى أن نعبد الاصنام ويوسف الصديق عليه السلام يقول توفنى مسلما وكان سفيان الثورى لا يزال يقول اللهم سلم سلم كانه فى سفينة يخشى الغرق ✽ وبلغنا عن محمد بن يوسف رحمه الله أنه قال تأملت سفيان الثورى ليلة فبكى الليل أجمع فقلت له أبكاؤك هذا على الذنوب قال فحمل تبنة وقال الذنب أهون على الله من هذا وانما أخشى أن يسلبنى الله الاسلام والعياذ بالله ✽ وسمعت أنا بعض العارفين يقول ان بعض الانبياء عليهم السلام سأل الله تعالى عن أمر بلعام وطرده بعد تلك الآيات والكرامات فقال الله تعالى لم يشكرنى يوما من الايام على ما أعطيته ولو شكرنى على ذلك مرة واحدة لما سلبته فتيقظ أيها الرجل واحتفظ بركن الشكر جدا واحمد الله على نعمه فى الدين وأعلاها الاسلام والمعرفة وأدناها مثلا توفيق تسبيح أو عصمة عن كلمة لا تعنيك عسى أن يتم نعمه عليك ولا يبتليك بمرارة الزوال فان أمر الامور وأصعبها الاهانة بعد الاكرام والطرد بعد التقريب والفراق بعد الوصال والله تعالى الماجد الكريم الرؤف الرحيم

﴿فصل﴾ وجملة الامر أنك اذا أحسنت النظر فى منن الله تعالى العظام عليك وأياديه الجسام الكرام لديك التى لا يحصيها قلبك ولا يحيط بها وهمك حتى خلفت هذه العقبات الصعاب فوجدت العلوم والبصائر وتطهرت من الاوزار والكبائر وسبقت العوائق ودفعت العوارض وظفرت بالبواعث وسلمت من القوادح فكم حصل لك فيها من خصلة شريفة ورتبة عالية منيفة أولها التبصير والتعريف وآخرها التقريب والتشريف فتأملت فيها بمقدار عقلك وتوفيقك وشكرت الله على قدر طوقك بان يشغل لسانك بحمده وثنائه ويملأ قلبك بعظمته وبهائه ويبلغك مبلغا يحول بينك وبين عصيانه ويبعثك على الخدمة له بما أمكنك أو بسعة طاقتك معترفا بالقصور عن حق انعامه واحسانه وكلما أغفلت شكره أوفترت أو زللت عاودت واجتهدت وتضرعت اليه وابتهلت وتوسلت وقلت يا الله يامولاى كما بدأت بالاحسان بفضلك من غير استحقاق فأتممه بفضلك أيضا من غير استحقاق وتناديه بنداء أوليائه الذين وجدوا تاج هدايته وذاقوا حلاوة معرفته فخافوا على أنفسهم حرقة الطرد والاهانة ووحشة البعد والضلالة ومرارة العزل والازالة فتضرعوا بالباب مستغيثين ومدوا اليه الاكف مبتهلين ونادوا فى الخلوات مستصرخين ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب ✽ قلت أنا تقديره والله أعلم انا وجدنا منك نعمة فطمعنا فى أخرى فانك أنت الجواد الوهاب فكما وهبت لنا مزية

عثرة ولا يغفرون لك زلة ولا يسترون عليك عورة يحاسبونك على النقير والقطمير ويحسدونك على القليل والكثير ويحرضون عليك الاخوان بالنميمة والبلاغات والبهتان ان رضوا فظاهرهم الملق وان سخطوا فباطنهم الحنق ظاهرهم ثياب وباطنهم ذئاب هذا حكم ماقطعت به المشاهدة على أكثرهم الامن عصمه الله تعالى فصحبتهم خسران ومعاشرتهم خذلان هذا حكم من يظهر لك الصداقة فكيف من يجاهرك بالعداوة وقال القاضى ابن معروف رحمه الله تعالى

فاحذر عدوك مرة
واحذر صديقك ألف مره
فلربما انقلب الصديق فكان أعرف بالمضره

وكذلك قيل فى المعنى

عدوك من صديقك مستفاد
فلا تستكثرن من الصحاب
فان الداء أكثر ماتراه
يكون من الطعام أو الشراب

وكن كما قال

الانعام في الابتداء فهب لنا رحمة الاتمام في الانتهاء أما تسمع ويحك ان أول دعاء علمه رب العالمين عباده المسلمين الذين اصطفاهم من بين خلقه هذا الدعاء قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم أي ثبتنا عليه وأدمه لنا هكذا تتضرع اليه فان الخطب عظيم * وقيل ان الحكماء نظروا فردوا مصائب العالم ومحنهم كلها الى خمس المرض في الغربة والفقر في الشيب والموت في الشباب والعمى بعد البصر والفكرة بعد المعرفة وأحسن من ذلك قول من قال

لكل شيء اذا فارقته عوض * وليس لله ان فارقت من عوض

ولغيره

اذا أبقت الدنيا على المرء دينه * فما فاته منها فليس بضائر

وكذلك في كل نعمة أنعم بها عليك وتأييد أيدك به في قطع عقبة من العقبات ليثبت عليك ما أعطى ويزيدك فوق ما تريد وتتمنى فاذا فعلت ذلك كنت قد خلفت هذه العقبة الخطيرة وكنت قد ظفرت بالكنزين الكريمين العزيزين اللذين هما الاستقامة والاستزادة فتدوم لك النعم الموجودة التي أعطاكها فلا تخشى زوالها ويزيدك من النعم المفقودة التي لم تعط بعد مالا تحسن أن تسألها وتتمناها فلا تخش فواتها وكنت حينئذ من العارفين العلماء العاملين بالدين التائبين الطاهرين الزاهدين في الدنيا المتجردين للخدمة القاهرين للشيطان المتقين حق التقوى بالقلب والاركان القاصرين للامل الناصحين الخاشعين المتواضعين للمتوكلين المفوضين الراضين الصابرين الخائفين الراجين المخلصين الذاكرين المنة الشاكرين لأنعم سيدهم رب العالمين ثم تصير بعد ذلك من المستقيمين المكرمين الصديقين فتأمل هذا الكلام والله تعالى ولي التوفيق فان قلت اذا كان الامر كذلك لقد قل من الناس العابد لهذا المعبود والواصل الى هذا المقصود ومن الذي يقوى على هذه المؤن وتحصيل هذه الشرائط والسنن فاعلم ان الله تعالى كذلك يقول وقليل من عبادي الشكور ولكن أكثر الناس لا يشكرون لا يعقلون لا يعلمون ثم ان ذلك يسير على من يسره الله تعالى عليه وعلى العبد الاجتهاد وعلى الله سبحانه الهداية قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا واذا كان العبد الضعيف يقوم بما عليه فما ظنك بالرب القدير الغني الكريم الرحيم * فان قلت فالعمر قصير وهذه عقبات طويلة شديدة فكيف يبقى العمر حتى تكمل هذه الشرائط وتقطع هذه العقبات فلعمري ان هذه العقبات طويلة والشرائط فيها شديدة ولكن اذا أراد الله تعالى أن يجتبي عبده قصر عليه طويلها وهون عليه شديدها حتى يقول بعد قطعها ما أقرب هذه الطريق وأقصرها وما أهون هذا الامر وأيسره * وفي مثل ذلك قلت أنا عند وقوفي على هذه الغاية

علم المحجة واضح لمريده * وأرى القلوب عن المحجة في عمى

ولقد عجبت لهالك ونجاته * موجودة ولقد عجبت لمن نجا

حتى ان منهم من يقطع هذه العقبات في سبعين سنة ومنهم من يقطعها في عشرين سنة ومنهم من يقطعها في عشر سنين ومنهم من يحصل له في سنة ومنهم من يقطعها في شهر بل في جمعة بل في ساعة حتى ان منهم من يحصل له في لحظة بتوفيق خاص وعناية سابقة من الله سبحانه * أما تذكر أصحاب الكهف كيف كانت مدتهم خطرة حيث رأوا التغير في وجه ملكهم دقيانوس فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعوا من دونه الها الآية حصلت لهم المعرفة وأبصروا ما في هذه الطريق من الحقائق وقطعوا هذه الطريق فصاروا مفوضين متوكلين مستقيمين اذ قالوا فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته الآية وكل ذلك انما حصل لهم في مقدار ساعة أو لحظة * أما تذكر سحرة فرعون ما كانت مدتهم الا لحظة حيث رأوا معجزة موسى عليه السلام قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون فأبصروا الطريق وقطعوه فصاروا من ساعة الى ساعة بل أقل من العارفين بالله تعالى الراضين بقضاء الله تعالى الصابرين على بلائه

الشاكرين

هلال بن العلاء

لما عفوت ولم أحقد على أحد
أرحت نفسي من هم العداوات
اني أحيي عدوي عند رؤيته
لأدفع الشر عني بالتحيات
وأظهر البشر للانسان أبغضه
كأنه قد ملا قلبي مسرات
واست أسلم ممن لست أعرفه
فكيف أسلم من أهل المودات
الناس داء دواء المحض تركهم
وفي الجفاء لهم قطع الاخوات
فسالم الناس تسلم من غوائلهم
وكن حريصا على كسب المودات
وخالق الناس واصبر ما بليت بهم
صم أبكم أعمى ذا تقيات

وكن أيضا كما قال بعض الحكماء الق صديقك وعدوك بوجه الرضا من غير مذلة ولا هيبة منهما وتوقر من غير كبر وتواضع من غير مذلة وكن في

الشا كرين لآ لائه المشتاقين الى لقائه فنادوا الاضيرانا الى ربنا منقلبون * ولقد حكينا أن ابراهيم بن أدهم رحمه الله كان على ما كان عليه من أمر الدنيا فعدل عن ذلك وقصد هذه الطريق فلم يكن الامقدار سيره من بلخ الى مرور وذ حتى صار بحيث أشار الى رجل سقط من القنطرة فى الماء الكثير هنالك ان قف فوقف الرجل مكانه فى الهواء فتخلص * وان رابعة البصرية كانت أمة كبيرة السن يطاف بها فى سوق البصرة لا يرغب فيها أحد لكبر سنها فرحمها بعض التجار فاشتراها بنحو مائة درهم وأعتقها فاختارت هذه الطريق وأقبلت على العبادة فما تمت لها سنة حتى زارها زهاد البصرة وقراؤها وعلماؤها لعظم منزلتها * وأما الذى لم تسبق له العناية ولم يعامل بالفضل والهداية فيوكل الى نفسه فربما يبقى فى شعب من عقبة واحدة سبعين سنة ولا يقطعها وكم يصيح و يصرخ ما أظلم هذا الطريق وأشكله وأعسر هذا الامر وأعضله فان الشأن كله الى أصل واحد وذلك تقدير العزيز العليم العدل الحكيم * فان قلت لم اختص هذا بالتوفيق الخاص وحرم هذا وكلاهما مشتركان فى ربقة العبودية فعند هذا السؤال ينادى من سرادق الجلال أن الزم الادب واعرف سر الربوبية وحقيقة العبودية فانه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون * قلت أنا ومثال هذا الطريق فى الدنيا الصراط فى الآخرة فى عقباتها ومسافاتها ومقاطعها واختلاف أحوال الخلق فيها فمنهم من يمر عليه كالبرق الخاطف ومنهم من يمر عليه كالريح العاصف وآخر كالفرس الجواد وآخر كالطائر وآخر يمشى وآخر يزحف حتى يصير فحمة وآخر يسمع حسيسها وآخر يؤخذ بكلاليب فيطرح فى جهنم فكذلك حال هذا الطريق مع سالكيه فى الدنيا فهما صراطان صراط الدنيا وصراط الآخرة فصراط الآخرة للانفس يرى أهوالها أهل الابصار وصراط الدنيا للقلوب يرى أهوالها ذوو البصائر والالباب وانما اختلفت الاحوال للساكنين فى الآخرة لاختلاف أحوالهم فى الدنيا فتأمل ذلك حقه فهذه هذه وبالله التوفيق

(فصل) ثم اعلم ماهو التحقيق فى هذا الباب وهو انه ليس هذا الطريق فى طوله وقصره مثل المسافات الكائنة التى تسلكها الانفس فتقطعها بالاقدام فيقطع على حسب قوة الانفس وضعفها انما هو طريق روحانى تسلكه القلوب فتقطعه بالافكار على حسب العقائد والبصائر وأصله نور سماوى ونظر الهى يقع فى قلب العبد فينظر به نظرة فيرى بها أمر الدارين بالحقيقة ثم هذا النور ربما يطلبه العبد مائة سنة فلا يجده ولا أثرا منه وذلك لخطئه فى الطلب وتقصيره فى الاجتهاد وجهله بطريق ذلك وآخر يجده فى خمسين سنة وآخر يجده فى عشر وآخر فى يوم وآخر فى ساعة ولحظة بعناية رب العزة وهو تعالى ولى الهداية لكن العبد مأمور بالاجتهاد فعليه بما أمر والامر مقسوم مقدور والرب حكم عدل يفعل مايشاء ويحكم مايريد * فان قلت فما أعظم هذا الخطر وأشد هذا الامر وما أكثر مايحتاج اليه هذا العبد الضعيف فكل هذا العمل والجهد وتحصيل هذه الشرائط لماذا * فاقول لعمرى انك لصادق فى قولك ان الامر شديد والخطر عظيم ولذلك قال تعالى لقد خلقنا الانسان فى كبد وقال تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا ولذلك قال سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم لو علمتم ما أعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا * وماروى أن المنادى ينادى من قبل السماء ليت الخلق لم يخلقوا وليتهم اذ خلقوا علموا لماذا خلقوا وليتهم اذ علموا عملوا بما علموا وكذلك يقول السلف رضى الله عنهم فعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه انه قال وددت انى كنت خضراء تأكلنى الدواب مخافة العذاب وعن عمر رضى الله عنه انه سمع انسانا يقرأ هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيأ مذكورا قال ليتها تمت وقال أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه وددت انى كبش لاهلى فيتفرق لحمى ويتحسى مرقى ولم أخلق وعن وهب بن منبه انه قال خلق

جميع أمورك فى أوسطها
فكلا طرفى الامور ذميم
كما قيل
عليك بأوساط الامور فانها
طريق الى نهج الصراط قويم
ولا تك فيها مفرطا أو مفرطا
فان كلا حال الامور ذميم
ولا تنظر فى عطفيك ولا تكثر الالتفات ولا تقف على الجماعات واذا جلست فلا تستوفز وتحفظ من تشبيك أصابعك والعبث بلحيتك وخاتمك وتخليل أسنانك وادخال أصبعك فى أنفك وكثرة بصاقك وتنخمك وطرد الذباب عن وجهك وكثرة التمطى والتثاؤب فى وجوه الناس وفى الصلاة وغيرها وليكن مجلسك هاديا وحديثك منظوما مرتبا واصغ الى الكلام الحسن ممن حدثك من غير اظهار تعجب مفرط ولا تسأله اعادته واسكت عن المضاحك والحكايات ولا تحدث عن اعجابك بولدك وشعرك وكلامك

ابن آدم أحق ولو لاحقه ماهنأه عيش وعن الفضيل بن عياض رحمه الله قال انى لا أغبط ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا ولا عبدا صالحا أليس هؤلاء يعاتبون يوم القيامة انما أغبط من لم يخلق وعن عطاء السلمى رحمه الله انه قال لو ان نارا أوقدت وقيل من ألقى نفسه فيها صار لاشئ لخشيت أن أموت من الفرح قبل أن أصل النار فالامر اذن أيها الرجل شديد كما تقول بل هو أشد وأعظم مما تظن وتتوهم ولكنه أمر سبق فى العلم القديم وتدبير أجراه العزيز العليم فلا حيلة للعبد الا بذل المجهود فى العبودية والاعتصام بحبل الله والابتهال دائما الى الله سبحانه عسى أن يرحمه فيسلم بفضله وأما قولك كل هذا لماذا فهذا كلام يدل منك على غفلة عظيمة بل الصواب أن تقول كل هذا فى جنب ما يطلبه العبد الضعيف ماذا أتدرى ما يطلب العبد الضعيف أقل ما يطلبه على الجملة شيآن أحدهما السلامة فى الدارين والثانى الملك فى الدارين أما السلامة فى الدنيا فان الدنيا وآفاتها وفتنها وغوائلها بحيث لم يسلم منها الملائكة المقربون وقد سمعت حديث هاروت وماروت حتى روى انه اذا عرج بروح العبد الى السماء تقول ملائكة السموات متعجبين كيف نجا هذا من دار فسد فيها خيارنا وان الآخرة فى أهوالها وشدائدها بحيث تصرخ فيها الانبياء والرسل عليهم السلام نفسى نفسى لا أسألك اليوم الا نفسى حتى انه روى لو كان للرجل عمل سبعين نبيا لظن انه لا ينجو فمن أراد أن يسلم من فتن هذه فليخرج منها بالاسلام سالما لا تصيبه بلية ومن أهوال هذه فليدخل الجنة سالما لا تصيبه نكبة أيكون هذا أمرا هينا وأما الملك والكرامة فان الملك نفاذ التصرف والمشيئة وان ذلك بالحقيقة فى الدنيا لاولياء الله عز وجل وأصفيائه الراضين بقضائه فالبر والبحر والارض لهم قدم واحد والحجر والمدر لهم ذهب وفضة والجن والانس والبهائم والطير لهم مسخرون لا يشاؤن شيأ الا وهو كائن لهم لانهم لا يشاؤن الا ما شاء الله وما شاء الله كان ولا يهابون أحدا من الخلق ويهابهم كل الخلق ولا يخدمون أحدا الا الله عز وجل ويخدمهم كل من دون الله وأين ملوك الدنيا بعشر معاشر هذه الرتبة بل هم أقل وأذل وأما ملك الآخرة فيقول الله تعالى واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا وأعظم بما يقول فيه رب العزة انه ملك كبير وانت تعلم ان الدنيا بأمرها قليلة وان بقاءها من أولها الى آخرها لقليل ونصيب أحدنا من هذا القليل قليل ثم الواحد منا قد يبذل ماله وروحه حتى ربما يظفر بقدر قليل من هذا القليل فى بقاء قليل وان حصل له ذلك فيعذر بل يغبط ولا يستكثر ما بذل فيه من المال والنفس نحو ما ذكر عن امرئ القيس حيث يقول

بكى صاحبى لما رأى الدرب دونه * وأيقن انا لاحقان بقيصرا
فقلت له لاتبك عينيك انما * نحاول ملكا أو نموت فنعذرا

فكيف حال من يطلب الملك الكبير فى دار النعيم الخالد المقيم أيستكثر مع ذلك أن يصلى ركعتين لله تعالى أو ينفق درهمين أو يسهر ليلتين كلا بل لو كان له ألف ألف نفس وألف ألف روح وألف ألف عمر كل عمر مثل عمر الدنيا وأكبر وأكثر فبذل ذلك كله فى هذا المطلوب العزيز لكان ذلك قليلا ولئن ظفر بعده بمطلب لكان ذلك غنما عظيما وفضلا من الذى أعطاه كثيرا فتنبه أيها المسكين من رقدة الغافلين ثم انى تأملت ما يعطيه الله سبحانه العبد اذا أطاعه ولزم خدمته وسلك هذه الطريق عمره فوجدتها على الجملة أربعين كرامة وخلعة عشرين منها فى الدنيا وعشرين منها فى العقبى أما التى فى الدنيا فالاولى أن يذكره الله سبحانه ويثنى عليه وأكرم بعبد يكون الله رب العالمين عز عليه فى ذكره وثنائه والثانية أن يشكره جل جلاله ويعظمه ولو شكرك مخلوق ضعيف مثلك وعظمك لشرفت به فكيف باله الاولين والآخرين والثالثة أن يحبه ولو أحبك رئيس محلة أو أمير بلدة لافتخرت بذلك وانتفعت به فى مواطن عزيزة فكيف بمحبة رب العالمين والرابعة أن يكون له وكيلا يدبر أموره والخامسة أن يكون له رزقه

وتصنيفك وسائر ما يخصك ولا تتصنع تصنع المرأة فى التزين ولا تتبذل ابتذال العبد وتوق كثرة الكحل والاسراف فى الدهن ولا تلح فى الحاجات ولا تشجع أحدا على ظلم ولا تعلم أحدا من أهلك وولدك فضلا عن غيرهم مقدار مالك فانهم ان رأوه قليلا هنت عليهم وان رأوه كثيرا لم تبلغ رضاهم قط واجفهم من غير عنف ولن لهم من غير ضعف ولا تهازل أمتك ولا عبدك فيسقط وقارك واذا خاصمت فتوقر وتحفظ من جهلك وعجلتك وتفكر فى حجتك ولا تكثر الاشارة بيدك ولا تكثر الالتفات الى ورائك ولا تجث على ركبتيك واذا هدأ غضبك فتكلم واذا قربك السلطان فكن على حد السنان واياك وصديق العافية فانه أعدى الاعداء ولا تجعل مالك أكرم من عرضك وهذا القدر يافتى يكفيك من بداية الهداية فجرب بها

كفيلا يوجهه اليه من حال الى حال من غير تعب أو وبال والسادسة أن يكون له نصيرا يكفيه كل عدو ويدفع عنه كل قاصد بسوء والسابعة أن يكون له أنيسا لا يستوحش بحال ولا يخاف التغيير والاستبدال والثامنة عز النفس فلا يلحقه ذل خدمة الدنيا وأهلها بل لا يرضى أن تخدمه ملوك الدنيا وجبابرتها والتاسعة رفع الهمة فيترفع عن التلطخ أقذار الدنيا وأهلها ولا يلتفت الى زخارفها وملاهيها ترفع الرجال الالباء عن ملاعب الصبيان والنسوان والعاشرة غنى القلب فيكون أغنى من كل غنى فى الدنيا لا يزال طيب النفس فسيح الصدر لا يفزعه حدث ولا يهمه عدم والاحدى عشرة نور القلب فيهتدى بنور قلبه الى علوم وأسرار وحكم لا يهتدى الى بعضها غيره الا بجهد جهيد وعمر مديد والثانية عشرة شرح الصدر فلا يضيق ذرعا بشىء من محن الدنيا ومصائبها ومؤن الناس ومكايدهم والثالثة عشرة المهابة والموقع فى نفوس الناس يحترمه الاخيار والاشرار ويهابه كل فرعون وجبار والرابعة عشرة المحبة فى القلوب يجعل له الرحمن ودا فترى القلوب كلها مجبولة على حبه والنفوس كلها بأجمعها مطبوعة على تعظيمه واكرامه والخامسة عشرة البركة العامة فى كل شىء من كلام أو نفس أو فعل أو ثوب أو مكان حتى يتبرك بتراب وطئه وبمكان جلس فيه يوما وبانسان صحبه ورآه حينا والسادسة عشرة تسخير الارض من البر والبحر حتى ان شاء سار فى الهواء أو مشى على الماء أو قطع وجه الارض باقل من ساعة والسابعة عشرة تسخير الحيوان من السباع والوحوش والهوام وغيرها فتحبه الوحوش وتبصبص له الاسود والثامنة عشرة ملك مفاتيح الارض فحيثما يضرب بيده فله كنز ان أراد وحيثما يضرب برجله فله عين ماء ان احتاج وأينما نزل فله مائدة تحضره ان قصد والتاسعة عشرة القيادة والوجاهة على باب رب العزة فيبتغى الخلق الوسيلة الى الله تعالى بخدمته ويستنجح الحاجات من الله تعالى بوجاهته وبركته والعشرون اجابة الدعوة من الله تعالى فلا يسأل الله تعالى شيأ الا أعطاه ولا يشفع لاحد الا شفع ولو أقسم على الله تعالى لأبره بما شاء حتى ان منهم من لو أشار الى جبل لزال فلا يحتاج الى السؤال باللسان ولو خطر بباله شىء لحضر ولا يحتاج الى الاشارة باليد فهذه كرامات فى الدنيا وأما التى فى العقبى فالحادية والعشرون أن يهون الله عليه أولا سكرات الموت وهى التى وجلت قلوب الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فيها حتى سألوا الله أن يهونها عليهم حتى ان منهم من يكون الموت عنده مثل شربة الماء الزلال للظمآن قال الله عز وجل الذين تتوفاهم الملائكة طيبين والثانية والعشرون الثبات على المعرفة والايمان وهو الذى منه كل الخوف والفزع وعليه كل البكاء والجزع قال الله عز من قائل يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة والثالثة والعشرون ارسال الروح والريحان والبشرى والرضوان والامان قوله سبحانه وتعالى أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون فلا يخاف مما يقدم عليه فى العقبى ولا يحزن على ما خلفه فى الدنيا والرابعة والعشرون الخلود فى الجنان ومجاورة الرحمن والخامس والعشرون الجلوة فى السر لروحه فيعرج على ملائكة السموات والارض بالاكرام والالطاف والانعام ولبدنه فى العلانية بتعظيم جنازته والمزاحمة على الصلاة عليه والمبادرة الى تجهيزه يرجون بذلك أكثر ثواب ويعدونه أعظم غنم والسادسة والعشرون الامان من فتنة سؤال القبر وتلقين الصواب فيأمن من ذلك الهول والسابعة والعشرون توسيع القبر وتنويره فيكون فى روضة من رياض الجنة الى يوم القيامة والثامنة والعشرون ايناس روحه ونسمته واكرامها فتجعل فى أجواف طير خضر مع الاخوان الصالحين فرحين مستبشرين بما آتاهم الله من فضله والتاسعة والعشرون الحشر فى العز والكرامة من حلل وتاج وبراق والثلاثون بياض الوجه ونوره قال الله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وقال وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة والحادية والثلاثون الامن من أهوال يوم القيامة قال الله تعالى أم من يأتى آمنا يوم

نفسك فانها ثلاثة أقسام قسم فى آداب الطاعات وقسم فى ترك المعاصى وقسم فى مخالطة الخلق وهى جامعة لجميع معاملة العبد مع الخالق والخلق فان رأيتها مناسبة لنفسك ورأيت قلبك مائلا اليها راغبا فى العمل بها فاعلم أنك عبد نور الله قلبك بالايمان وشرح به صدرك وتحقق ان هذه البداية نهاية ووراءها أسرارا وأغوارا وعلوما ومكاشفات وقد أودعناها فى كتاب احياء علوم الدين فاشتغل بتحصيله فان رأيت نفسك تستثقل العمل بهذه الوظائف وتترك هذا الفن من العلم وتقول لك نفسك أنى ينفعك هذا الفن فى محافل العلماء ومتى يقدمك

القيامة والثانية والثلاثون الكتاب باليمين ومنهم من كفي الكتاب رأسا والثالثة والثلاثون تيسير الحساب ومنهم من لا يحاسب أصلا والرابعة والثلاثون ثقل الميزان ومنهم من لا يوقف للوزن أصلا والخامسة والثلاثون ورود الحوض على النبي صلى الله عليه وسلم فيشرب شربة لا يظمأ بعدها أبدا والسادسة والثلاثون جواز الصراط والنجاة من النار حتى ان منهم من لا يسمع حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون وتخمد لهم النار والسابعة والثلاثون الشفاعة في عرصات القيامة نحو امن شفاعة الانبياء والرسل والثامنة والثلاثون ملك الابد في الجنة والتاسعة والثلاثون الرضوان الاكبر والاربعون لقاء رب العالمين إله الاولين والآخرين بلا كيف جل جلاله * ثم أقول وانما عددت ذلك على حسب فهمي ومبلغ علمي في قصوره ونقصه ومع ذلك فقد أجملت وأوجزت وذكرت الاصول والجمل ولو فصلت بعض ذلك لما احتمله الكتاب ألا ترى أني جعلت ملك الابد خلعة واحدة ولو فصلتها لارتفعت على أربعين خلعة من نور الحور والقصور واللباس وغير ذلك ثم كل نوع يشتمل على تفاصيل لا يحيط بها الا عالم الغيب والشهادة الذي هو خالقها ومالكها وأي مطمع لنا في معرفة ذلك وربنا سبحانه يقول فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خلق فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وان المفسرين يقولون في قوله تعالى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ان هذه هي الكلمات التي يقولها الله تعالى لاهل الجنة في الجنة باللطف والاكرام وما تكون حاله هذه فأنى نبلغ جزأ من ألف ألف جزء منه ونحن بشر أو كيف يحيط به علم مخلوق كلا بل تقاعدت الهمم وتقاصرت دونه العقول وحق أن يكون ذلك كذلك وهو عطاء العزيز العليم على مقتضى الفضل العظيم وحسب الجود القديم ألا فليعمل العاملون وليبذل المجتهدون جهدهم لهذا المطلوب العظيم وليعلموا أن ذلك كله أقل قليل في جنب ما هم اليه محتاجون واياه يطلبون وله يتعرضون وليعلموا ان العبد لا بد له في الجملة من أربعة العلم والعمل والاخلاص والخوف فيعلم أولا الطريق والا فهو أعمى ثم يعمل بالعلم والا فهو محجوب ثم يخلص العمل والا فهو مغبون ثم لا يزال يخاف ويحذر من الآفات الى أن يجد الامان والا فهو مغرور ولقد صدق ذو النون حيث قال الخلق كلهم موتى الا العلماء والعلماء كلهم نيام الا العاملين والعاملون كلهم مغترون الا المخلصون والمخلصون كلهم على خطر عظيم * قلت أنا والعجب كل العجب من أربعة أحدها من عاقل غير عالم أما يهتم بمعرفة ما بين يديه أما يتعرف ما هو مطلع بعد الموت عليه بالنظر في هذه الدلائل والعبر والاستماع الى هذه الآيات والنذر والانزعاج بهذه الخواطر والهواجس في النفس قال الله تعالى أولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء وقال تعالى ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم والثاني من عالم غير عامل بالعلم أما يتفكر ما يعلم يقينا مما بين يديه من الاهوال العظام والعقبات الصعاب وهذا هو النبأ العظيم الذي أنتم عنه معرضون والثالث من عامل غير مخلص أما يتأمل قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا والرابع من مخلص غير خائف أما ينظر الى معاملاته جل جلاله مع أصفيائه وأوليائه وخدمه الدالة بينه وبين خلقه حتى يقول لاكرم الخلق عليه ولقد أوحي اليك والى الذين من قبلك الآيات ونحوها حتى حكي أنه كان عليه السلام يقول شيبتني هود وأخواتها * ثم جملة الامر وتفصيله ما قاله رب العالمين في أربع آيات من الكتاب العزيز قوله عز وجل أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون ثم قال جل اسمه ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون ثم قال جل من قائل والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ثم أجمل الكل فقال وهو أصدق القائلين ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ان الله لغني عن العالمين ونحن نستغفر الله تعالى من كل ما زل به القدم أو طغا به القلم ونستغفره من كل أقاويلنا التي لا توافق أعمالنا

ونستغفره

هذا على الاقران والنظراء وكيف يرفع منصبك في مجالس الامراء والوزراء ليوصلك الى الصلة والارزاق وولاية الاوقاف والقضاء فاعلم أن الشيطان قد أغواك وأنساك متقلبك ومثواك فاطلب لك شيطانا مثلك ليعلمك ما تظن أنه ينفعك ويوصلك الى بغيتك ثم اعلم أنه قط لا يصفو لك الملك في حياتك فضلا عن قريتك وبلدك ثم يفوتك الملك المقيم والنعيم الدائم في جوار رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته والحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

ونستغفره من كل ما ادعيناه وأظهرناه من العلم بدين الله تعالى مع التقصير فيه ونستغفره من كل خطرة دعتنا الى تصنع وتزين في كتاب سطرناه أو كلام نظمناه أو علم أفدناه ونسأله أن يجعلنا واياكم يا معشر الاخوان بما علمناه عاملين ولوجهه به مريدين وأن لا يجعله وبالا علينا وأن يضعه في ميزان الصالحات لنا لو ردت أعمالنا الينا انه جواد كريم * قال الشيخ رضي الله عنه فهذا ما أردنا أن نذكره في شرح كيفية سلوك طريق الآخرة وقد وفينا بالمقصود والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبفضله تنزل البركات وصلى الله على خير مولود دعا الى أفضل معبود محمد النبي وعلى آله وسلم تسليما كثيرا طيبا مباركا فيه على كل حال

﴿يقول الفقير اليه تعالى (ابراهيم بن حسن الانبابي) خادم العلم ورئيس لجنة التصحيح بمطبعة الشيخ الجليل (مصطفى البابي الحلبي وأولاده) بمصر المحروسه﴾

نحمدك اللهم أن أحييت قلوب المحبين بوابل غيث معارف المخلصين ومننت بجزيل هباتك على كمل العارفين فنبهوا من الغفلات وأيقظوا من الرقدات ونصلي ونسلم على ينبوع الهدايات ومعدن الآداب والمكرمات سيدنا محمد وآله وأصحابه نجوم الهدايات ﴿أما بعد﴾ فقد تم بحمد الله تعالى طبع كتاب

منهاج العابدين للعارف بالله الامام حجة الاسلام أبي حامد الغزالي رحمه الله وأسكنه دار

رضاه وقد تحلت طرره ووشيت غرره بكتاب بداية الهداية للامام المذكور

ضاعف الله له الاجور وهما الزبدة في علم التصوف وتهذيب الاخلاق

فقد أجاد سبكهما فكانا غاية في مضمار السباق وذلك بمطبعة

(السيد مصطفى البابي الحلبي وأولاده) بمصر مصححا

بمعرفة لجنة تصحيح الكتب العلمية بها وذلك

في شهر شوال الذي هو من شهور سنة

١٣٣٧ هجرية على صاحبها

أفضل الصلاة وأتم

التحية آمين

آمين

{ فهرست منهاج العابدين لحجة الاسلام أبى حامد الغزالى }

صحيفة

٦ العقبة الأولى وهى عقبة العلم
٩ العقبة الثانية وهى عقبة التوبة
١٢ فصل ثم اعلم يقينا ان هذه العقبة عقبة صعبة أمرها مهم الخ
١٢ فصل وجملة الامر أنك اذا ابتدأت الخ
١٣ العقبة الثالثة وهى عقبة العوائق
أحدها الدنيا وما فيها ١٥ العائق الثانى الخلق
٢١ العائق الثالث الشيطان
٢٤ العائق الرابع النفس
٢٨ الفصل الاول فصل العين أى من فصول الاعضاء الخمسة ٢٩ الفصل الثانى الاذن
الفصل الثالث اللسان
٣١ الفصل الرابع القلب
٣٧ الفصل الخامس فى البطن وحفظه
٤١ فصل فعليك أيها الرجل ببذل المجهود الخ
٤٣ فصل ثم راع هذه الاعضاء الاربعة التى هى الاصول الخ
٤٥ فصل وجملة الامر أنك اذا نظرت بعقلك الخ
٤٦ الباب الرابع فى العقبة الرابعة وهى عقبة العوارض
أحدها الرزق ومطالبة النفس بذلك الخ
٥١ العارض الثانى الاخطار وارادتها وقصودها
٥٣ العارض الثالث القضاء ووروده أنواعه

صحيفة

٥٤ العارض الرابع الشدائد والمصائب
٥٥ فصل فعليك بقطع هذه العقبة الشديدة الخ
٥٧ فصل ثم اعلم بعد هذه الجملة أنى مجرد ذلك نكتا الخ
٦١ فصل و بالجملة اذا علمت يقينا أن الله تعالى هو الملئ بضمان رزقك الخ
٦٢ الباب الخامس فى العقبة الخامسة وهى عقبة البواعث
٦٤ فصل فعليك أيها الرجل بقطع هذه العقبة الخ
٧١ فصل وجملة الامر انك اذا تذكرت سعة رحمة الله تعالى الخ
٧١ الباب السادس فى العقبة السادسة وهى عقبة القوادح
٧٥ فصل فعليك بقطع هذه العقبة المخوفة الخ
٧٨ فصل وعلى وجه آخر أن الملك العظيم الخ
٧٩ فصل ثم أقول بعد هذه الجملة تيقظ من رقدتك الخ
٨٢ فصل وجملة الامر أنك اذا أحسنت النظر الخ
٨٣ العقبة السابعة وهى عقبة الحمد والشكر
٨٥ فصل فعليك أيها الرجل ببذل المجهود فى قطع هذه العقبة اليسيرة
٨٩ فصل وجملة الامر أنك اذا أحسنت النظر فى منن الله تعالى الخ
٩١ فصل ثم اعلم ما هو التحقيق فى هذا الباب الخ

{ تمت }

{ فهرست بداية الهداية المرقوم بهامش هذا الكتاب }

٧ القسم الاول فى الطاعات
٨ فصل فى آداب الاستيقاظ من النوم
٩ باب آداب دخول الخلاء
١١ آداب الوضوء ١٥ آداب الغسل
١٦ آداب التيمم
١٧ آداب الخروج الى المسجد
١٨ آداب دخول المسجد
٢٦ آداب ما بعد طلوع الشمس الى الزوال
٣١ آداب الاستعداد لسائر الصلوات
٣٥ آداب النوم ٣٨ آداب الصلاة
٤٤ آداب الامامة والقدوة
٤٦ آداب الجمعة ٥٠ آداب الصيام
٥٢ القسم الثانى القول فى اجتناب المعاصى
٦٦ القول فى معاصى القلب
٧٦ القول فى آداب الصحبة والمعاشرة مع الخالق سبحانه وتعالى ومع الخلق

{ تمت }